



المبحث الثالث

جهود الإمام القرافي في الرد على النصارى

وفيه مطالب:

المطلب الأول: النصارى وأشهر فرقهم:

المطلب الثاني: بولس وتأثيره في النصرانية.

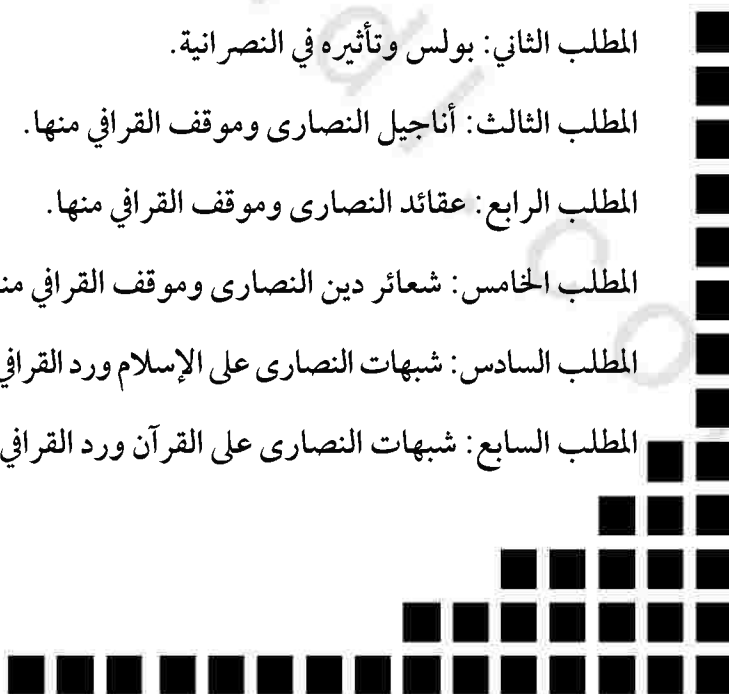
المطلب الثالث: أناجيل النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب الرابع: عقائد النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب الخامس: شعائر دين النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب السادس: شبهات النصارى على الإسلام ورد القرافي عليها.

المطلب السابع: شبهات النصارى على القرآن ورد القرافي عليها.



المطلب الأول النصارى وأشهر فرقهم

النصارى أمة عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته -عليه السلام-، المبعوث حقاً بعد موسى -عليه السلام-، المبشر به في التوراة، سموا بذلك نسبة إلى قرية عيسى -عليه السلام- التي كان ينزلها، وهي المسماة ناصرة، وقيل: لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: لقولهم: «نحن أنصار الله» جواباً عن قول عيسى -عليه السلام-: «من أنصاري إلى الله؟»^(١).

وعند التحقيق: نجد التعليل الأول والأخير، وإن كانا مشهورين، إلا أن قواعد اللغة تردهما؛ إذ النسبة إلى ناصرة، وأنصار ليست نصارى كما هو معلوم. فلا يصح تعليلاً لتسميتهم هذه إلا كونهم كانوا يتناصرون فيما بينهم، ولذلك يقول الزمخشري: «النصارى: جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة... والياء في نصراني للمبالغة، كالتي في أحمرى، سمو بذلك: لأنهم نصروا المسيح»^(٢). وأياً كان الأمر فقد صار الاسم علماً عليهم لا ينصرف إلى غيرهم.

فرق النصارى:

النصارى فرق كثيرة، جاوزت السبعين -كما أخبر رسول الله ﷺ-، ولكن يمكن إرجاعها إلى فرق ثلاث، تشعب عنها كل ما سواها، وهذه الفرق في مجملها، استنكفت أن يكون المسيح عبداً لله تعالى، مع أنه لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها، وأما الفرق الثلاث التي ترجع

(١) يراجع: التفسير الكبير (٣/ ٩٧).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف (١/ ١٣٧)، ت/ يوسف الحمادي، مكتبة/ مصر، بدون تاريخ.

إليها جميع فرق النصارى فهي:

١ - فرقة المَلَكَانِيَّة:

سموا بذلك نسبة إلى دين الملك، فهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا، حاشا الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى أفريقيا، وصقلية^(١)، والأندلس، وجمهور الشام^(٢)، ويذهب الشهرستاني إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى ملكا الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ولذا كان معظم الروم على هذا المذهب^(٣)، ويذكر الإمام القرافي رأيًا قريبًا من هذا، سيأتي بيانه -إن شاء الله- إلا أنه ينسبهم إلى رجل يسمى مَلَكُوتًا^(٤).

والملكانية تعتقد أن الله عبارة عن ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس، ويقصدون بالابن: أقنوم العلم، وبروح القدس: أقنوم الحياة، ويقولون: إن الكلمة «أقنوم العلم» اتحدت بجسم المسيح وتدرعت بناسوته، ولا يسمون العلم قبل اتحاده بالناسوت ابنًا، بل المسيح، مع ما تدرع به ابن^(٥).

ويقولون: إن عيسى -عليه السلام- إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، ويقولون: إن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وإن الإله

(١) صِقْلِيَّة: جزيرة من جزائر المغرب، مقابلة لإفريقية، بينها وبين أقرب موضع من إفريقية مائة وأربعون ميلًا. يراجع: معجم البلدان: (٤١٦/٣) وما بعدها، وهي الآن تابعة لإيطاليا.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٤٨، ٤٩)، هداية الحيارى (ص ٢١٣).

(٣) ينظر: الملل والأهواء والنحل (١/٢٢٢).

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ١٢٢).

(٥) ينظر: الفصل (١/٤٩)، الملل والنحل (١/٢٢٢).

لم ينله شيء من ذلك، ويعتقدون أن مريم ولدت الإنسان والإله معاً^(١).

وإذا كان للمسيح طبيعتان: طبيعة بلاهوته، وأخرى بناسوته، فإن له مشيئتين: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت^(٢).

٢- فرقة النسطورية:

تنسب إلى نسطور الذي مكث بطريركا للقسطنطينية شهرين وأربع سنوات، وهذه الفرقة كانت غالبية على الموصل، والعراق، وفارس، وخراسان، ومنهم طائفة في الهند، وأخرى في بلاد العجم.

وكان نسطور يقول: إن مريم العذراء لم تلد إلهًا، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني «الابن»، وليس ذلك الاتحاد بالمزج، وجعلهما شيئاً واحداً، فهو ليس اتحاداً حقيقياً، بل اتحاد مجازي؛ لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن^(٣).

فالمسيح عند النسطوريين شخصان، وطبيعتان، إلا أن لهما مشيئة واحدة، فهو إله بجوهر اللاهوت، إنسان بجوهر الناسوت، والقتل والصلب عندهم وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام^(٤).

ولما قال نسطور: إن مريم لم تلد إلهًا، وذاع ذلك عنه، كاتبه كيرلس بطريرك

(١) يراجع: هداية الحيارى (ص ٢١٣، ٢١٤).

(٢) يراجع: الفصل (١/ ٤٥)، الملل والنحل (١/ ٢٢٤، ٢٢٥)، محاضرات في النصرانية (ص ١٤٤، ١٤٦)، النصرانية والإسلام (ص ١٤٤).

(٣) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٥)، هداية الحيارى (ص ٢١٤).

(٤) ينظر: الملل والنحل (١٠/ ٢٢٥)، هداية الحيارى (ص ٢١٤).

الإسكندرية، ويوحنا بطريرك أنطاكية ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فقرر لعنه وطرده، وإقالته من منصبه ونفيه، فصار إلى مصر، وأقام في إخميم^(١) إلى أن مات بها^(٢).

٣- اليعقوبية:

اتباع يعقوب البرادعي^(٣)، الذي لقب بالبرادعي؛ لأنه لبسه كان من خرق برادع الدواب، يرقع بعضها بعضاً، ويلبسها، ونسبة المذهب إليه؛ لأنه كان من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه؛ لأن هذا المذهب أسبق من يعقوب هذا، فأول من أعلنه بطريرك الأسكندرية في منتصف القرن الخامس^(٤)، أما يعقوب هذا فقد وجد في القرن السادس الميلادي^(٥).

وأصحاب هذا المذهب كانوا غاليين على أعمال مصر، وجميع بلاد النوبة، والحبشة، واعتقادهم: أن المسيح نفسه هو الله تعالى، وأن الله تعالى مات وصلب،

(١) إخميم - بكسر فسكون -: مدينة قديمة كبيرة بصعيد مصر في الجانب الشرقي من النيل، بها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة، وبها عجائب من المباني والآثار، وإليها ينسب ذو النون المصري الزاهد المعروف المتوفى ٢٤٥هـ. يراجع: معجم البلدان (١/ ١٢٣، ١٢٤)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص ١٥).

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٤٤، ١٤٥)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٢).
(٣) ولد في أواخر القرن الخامس في بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلاً من الرها بمقاطعة إيطاليا، ونشأ في بعض الأديرة قرب الرها، وعين أسقفًا على الرها في سنة ٥٤١هـ، وسافر إلى مصر مرتين، ومات بها سنة ٥٧٨م. ينظر: الكنيسة القبطية، للقس منسي يوحنا، (ص ٢٧٣، ٢٧٤)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤) الذي كان بطريركاً في هذه الفترة هو ديوسقورس، البطريرك الخامس والعشرين، والذي ارتقى الكرسي المرقسي في سنة ٤٤٤م، وتوفي في سنة ٤٥٧م، يراجع: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ٢٤٥) وما بعدها.

(٥) هداية الحيارى (ص ٢١٣)، محاضرات في النصرانية (ص ١٤٦).

وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام، ورجع كما كان، وأنه تعالى هو الذي كان في بطن مريم، محمولاً به^(١)، والمسيح عندهم مكون من طبيعتين: طبيعة الناسوت، وطبيعة اللاهوت، وهاتان الطبيعتان تركبتا فصارتا إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحدة، هذه الصفة الواحدة، وهذا الشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله.

ويقولون: الإنسان صار إلهًا، ولا يعكسون، فلا يقولون: إن الإله صار إنساناً، ويزعمون أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والإدراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة^(٢).

هذا: ويرجع الإمام القرافي أصل هذه الفرق الثلاث إلى ما كان من بولس اليهودي، الذي تزيا بزي النصارى وانتحل ملتهم، حتى صار مقدماً عندهم، بعد عداء طال منه لهم، وأخذ يحلل ويحرم، وهم له مطيعون، حتى رأى رؤيا فخرج من صومعته ليقصها عليهم، فلما أخذوا مجالسهم، قال: ليخرج كل من في البيت إلا يعقوب، ونسطور، وملكوت، والمؤمن، ففعلوا ثم قال للأربعة: هل علمتم أن أحداً من الإنس أبرأ الأكمه، والأبرص، وأحيا الموتى؟ قالوا: لا، قال: فإني أزعم أن الله تجل لنا ثم احتجب، قال بعضهم: صدقت، هو الله نجم لنا، وقال بعضهم: لا، ولكنه ثلاثة، والد، وولد، وروح القدس، وقال بعضهم: إله وولده، فافترقوا على أربع فرق، فأما يعقوب فأخذ بقول بولس: إن الله هو المسيح، وبه أخذت شيعته، وهم اليعقوبية، وأما نسطور، فقال: المسيح ابن الله على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية، وأما ملكوت: فقال: إن الله

(١) ينظر: الفصل، (١/٤٩).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/٢٢٦)، هداية الحيارى (ص ٢١٣).

تعالى ثلاثة، وبه أخذت شيعته، وهم الملكية، فقام المؤمن، وقال لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم^(١).

ويمكن لنا أن نستنبط مما ذكره القرافي أن عقيدة النصارى قبل هذا الاجتماع كانت على التوحيد، ويدلك على ذلك إنكار المؤمن على جميعهم، ودعواه عليهم باللعنة.

وكما أسلفنا من قبل أن هذه الفرق الثلاث فرق كبرى للنصرانية، تفرعت عنها فرق كثيرة، إلا أنها لم تستمر بعد تكوينها، فقد كان معظمها يقضي عليه في مهده.

والسبب: أنه قد تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم لم يتخلف، هو التجاء الجانب القوي إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات، والتعذيب، والتنكيل، والحرق، والإفناء، يسلطها الجانب القوي على الجانب الضعيف.

والعجيب: أن المسيحيين: اضطهدوا من اليهود والرومان ونزلت بهم الولايات في القرون الثلاثة الأولى، فلما بدأ جانبهم يشتد، أنزلوا نفس الولايات بمخالفهم من أبناء دينهم، ومن أتباع الأديان الأخرى، ومن هنا فنت مذهب مسيحية كثيرة، كان بعضها في وقت ما له الغلبة في العدد، ولكن تنقصه القوة والسلطان، وكان فناء هذه المذاهب؛ بسبب قسوة اليهود والرومان أحياناً، وأحياناً أخرى بسبب قسوة فرق مسيحية أخرى قويت، واشتدت بالأباطرة وذوي النفوذ^(٢)، فلم يدم من فرق النصارى ويشتهر غير هذه الثلاث، ويدل على ما ذكرنا قول ابن خلدون: «ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك، وفيما

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ١٢٢، ١٢٣).

(٢) ينظر: المسيحية، (ص ١٩٩)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٠).

يعتقدونه في المسيح، وصاروا طوائف وفرقاً، واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه، فاختلف الحال في العصور، في ظهور فرقة دون فرقة، إلى أن استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقهم، ولا يلتفتون إلى غيرها، وهم الملكية، واليعقوبية، والنسطورية^(١).

ولكن:

هذه الفرق الكبرى تعاقب عليها الليل والنهار، ونالها شيء من التغيير في الأسماء، إن لم يكن في المعتقد، وإن كانت معتقداتها نالها شيء من ذلك، كعادة دين النصارى، فظهرت حديثاً في أسماء أخرى، وإليك بيانها.

١ - الكاثوليك:

تسمى كنيستهم الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية، أو اللاتينية، أو البطرسية، أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية: أي العامة؛ لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها في زعم أصحابها وحدها هي التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية ولاينية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين، الذين يقطنون بلاد إيطاليا وبلجيكا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، كما يوجد لها أتباع في أوروبا، وأمريكا الشمالية، والجنوبية، وأفريقيا، وآسيا.

وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية؛ لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الخواريين ورئيسهم، وأن بابوات روما خلفاؤه، والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي، الذي يرأسه البابا، والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة؛ إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية، هي في نظرهم إرادات إلهية؛ لأن

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٩٣).

البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح ووصية، فهو مثل الله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة^(١).

ومن مستحدثات الكنيسة الكاثوليكية:

- ١- أنها أحلت أكل الحيوان المخنوق، وأباححت للربان أكل دهن الخنزير تساهلاً منها؛ لتجذب إليها اللادينيين.
- ٢- القول بأن روح القدس نشأ عن الإله الأب، والابن معاً.
- ٣- المساواة الكاملة بين الإله الأب، والإله الابن.
- ٤- قالت: إن للمسيح طبيعتين ومشيتين.
- ٥- إصدار صكوك الغفران لمن تشاء من رعاياها^(٢).

ونظرة في المعتقدات التي استحدثتها الكنيسة الكاثوليكية تجعلنا نقول مطمئنين - كما قال غيرنا-: إن اعتقاد النسطوريين قريب من اعتقادات الكاثوليك، ولذلك من بقي منهم الآن تابع لكنيسة روما، وإن كانت لهم تقاليدهم التي تخصهم^(٣).

٢- الأرثوذكس:

تسمى كنيستهم الكنيسة الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية، أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية كروسيا، والبلقان،

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ٣٥)، المسيحية، (ص ١٩٩، ٢٠٠)، النصرانية والإسلام (ص ٩٣٠).

(٢) يراجع: محاضرات النصرانية (ص ١٤٨، ١٤٩)، المسيحية، (ص ٢٠٠، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٠).

(٣) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٤٥)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٢).

واليونان.

ومقر هذه الكنيسة الأصلي مدينة القسطنطينية بعد انفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤م، والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الإكليروس، الذي يبدأ من البطريرك، ويليه في الرتبة المطارنة، ثم الأساقفة^(١)، ثم القسوس أصحاب الامتياز، ويسمون القمامصة ثم القسوس العاديون، ويسمون القساوسة، وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي، والكلمة في كل ما يدور في الكنيسة^(٢).

والكنيسة الأرثوذكسية تخالف كل ما قالت به الكنيسة الكاثوليكية، مما أوقع الشقاق بينهما، وأوسع شقة الخلاف فهي:

- ١- لم تقبل أكل الدم المخنوق، ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبان.
 - ٢- أصرت على أن روح القدس نشأ عن الله: الأب فقط.
 - ٣- لا تقول بالمساواة بين الإله الأب، والإله الابن، بل تقول بالأفضلية للإله الأب.
 - ٤- المسيح عندهم ذو طبيعة واحدة، ومشية واحدة^(٣).
- والكنيسة المصرية تابعة للمذهب الأرثوذكسي، ورئيس هذه الكنيسة هو

(١) جمع أسقف، والأسقف كلمة عربية مترجمة عن اللفظ اليوناني ابسكوبيوس، والذي معناه: المشرف، والأسقف هو رئيس الكنيسة، ومديرها وراعيها ومعلمها. يراجع: قاموس الكتاب المقدس (ص ٧٢)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل للمقص شنودة السرياني: (ص ١٦٤)، لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية، مصر، ١٩٧١م.

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٣٥)، المسيحية، (ص ٢٠٠، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٤).

(٣) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٤٨، ١٤٩)، المسيحية، (ص ٢٥١، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٤).

البطريرك القبطي المقيم بالقاهرة، ويدعى بابا الأسكندرية، ورئيس الأفريقين المسيحيين، ويتبعه في رئاسته سكان الحبشة المسيحيون، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية، وهو يعين لهم أسقفًا يسوسهم.

وتعتقد الكنيسة المصرية أن الله ذات واحدة مثلثة: أقنوم الأب والابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني تجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، حتى صار واحدًا وُحدة ذاتية جوهريّة منزّهة عن الاختلاط والامتزاج، والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشئّة واحدة^(١).

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن يعقوبيين تابعون للمذهب الأرثوذكسي والله أعلم.

٣- البروتستانت (الإصلاح الديني):

أرادت الكنيسة الكاثوليكية أن تجعل لنفسها سلطانًا على الناس حكمًا ومحكومين، وساسة ومسوسين؛ ففرضت آراءها على المسيحيين، وبالغت في ذلك إلى أن تجاوزت حد الغلو، ولم تسلك في سبيل ذلك الموعظة الحسنة، والدعوة الصالحة، والإرشاد القويم، ومخاطبة الأرواح والنفوس، وتمكينها من أن تتبعها وهي حرة مريدة مختارة، بل سلكت سبيل العنف، وركبت متن الشدة، فجعلت كل رأي في العلوم الكونية، أو الدينية يخالف رأيها كفرًا، لا تدعو معتنقيه للهداية، وترشده إلى الرشاد، كما يليق برجال الدين مع من يرونه ضالًا، بل تكفر لأوهي الأسباب، وتحرق أو تعذب من تراه كافرًا بلا رفق ولا هوادة.

وإن جهر رجل من رجال الدين بالدعوة إلى الإصلاح، داعيًا رجال

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ١٢٩، ١٣٠)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٤).

الكنيسة إلى أخذ الناس بالرفق، وحاتاً رجال الدين إلى الأخذ بهديه، كان عقابه الحرمان والقتل.

ولم ينبج حتى الملوك من طغيانها، فقد كان لبابوات الكنيسة السلطان الذي لا يرد على كل ملك؛ لأنهم خلفاء لبطرس الرسول، وبطرس أقامه المسيح على الحواريين من بعده، فالبابا على هذا الأساس خليفة المسيح ينطق باسمه، ويتكلم بخلافته، وينفذ بسلطانه، ومن خرج عن طاعته، خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه.

ولم يكن عقاب الكنيسة لمخالفيها مقصوراً على الأذى البدني، بل أرهقت المسيحيين بأوتوات مالية يفرضونها، وضرائب كثيرة يأخذونها، وعلى ذلك صار المسيحيون قاطبة يئنون تحت نير ثقل، سواء في ذلك من خالف، ومن وافق، فالمخالف بالعذاب يهرأ جسمه، والموافق بالمال يثقل كاهله، ولقد سعت الكنيسة في فرض سلطانها محتجزة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالت، أو مبدأ دينياً أعلنته، أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول البابا؛ لأن البابا خليفة لبطرس كما أسلفنا.

وإذا كان قول رجال الدين صادراً عن الكنيسة، وليس لأحد أن يعترض، ولا أن يعاود الكلام، فإن لرجال الدين، وقد وكل حفظ الكتاب إليهم أن يشرعوا ما شاءوا، وأن يحذفوا ما أرادوا، وليس لأحد أن يعترض.

وبالفعل قام رجال الكنيسة بفرض اعتقادات على المسيحية لا يقبلها عقل سليم، ولا يستسيغها ذوق صحيح، كمسألة استحالة الخبز والخمر إلى دم المسيح ولحمه، ومسألة صكوك الغفران التي بالغ فيها بابوات، الكنيسة مما أنجم انتشار

الفساد.

كل ذلك آثار حفيظة المصلحين على مر العصور، فقاموا بدعوة إلى إصلاح الكنيسة وإصلاح حال رجالها الذين كانوا بعيدين عن محل القدوة، وكانوا موطن الشبهة في عصور الكنيسة الأخيرة الذين اندفع بعضهم في طلب الملاذ اندفاعاً، واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح؛ لتحريمهم الزواج على أنفسهم، فقام هؤلاء المصلحون محاولين إصلاح الكنيسة، وتهذيب حال رجالها، لكن ما كانت تقوم دعوة حتى يقضى عليها في مهدها؛ نظراً لسلطان الكنيسة، ومحاولة الملوك إرضاءها، وأيضاً فإنه كان في بعض الدعوات محاولات لإصلاح السياسة.

واستمر الحال حتى كان مارتن لوثر المولود بألمانيا سنة ١٤٨٢م، والمتوفى سنة ١٥٤٦م، الذي ثار على الكنيسة ورجالها، ولاقت دعوته قبولاً عند العامة، وبعض الحكام، فأسس المذهب البروتستانتي الجديد، وسمي بذلك لاحتجاج أصحابه على الكنيسة؛ لأن بروتستنت (Protestant) كلمة إنجليزية معناها: احتجاج^(١).

والبروتستانت تسمى كنيستهم الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا يختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب.

وبهذا الاتجاه عارضوا الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية، بل

(١) ملخصاً من محاضرات في النصرانية (ص ١٥٣ - ١٦٥).

تضيف إليه الأفهام، والتعاليم غير المكتوبة التي يتداولها البابوات الواحد عن الآخر^(١).

وتتبع الكنيسة البروتستانية نظامًا تعاونيًا، يتعاون فيه أعضاؤها على القيادة والوعظ مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة، وينتشر أتباعها في ألمانيا وإنجلترا والدانمرك، وهولندا، وسويسرا، والنرويج، وأمريكا الشمالية. ويمكن إجمال أهم مبادئهم في:

١- جعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس وحدها.

٢- ليس لكنائسهم من يت رأس عليها رئاسة عامة، بل لكل كنيسة رئاسة خاصة بها، فالرئاسة الكنسية التي تستمد الخلافة من أحد الخواريين، أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم.

٣- إبطال صكوك الغفران، فليس للكنيسة ولا رجالها سلطان في محو الذنب، أو ستره، أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها.

٤- ينكرون تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه.

٥- ينكرون مبدأ الرهبنة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها.

٦- يمنعون اتخاذ الصور في الكنائس والسجود لها^(٢).

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٦٨)، هامش (١)، المسيحية (ص ٢٠٢)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٦، ١٣٧).

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٦٨ - ١٧٢)، المسيحية، (ص ٢٠٢)، النصرانية والإسلام (ص ١٣٦، ١٣٧).

ولكن: إذا قرر المصلحون أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة، ورفضوا سلطان الكنيسة ورجالها وصولاً إلى الحق، فإن المنطق الذي يسرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوالاً كثيرة كألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، إذ كان عليهم أن يدرسوا قرارات مجامع كنائسهم -التي أضافوا فيها إلى المسيحية ما ليس منها-، فينظروا في سندها وقوته، فإن لم يروا السند قوياً رفضوا ما جاء فيها، ولكنهم لم يسيروا في منطقهم إلى أقصى مداه، ورغم أنهم رفضوا أقوالاً ذكرناها، كان عليهم أن يرفضوا أموراً عقديّة كثيرة، إلا أنهم لم يتجهوا إلى لب العقيدة الذي هو الأولى بالبحث عن مدى صحته^(١).

وذلك يجعلنا نقول:

إن البروتستانت لم يطلوا أصلاً من الأصول المسيحية، بل إنهم فقط قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم، أو بمعنى آخر: كانت حركتهم حركة لإصلاح الكنيسة، لا إصلاحاً للمسيحية وإرجاعها إلى أصولها النقية، ولذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق إليها الإصلاح، مثل: التثليث، وألوهية المسيح، وألوهية روح القدس، ومثل صلب المسيح؛ تكفيراً عن خطيئة البشر، ومثل البحث عن إنجيل المسيح، بمعنى: الاقتصار على تعاليم المسيح الواردة عنه، واستبعاد ما سواها مما هو دخيل على المسيحية^(٢).

والله أعلم

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ١٧٢).

(٢) ينظر: النصرانية والإسلام (ص ١٣٧، ١٣٨).

المطلب الثاني بولس وتأثيره في النصرانية

يقول الإمام القرافي: «بولس إبليس على النصارى، أخرجهم من هذا الدين كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال، بسبب أنه كان يهوديًا، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يُشَفَ بذلك قلبه، فأعمل الحيلة»^(١).

ويقول: «وهذا الملعون -بولس- هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم... وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك، فالنصارى له في غاية الإجلال، وعلى رأيه وأقواله في غاية الإقبال»^(٢).

ويقول القس العراقي عبد الأحد داود: «إن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم بولس، فلا محل للحيرة إذا قلت: إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس»^(٣).

ويقول ويلز -وهو نصراني-: «كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط، ولا سمعه يبشر الناس»^(٤).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإن لبولس هذا لشأنًا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، وقد تأثر المسيحيون، خطاه وتعرفوا أخباره وأقواله، ما دَوَّنه منها في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه، وإن لم

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ١٢٠).

(٢) المرجع السابق (ص ١٢٤).

(٣) الإنجيل والصليب للقس عبد الأحد داود، (ص ١٦٠)، طبع في القاهرة، ١٣٥١ هـ.

(٤) ينظر: المسيحية، (ص ٩٨)، النصرانية والإسلام (ص ٢٦١).

يدونه هو، وتأثروا أعماله، فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه، واعتبروه القدوة الأولى»^(١).

كل هذه الأقوال تلفت نظر الباحث في مقارنة الأديان إلى دراسة شخصية بولس، وما كان له من أثر في النصرانية؛ ليعلم حقاً هل النصرانية الحالية منسوبة إلى عيسى أو إلى بولس؟

من هو بولس؟

بولس: هو شاول بن كيسي من سبط بنيامين، ولد في طرسوس، عاصمة ولاية كليكية (Cilicia) جنوبي آسيا الصغرى^(٢)، وهي تابعة لسوريا الآن، نزح إليها والداه من جيشالا (Clshala) مقاطعة يهودية شمالي الجليل^(٣). وكانت ولادته عقب ولادة المسيح بخمس، أو ست سنوات، لأبوين يهوديين، وتسمى بالاسم العبراني شاول على اسم أول ملوك بني إسرائيل، الذي اشترك معه في النسب؛ إذ كلاهما من سبط بنيامين.

وأما تسميته بولس فهي تسمية رومانية، ولعل التسميتين عادة انتشرت وقتذاك، بمعنى أن يحمل الشخص اسمين: أحدهما عبراني، والآخر روماني، أو يوناني، مكث في طرسوس فترة، ثم أرسل إلى أورشليم ليتلقى تعليمه الديني

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٦٥).

(٢) من الناس من يقسم آسيا إلى قطعتين: آسيا الصغرى، وهي: العراق وفارس وخراسان. وآسيا العظمى، وهي: الهند والصين والترك. ينظر: معجم البلدان (١/ ٥٤).

(٣) جبل الجليل: جبل في ساحل الشام، ممتد إلى قرب حمص، وهو جبل يقبل من جهة الحجاز، وهو من أعمال صيدا وبيروت، وقرية الناصرة التي كان يسكنها عيسى -عليه السلام- من قرى هذا الجبل. يراجع: معجم البلدان (٢/ ١٥٧، ١٥٨)، المواعظ والاعتبار (١٠/ ٢٥٩).

على واحد من أكبر معلمي اليهود في عصره، يدعى عُمالايل^(١)، ومما ساعده على ذلك وجود أخت له متزوجة بأورشليم.

كما كان له إمام كبير بالثقافة اليونانية ولغتها، وكان يجيد العبرية الفصحى، بالإضافة إلى الآرامية -العبرية الدارجة-، توفي بروما سنة ٦٧ م، أو ٦٨ م^(٢).

عداؤه للمسيحية:

نشأ بولس نشأة يهودية، تربى فيها على كره أتباع المسيح، مما كان له أكبر الأثر بعد ذلك؛ إذ أذاق المسيحيين ألوان العذاب، وساعده على ذلك ما كان له من سلطان في بني إسرائيل، فقد كان من أتباع الملك، واتخذ بولس من عداؤه للمسيحيين سبيلاً للتقرب إلى الساسة الذين كانوا يشجعون ذلك، ولم نقل ذلك اقتراءً عليه، بل هذا ما جاء في كتب النصارى، وما حكاه هو عن نفسه.

ففي سفر الأعمال يقول عن نفسه: «وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعاً اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، ومقيداً ومسلماً إلى السجون، رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة، وجميع المشيخة»^(٣).

ويقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «فإنكم سمعتمهم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي؛ إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات

(١) حاخام يهودي قرّيسي، كان معروفاً جداً في القرن الأول الميلادي، وكان أول من طالب برفع القيود عن رسل المسيح، والكف عن اضطهادهم، مات في منتصف القرن الأول. يراجع: قاموس الكتاب المقدس: (ص ٦٦٢).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، (ص ٣٢٧-٣٣٨).

(٣) الإصحاح (٢٢)، الفقرات (٣-٥).

آبائي»^(١).

وجاء في سفر الأعمال أيضًا: «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية، والسامرة، ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس^(٢)، وعملوا عليه مناحة عظيمة، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءً، ويسلمهم إلى السجن»^(٣).

وفي سفر الأعمال: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالاً ونساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»^(٤).

ولكن:

ما قام به بولس ضد المسيحيين لم يشف قلبه، ولا سيما أنه وجد صدقاً في الإيمان من أتباع المسيح، يثبتون حتى القتل، ومع ذلك يزداد عددهم يوماً بعد يوم، وهذا يشكل خطراً على أورشليم، فكان عليه أن يحتال للقضاء على هذا الخطر الزاحف على مملكة أورشليم، وقد فعل.

(1) الإصحاح (١)، الفقرتان (٣، ٤).

(2) أول الشهداء عند النصارى، رسم شماساً، ووشى به إلى المجمع اليهودي أنه يخالف تعاليم موسى، ويدعو إلى إبطائها، مما كان سبباً في رجه بالحجارة من اليهود في أواخر السنة التي وقعت فيها حادثة الصلب. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار، للأب بطرس مرماج اليسوعي: (٢/ ٨١٥-٨١٧)، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ الثانية، ١٨٨٠م.

(3) الإصحاح (٨)، الفقرات (١-٣).

(4) الإصحاح (٩)، الفقرات (١-٣).

حيلته للقضاء على النصرانية:

لقد دفعت عداوة المسيحيين بولس للتظاهر بالدخول في المسيحية؛ استمراراً في حربهم بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل، بإفساد معالمها، وطمس مظاهرها، فدخلها في الظاهر؛ ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحاً يطعن بها. وندع الإمام القرافي يذكر لنا كيف احتال حتى يدخل النصرانية، مقوضاً أركانها، والحقيقة أنه يذكر لنا ما يعد كالروايتين، في احتياله، نذكرهما، ثم نعقب عليهما.

الأولى:

يقول: «كان بولس شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه، فأعمل الحيلة فحفظ الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته، فأجيب، فأظهر الاجتهاد والنصيحة، والمبالغة في وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمن، فاستيقظ في بعض الليالي وصاح، وأظهر الهلع مما رأى في منامه، فسأله الراهب؟ فقال: رأيت المسيح -عليه السلام-، ونفث في فمي، وبارك عليّ، وأنا أجد في نفسي كلاماً لا أدري ما هو منذ نفث، فذكر بعض ذلك الكلام، فوجدوه من الإنجيل، فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح -عليه السلام- به، ومن عظيم بركته، فقال الراهب: أنا أحق بالخدمة، وأنت أحق بالتقدمة، فصدّر وتقدم، واشتهر إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يوماً في السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم، قال لهم في بعض زياراتهم له: إن المسيح قد أمرني أن أنزل غداً من هذه القبلة، وأذبح نفسي في سفح هذا الجبل قرباناً للمسيح، فعظم ذلك عند الملوك؛ لفوات بركته، وألم مفارقتة، وكيف يذبح نفسه بيده، فلما أصبح الصباح، ودخلوا للوداع، تقدم أكبر الملوك منزلة وأعلاهم رتبة لينفرد بتوديعه، فقال له بولس: إن عندي سرّاً أودعك إياه قبل الممات، فاعلم مقداره، وارفع مناره، فقال له: ما هو

أيها الأب القديس؟ قال: إن المسيح هو ابن الله تعالى، فقال له: ابن الله؟! فقال: ابن الله، ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم.

ثم دخل الملك الأوسط فقال له: إن عندي سرًا عظيمًا، أوثرك به فاحفظه واعمل به، فقال له: وما هو؟ قال: مريم زوجة الله، فاعتقد الملك ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم.

ثم دخل الملك الأصغر فهول عليه وأودعه أن الله ثالث ثلاثة، ثم خرج عند تعالى النهار، والعالم قيام في صعيد واحد، ينتظرون ماذا يكون من أمر بولس، فخرج من صومعته، وعليه ثياب القربان، ومعه سكين مرهفة، ونزل إلى سفح الجبل وذبح نفسه بيده، ثم ذهبوا إلى بلادهم، فأظهر الملك الأكبر معتقده الذي أسره إليه، وكذلك الملكان الآخران، فأنكر كل منهما على صاحبه مقاتله، وقال: إن الراهب بولس لم يقل هذا، ولا جاءت به النبوات، ولا الكتب، فهذا كفر، فقاتل كل منهما الآخر ديانة وتقربًا، فصار بأسهم بينهم، والقتل فيهم بسيوفهم، وبسيوف اليهود، وذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد، وما أبلغ هذا الكيد!

والثانية:

يقول القرافي: «وقال المؤرخون: إن عيسى -عليه السلام- لما دعا بني إسرائيل للإيمان، أجابه نفر يسير، ثم رفع، فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ اتباعه سبعمائة رجل، فكانوا يجاهدون في بني إسرائيل، ويدعون للإيمان، فقام بولس، فهزمهم، وأخرجهم من الشام إلى الدروب، فأعجزوه، فقال: إن كلامهم يستحلى، وإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم، عن ملتهم، يتكثرون علينا، فتعاهدوني على كل شيء خيرًا أو شرًا ففعلوا، فخرج إليهم وقد لبس

لباسهم ليضلهم، فلما رآه النصارى، قالوا: الحمد لله الذي أمكن منك، فقال لهم: اجمعوا لي أكابركم، فإنه لم يبلغ مني حمقي أن آتيكم إلا ببرهان، فقال: أكابرهـم مالـك؟ قال: لقد لقيني المسيح عند منصرفي عنكم، فأخذ سمعي وبصري وعقلي، فلم أسمع، ولم أبصر، ولم أعقل، ثم كشف عني، فأعطيت الله عهداً أن أدخل في أمركم، فأتيت لأقيم فيكم وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه^(١)، وأمرهم أن يبنوا له بيتاً ويفرشوه رماداً؛ ليعبد الله تعالى ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله، ثم أغلق الباب فطافوا به، وقالوا: نخشى أن يكون رأى شيئاً يكرهه، ثم فتح بعد يوم فقالوا: رأيت ما تكرهه؟ قال: لا، ولكني رأيت رؤيا أعرضها عليكم... فإن كان صواباً فخذوه، ثم قال: هل رأيتم سارحة^(٢) تسرح إلا من عند ربها، وتخرج إلا من حيث تؤمر به؟ قالوا: نعم، قال: فإني رأيت الصبح، والليل، والشمس، والقمر، والبروج، إنما تأتي من هاهنا -وأشار إلى المشرق-، ثم قال: وذلك أحق الوجوه أن يصلى إليه، فقالوا: صدقت، فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين، ففزعوا أشد من الأول، فطافوا به، ففتح الباب، فقالوا: هل رأيت شيئاً تكرهه؟ قال: لا، ولكني رأيت رأياً، قالوا: هات، قال: أَلستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية، فردها شق عليه؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله سخر لكم ما في الأرض جميعاً، وما في السماء، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه، فما بال بعض الأشياء حلال، وبعضها حرام؟ ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا: صدقت فاتبعوه في إباحة المحرمات، ثم أغلق بعد ذلك ثلاثاً، ففزعوا أشد من

(١) يراجع: ظهور عيسى، لبولس، وأخذه سمعه وبصره في سفر الأعمال، الإصحاح (٩)، الفقرات (٣-٩).

(٢) السارحة: الماشية التي تسرح بالغذاء إلى مراعيها. لسان العرب (٢/٤٧٨)، مادة (سرح).

الثانية، فلما فتح قال لهم: رأيتم رأياً، قالوا: هات، قال: ليخرج كل من في البيت إلا يعقوب ونسطور وملكوت والمؤمن، ففعلوا، فقال: هل علمتهم أحداً من الإنس خلق من الطين خلقاً، فصار نفساً؟ قالوا: لا، قال: وهل علمتم أحداً من الإنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى؟ قالوا: لا، قال: فإني أقول: إن الله تجلى لنا ثم احتجب، فقال بعضهم: صدقت، وقال بعضهم: لكنه ثلاثة، والد، وولد، وروح القدس، وقال بعضهم: إله وولد، فافترقوا على أربع فرق:

فأما يعقوب: فأخذ بقول بولس: إن الله هو المسيح، وبه أخذت شيعته، وهم اليعقوبية.

وأما نسطور: فقال: المسيح ابن الله على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية.

وأما ملكوت: فقال: إن الله ثالث ثلاثة، وبه أخذت شيعته وهم الملكية.

فقام المؤمن وقال لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا لإفسادكم، ونحن أصحاب المسيح قبله... فقال بولس للذين اتبعوه: قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو وأصحابه، وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن إلى قومه وقال: أستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذا قال لكم؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا الملعون أضل هؤلاء القوم، وركب بولس ومن معه أثرهم، فهزم المؤمن وأصحابه، وخرجوا إلى الشام فأسرته اليهود، فأخبروهم الخبر، وقالوا: إنما خرجنا إليكم لنأمن في بلادكم، وما لنا في الدنيا من حاجة، إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح في الأرض، فتركوهم، فهو قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وأدرك النبي ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهباً فاتبعوه، وماتوا على الإسلام، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]؛ أي: بالحجة، وكانت هذه

الوقعة بعد المسيح بأربعين سنة»^(١).

تعقيب:

١- قد يعجب الذين درسوا الديانات، وعرفوا أحوال رجالها وأدوارهم، فيقولون: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرة من غير سابق تمهيد؟ ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباهاً، بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير، وليس له مثابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط، وهذه تورااة اليهود وأسفار العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون كما رووها وكما قالوها، ليدذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداداً لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلب على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولكن بولس أبا العجب، استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله، وآراءه وتعاليمه^(٢).

٢- قد لا يسلم بالرواية الأولى لما فيها من غرابة؛ إذ كيف يقتل إنسان نفسه بيده مع ما عرف عنه من عبادة قبلاً؟

ولكن هذا التعجب يزول، وتلك الغرابة تنتهي، إذا علم أن القائم بهذا الأمر يهودي يبغى الفساد والإفساد، وأما التعجب من قتل النفس، فلا شيء فيه، ولا سيما أن مثله كثير يقع في دنيا الناس، وكم من أناسٍ ماتوا في سبيل تحقيق

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ١٢٠-١٢٣).

(٢) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٦٩).

أهدافٍ لهم، وخصوصًا إذا كان الدافع وراء ذلك دينيًا، وقد سبق إنكار اليهود لنبوة عيسى، وموقفهم من أتباعه. وأما الرواية الثانية: فلا يمكن إنكارها؛ ذلك لأن لها أصلاً في كتب النصارى.

٣- يلاحظ في الصورتين قيامهما على الرؤيا، ففي الأولى رؤيا منامية، وفي الثانية رؤى علمية ومنامية أيضًا.

والحقيقة: أن معظم دين النصارى بعد عيسى -عليه السلام- يقوم على رؤى، وخيالات، وأوهام، فإذا رأى أحد مقدميهم رؤيا جعلوها وحياً، وإذا ارتأى رأياً جعلوه شرعاً، هذا في معظم شرائعهم.

يقول شارل جنير^(١): «وهكذا كان خيالهم بدافع التقوى، يزين الأحداث... واسترسلوا في سذاجتهم وبساطة مشاعرهم، فأصبحوا لا يفرقون بين الخيال والذكريات الحقيقية، ولقد خلطوا بينهما في تلك التعاليم التي نشرها من حولهم... وكان تحمسهم للعقيدة لا يدع لهم مجالاً لمقاومة ما توحى به الرؤى، والتهيزات الفردية، فكل ما يمليه اتصال الواحد منهم اتصالاً خيالياً مباشراً بالروح القدس يؤخذ قضية مسلمة، وفرضاً ضرورياً على الجميع أن يؤمنوا به»^(٢)، وهذا واضح فيما ذكره القرافي، فقد التفوا حول بولس لرؤيا رآها، وصار

(١) مسيحي كاثوليكي فرنسي، ولد بفرنسا، وتعلم بها، وتخصص في تاريخ الأديان على وجه العموم، وتاريخ المسيحية على وجه الخصوص، ترقى في المناصب الجامعية حتى صار أستاذاً ورئيساً لقسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، توفي بعد الحرب العالمية الثانية بزمين يسير، المسيحية ونشأتها وتطورها لشارل جنير، تقديم د. عبد الحليم محمود (ص ٥، ٦)، دار المعارف، بدون تاريخ.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص ٣٥)، دراسة تحليلية نقدية الإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً، د. محمد عبد الحليم أبو السعد (ص ٢٢٥)، «رسالة دكتوراة منشورة»، مطبعة الجبلابي، شبرا، مصر، ط / الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

مقدمًا عندهم، وتركوا تعاليم دينهم وارتضوا دينًا آخر، ووقع القتال بينهم لرؤيا أخبر بها شخص سبق عداؤه لهم.

٤- كما أنه يلاحظ أن الروايتين وإن اختلفتا في الأحداث، فقد اتفقتا في النتيجة، وهي إثارة الفرقة بين النصارى، وإبعادهم عن دينهم، وهذا مكنم الخداع؛ ذلك لأن بولس علم بدهائه أن قوة النصارى في اتحادهم، وأن سلطانهم في اعتصامهم بتعاليم دينهم، فحاك مكائده لإيقاع الفرقة بينهم، ودس دسائسه لإبعادهم عن دينهم، وقد حصل له مراده، ويمكن إجمال مفاصله في السطور الآتية.

مبتدعات بولس في النصرانية:

من خلال ما ذكره القرافي نذكر ما أحدثه بولس في النصرانية:

- ١- حول قبلتهم من بيت المقدس إلى المشرق.
- ٢- أباح لهم المحرمات، فما بين البقة إلى الفيل حلال.
- ٣- كان هو السبب في افتراق النصارى.
- ٤- قضى على التوحيد، وأقام مقامه ما يسمونه بالتثليث.
- ٥- كان هو السبب في اعتقاد بعضهم أن المسيح ابن الله، واعتقاد بعضهم أن الله هو المسيح ابن مريم.
- ٦- كان سببًا في ترك النصارى شريعة الختان^(١).

ويمكن إضافة ما لم يذكره القرافي:

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٧)، الفقرات (١٨ - ٢٠)، وينظر أيضًا: رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح (٣)، الفقرة (١).

٧- هو الذي أوصى بما يحدث في الكنائس اليوم من الأغاني والمزامير والتراتيل^(١).

٨- أهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عن اليهود، وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد^(٢).

٩- جعل المسيحية ليست ديناً لبني إسرائيل فقط، بل هي دين عالمي.

ولعل هذا المبدأ هو نقطة التحول في تاريخ هذه الديانة؛ لأن فتح باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يدخل على دياناته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بني إسرائيل، وأفكار الأمم المختلفة التي فتح لها باب المسيحية^(٣).

١٠- أدخل فيها اعتقاد أن عيسى قام من الأموات، وعاد إلى السماوات ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر^(٤).

من خلال ما ذكرنا من ابتداعات بولس، يمكن القول: إنه هدم مسيحية عيسى -عليه السلام-، وأقام على أنقاضها مسيحيته، ولا نقول افتراءً عليه، بل هذا اعتراف الفاتيكان، واعتراف أحد قساوسة النصارى «عبد الأحد داود».

أما الفاتيكان فقد نشر كتاباً بعنوان «المسيحية عقيدة وعمل» جاء فيه: كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع.

(١) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح (٥)، الفقرة (١٩).

(٢) النصرانية والإسلام (ص ٢٥٧-٢٥٩).

(٣) ينظر: المسيحية (ص ١٠٢، ١٠٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص ١٠٣).

يقول دكتور/ أحمد شلبي: «وذلك أمر يستدعي الدهشة، فليس لإنسان أن يسمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيثار، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية، وكان تشويها وتدميرها هدفاً من أهدافه»^(١).

وأما القس عبد الأحد داود فيقول عن بولس: «لا محل للحيرة إذا قلت: إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس، فإن شاول الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين، ومن مذهب الفريسيين، وتلميذ أحد علماء الدهر المدعو عماثيل، الذي كان يجتهد في محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض»^(٢).

وهنا يدور في الذهن أسئلة، كيف تنتشر مسيحية بولس مع وجود تلاميذ المسيح وأتباعه؟ فهلا اعترضوا؟ أو كتبوا ما يدفعون به تعاليم بولس؟

أسباب انتشار مسيحية بولس:

١- ما ذكره بولس عن نفسه في سبب تنصره من ظهور المسيح له، جعل النصارى يعتقدون أن المسيح فعل ذلك اهتماماً به، وشخص اهتم به الرب - عندهم - لا بد من قبول كل ما يقول، ولم يكتف بولس بما زعم، بل إنه صرح عن نفسه بأن الإنجيل الذي يبشر به لم يأخذه عن بشر، بل أخذه عن المسيح مباشرة، وذلك قوله: «وأعرفكم أيها الإخوة: الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان؛ لأنني لم أقبله من عند إنسان، ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح»^(٣).

(١) المسيحية، (ص ١١٤).

(٢) الإنجيل والصليب (ص ١٦٠)، محاضرات في النصرانية (ص ٦٩)، النصرانية والإسلام (ص ٢٥٢).

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح (١)، الفقرة (١١، ١٢).

٢- كان بولس شديد التأثير في الناس، يستطيع أن يسيطر على أهوائهم، وأن ينتزع الثقة ممن يتحدث إليهم، حتى إنه استطاع أنه يقنع برنابا بأن يصدقه في أنه رأى المسيح، كما استطاع أن يحتل مركز الصدارة بين التلاميذ، وأن يضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية^(١).

٣- لكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته، لم يفته أن يوصي العبيد بخدمة أسيادهم بأمانة وإخلاص، مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعتقوهم، فتراه يقول في رسالته إلى أهل أفسس: «أيها العبيد أطيعوا ساداتكم حسب الجسد، بخوف، ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح»^(٢).

ويقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «جميع الذين هو عبيد تحت نير، فليحسبوا ساداتهم مستحقين كل إكرام؛ لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه»^(٣)، ويقول في رسالته إلى تيطس: «والعبيد أن يخضعوا لساداتهم، ويرضوهم في كل شيء غير مناقضين، غير مختلسين، بل مقدمين كل أمانة صالحة»^(٤).

ولذلك؛ فقد تركته السلطات الرومانية يبشر بدعوته التي لا حرج منها ولا خطر، ما دامت تقضي بمضاعفة العبيد لجهودهم في خدمة أسيادهم، وتقديم الرعاية لهم^(٥).

٤- التعاليم التي دعا إليها بولس كانت منتشرة ومستساغة لدى معاصريه، فلم تكن هناك أية صعوبة في قبول، وتصديق الأساطير، مما سهل مهمته إلى حد

(١) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢١٧)، النصرانية والإسلام (ص ٢٤٧).

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح (٦)، الفقرة (٥).

(٣) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح (٦)، الفقرة (١).

(٤) رسالة بولس إلى تيطس، الإصحاح (٢)، الفقرتان (٩، ١٠).

(٥) النصرانية والإسلام (ص ٢٥٠).

كبير؛ لأن فكرة المنقذين والآلهة المتجسدة كانت منتشرة عند الرومان، واليونان، والمصريين، والفرس، والهند، والصين، فتج عن ذلك أن اتبع بولس أناس كثيرون، بسبب سهولة تقبل دعوته المشابهة لعقائدهم، وبهذا خدم بولس أطماعه التوسعية، وهكذا نجد بولس قد عرض المسيحية على أصحاب العقائد المختلفة بالصورة التي ترضي كلاً منهم، وترتب على ذلك أنهم دخلوا الديانة الجديدة بعقائدهم وأفكارهم القديمة^(١).

٥- لم يتحرز بولس من استخدام كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع، ولذلك كان يكشف لكل جماعة عن الوجه الذي يلائمها، وذلك قوله: «إذ كنت حرّاً من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس، كأني بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قومًا^{(٢)(٣)}.

٦- كان بولس نشيطاً دائماً الحركة ذا قوى لا تكل، ونفس لا تمل، كما كان ألمعياً شديد الذكاء، بارع الحيلة، قوي الفكر، يدبر الأمور لما يريد بدهاء الألمعي،

(١) يراجع: المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٨٨) وما بعدها، مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين (ص ١٥٥)، طبع / الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية، الرياض، سنة ١٤١٣ هـ. ١٩٩٢ م. أضرار تعليم التوراة والإنجيل، لتشارلز واطس (ص ٩١، ٩٢)، ت / محمد علي سلامة، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٩)، الفقرات (١٩ - ٢٣).

(٣) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢١٦)، مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ١٥٤، ١٥٥).

وذكاء الأروعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها.

بكل هذه الأمور استطاع بولس أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين، فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة، زاعمين أن له رسالة أرسل بها^(١).

هل اعترض تلاميذ المسيح على بولس؟ أو كتبوا شيئاً يدفعون به تعاليمه؟

لقد تخوف حواريو المسيح -عليه السلام- من بولس، وتشككوا في أمره غير ناسين عداؤه لهم من قبل، لكن برنابا -وقد خدعه بولس بدهائه- دافع عنه، وأحسن تقديمه إليهم حتى قبلوه^(٢).

ولكن سرعان ما انفض أكثرهم عنه، لما علموا نواياه، وما يريد أن يبشر به، وذلك قول بولس إلى تلميذه تيموثاوس: «أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني»^(٣).

والسبب في ذلك: أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- كانوا بفلسطين من بلاد آسيا، وآسيا هي موطن الديانات، ومقر التوحيد، وكان التوحيد لا زال قائماً، فلما ظهرت نوايا بولس، ثار عليه أتباع المسيح، مما اضطره إلى أن يخرج بدعوته إلى بلاد الغرب، ولم تلق دعوته قبولا في بادئ الأمر في بلاد الشرق.

وقد ذكر بولس ذلك فقال -وهو ينقل ردود أفعال التلاميذ-: «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليّ بشيء، بالعكس إذ رأوا أنني أوثمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان، أعطوني برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما

(١) يراجع: المسيحية نشأتها وتطورها: (ص ٩٠، ١١٠)، محاضرات في النصرانية (ص ٦٨، ٦٩).

(٢) سفر أعمال الرسل، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٦-٢٩).

(٣) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح (١)، الفقرة (١٥).

هم للختان... وهذا عينه ما كنت اعتنيت أن أفعله»^(١).

وعلى ما يبدو مما ذكره بولس في الكلام السابق من إرساله إلى الأمم، أن التلاميذ أرادوا إبعاد بولس عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح، وأوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم، وأما إرسال برنابا معه فيبدو أنه كان بقصد التوجيه والإصلاح لبولس، وهو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب^(٢).

ولكن برنابا لما رأى فساد نواياه؛ تركه ولم يواصل معه رحلاته التبشيرية، وذلك ما جاء في سفر الأعمال: «قال بولس لبرنابا: لنرجع ولنفتقد إخواننا في كل مدينة نادينا فيها كلمة الرب كيف هم، فأشار برنابا أن يأخذ معها أيضًا يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما - مرقس - ... لا يأخذانه معها، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص»^(٣).

هذا: ويرفض المحققون اعتبار أخذ مرقس معها وعدمه سببًا للافتراق، ويرون أن الأمر أكبر من ذلك فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره، وقد جاء في مقدمة إنجيل برنابا: «كانوا عديمي التقوى والإيمان، الذين ضلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح، ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح (٢)، الفقرات (٧-١٠).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ د/ منقذ السقار (ص ٤٢)، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط/ الأولى، ٢٠٠٦م.

(٣) الإصحاح (١٥)، الفقرات (٣٦-٤٠).

السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي؛ لكي تخلصوا ولا يضلحكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما كتبه»^(١).

ويستدل المحققون لرأيهم بأنه لا يعقل أن انفصل الصديقان ويتشاجر بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما، خاصة أن بولس رضي فيما بعد برفقة مرقس^(٢)، ورغم تراجع بولس على عدم اصطحاب مرقس، فإنه لم يرد شيء يدل عن تحسن العلاقة بين بولس وبرنابا^(٣).

ولم يكتفِ تلاميذ المسيح بمجرد التخلي عن بولس، بل لا بد أنهم أنكروا ما جاء به قولاً وكتابة، فلا بد أنهم كتبوا ما يدفعون به تعاليم بولس، وهذا أمر لا يحتمل الشك، ولكن أين ما كتبوه؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟

والجواب:

أنه لا يوجد منه شيء الآن، فلا بد أن يكون قد ضاع، أو دمرته يد الطغيان، والغوغاء في العصور المظلمة، كما دمرت إنجيل عيسى، أو أن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير، وأخفاه ذووه، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى كان مجمع نيقية^(٤)، حيث تقرر أن يختار الكتاب المقدس للمسيحيين،

(١) الفقرات (٢-١٠)، ترجمة د. خليل سعادة، تقديم الشيخ/ محمد رشيد رضا، دار/ الفتح للإعلام العربي، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح (٤)، الفقرة (١١).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٤٤، ٤٥).

(٤) يسمى المجمع المسكوني الأول، ومعنى المسكوني: أي الذي شهده أساقفة، وقساوسة، وشمامسة الكنائس من سائر أنحاء المسكونة، وهذا المجمع عقد في مدينة نيقية -بأسيا

فقدمه أصحابه للمجتمعين، ولكن القائلين بالتوحيد - وهم الأغلبية الساحقة بهذا المجمع - غلبوا على أمرهم، وانهقد المجمع بدونهم في أقلية تقول بألوهية المسيح، واتخذت قرارًا بذلك، وهؤلاء الذين قالوا بألوهية المسيح هم الذين اختاروا من بين الأنجيل والرسائل الموجودة ما لا يعارض هذا القرار، وقضوا على ما سواها بالفناء، ولم يظهر لنا من الثروة التي قضى عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا، وقد كشف في القرن الثامن عشر، وقد ذكر برنابا أنه ألف إنجيله؛ ليرد على الضلالات التي يذيعها بعض الناس، ومنهم بولس - كما سبق - ومرت حقبة من الزمن انهزمت فيها مبادئ عيسى - عليه السلام -، وفنى حواريوه، وضاع التراث الفكري الذي خلفوه، أو اختفى، وتم النصر لأفكار بولس، وبخاصة عندما أيدت القوة الرومانية في مطلع القرن الرابع هذا الاتجاه، وحاربت سواه^(١).

وبعد:

فقد استبان مما ذكرناه صحة ما قاله الإمام القرافي من أن بولس إبليس على النصارى، أخرجهم من دينهم كما تخرج الشعرة من العجين، كما أنه اتضح من الذي ذكرناه عن الإمام القرافي دقة الشيخ، وذكرؤه في تحديد محل الطعن، إذ إنه

=

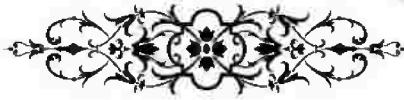
الصغرى - عام ٣٢٥م، بدعوة الإمبراطور قسطنطين الكبير، والسبب في انعقاده ما كان من القس آريوس الإسكندري الذي كان يدعو إلى عيسى عليه السلام ليس إلهًا، بل هو مخلوق محبوب.

وقد انتهى المجمع بحرمان آريوس ونفيه، وإحراق كتبه، والأمر بإعدام من يتستر عليها، وقرر في هذا المجمع قانون الإيمان المسيحي المسمى عندهم بالأمانة. يراجع: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ١٩١)، تاريخ الأمة القبطية، إعداد لجنة التأليف القبطي: (ص ١١٢، ٢١٣)، مطبعة التوفيق، مصر، ١٩٢٢م.

(١) ينظر: المسيحية، (ص ١٠٩)، النصرانية والإسلام (ص ٢٥٦، ٢٥٧).

بتناوله هذا الموضوع، شكك في جملة دين النصارى، وإذا حصل الشك في أصل دينهم؛ -لأنه ليس دين عيسى، بل هو دين بولس - فعلام يعول بعدها؟

والله أعلم

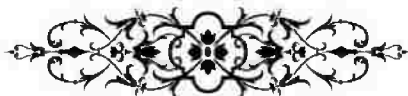


المطلب الثالث أناجيل النصارى وموقف القرايى منها

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: الأناجيل وكاتبوها.

المسلك الثانى: موقف القرايى من أناجيل النصارى.



obeikandi.com

المسلك الأول الأناجيل وكاتبوها

للأناجيل عند النصارى قدر عظيم ومكانة عالية، فمكانها عندهم، مكان القطب والعماد، فإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتعلة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، فهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء؛ أي: أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح^(١)، والأناجيل المعتبرة في النصرانية أربعة: «متى - مرقس - لوقا - يوحنا»، حتى إن لفظ الإنجيل عندهم يختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد^(٢).

وقبل أن نتناول هذه الأناجيل الأربعة بشيء من الدراسة، نود أن نبين معنى كلمة إنجيل، وهل كانت للنصارى أناجيل غير هذه الأربعة، وهل إنجيل عيسى -عليه السلام- واحد من هؤلاء وأين هو.

معنى كلمة إنجيل:

كلمة إنجيل معربة عن أصل يوناني «أيفنجليون»، وهذا الأصل مركب من كلمتين «إيف» ومعناها: جيد، حسن، صلاح، صدق، و«انجليون» ومعناها: الإخبار بخبر من الأخبار، ويكون معنى اللفظتين معاً: الإخبار بالخبر الحق، أو السار، فكلمة: إنجيل تعني: البشارة، أو الخبر السار.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٣٧).

(٢) إظهار الحق (ص ٥٦ / ١).

والسبب عند النصارى في إطلاق هذا الاسم عليه: أنه يعلن للملأ محبة الله المطلقة للخطاة.

يقول متى هنري في مقدمة تفسيره لإنجيل متى معللاً تسمية الإنجيل بهذا الاسم: «إن مجيء المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة، هو بلا شك أفضل الأخبار التي أتت من السماء إلى الأرض»^(١).

ويذكر بعض الباحثين: أن الكلمة مرت بأطوار دلالية حتى استقر إطلاقها على الكتب الأربعة عند النصارى، فيقول: «كلمة إنجيل كلمة يونانية معناها الحلوان، وهو ما تعطيه من أتك بشرى، ثم أريد به البشرى عينها، أما المسيح فقد استعملها بمعنى بشرى الخلاص التي حملها إلى البشر، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم، نقول: إنجيل متى، إنجيل لوقا»^(٢).

ويخص جون فنتون -عميد كلية اللاهوت ببليستشفيد بانجلترا- كلمة إنجيل بالمادة التي تتحدث عن أقوال المسيح وأفعاله فقط، فيقول: «يبدو أن كلمة إنجيل تعني: ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال المسيح، وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم بها نفسه»^(٣).

ويستنبط من تعريفه: أن الأناجيل ليست منزلة من عند الله تعالى، بل هي

(١) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٤٨ - ٢٥٠)، تفسير العهد الجديد: (المقدمة) نشر دار الثقافة المسيحية، مصر، ٢٠٠٢ م.

(٢) المسيحية، (ص ١٧٢).

(٣) الجوانب الخفية من حياة المسيح، ناصر منشاوي (ص ٤٦، ٤٧)، دار/ الهواري للتراث، مصر، ط/ ٢٠٠٣ م.

مادة ألفها ورتبها مؤلف، وليست خاضعة لتبليغ جاء به رسول، بل هي تابعة لمعتقدات محددة ألزم الشخص بها نفسه، قد تكون خطأ، وقد تكون صواباً.

ولم تكن الأناجيل أربعة فقط، بل كان هناك أناجيل كثيرة^(١) بجانب هذه الأربعة، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قرره مجمع نيقية؛ أي: قرره أولئك الذين اتخذوا قراراً بالوهية المسيح، ومن ثم ألغى هذا المجمع كل الأناجيل التي لا تتفق وقراره، والتي لا تلائم الاتجاه الذي ابتدعه بولس، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين، وكون منها ما أطلق عليه العهد الجديد، ورد المجمع كل ما سوى ذلك، وعده هراء بالغاً، وكفراً وزيفاً يجب إفناؤه، ويعاقب من قال به، أو حمله^(٢).

ولا نقول ذلك تقولاً على النصارى، بل هذا ما شهد به بعض قساوستهم الذي أسلم عبد الأحد داود إذ بين أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن معترفاً بها قبل القرن الرابع، وأنها اختيرت من بين ما يزيد عن أربعين إنجيلاً في قوله: «إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو الرسالة الموضوع من قبل ثمانية كتاب^(٣) لم تدخل

(١) مثل: إنجيل يعقوب، وإنجيل بطرس، إنجيل العبرانيين، إنجيل توما، إنجيل المصريين، إنجيل نيقوديموس، فيلبس، إنجيل الرسل الاثنى عشر، إنجيل فيليب، إنجيل اندريا. وغيرها. يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٤)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٩٨) وما بعدها. دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٥٠) وما بعدها.

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ٣٧)، المسيحية (ص ١٧٤).

(٣) كتاب العهد الجديد ثمانية: فمتى ومرقس كل كتب إنجيله، ولوقا، كتب الإنجيل وسفر أعمال الرسل، ويوحنا كتب إنجيله وثلاث رسائل، وهو صاحب الرؤيا في العهد الجديد، وبولس له أربع عشرة رسالة، وبطرس له رسالتان، ويعقوب بن زبدي له رسالة واحدة، ويهوذا المدعي لبّاس له رسالة واحدة، وهو غير يهوذا الإسخريوطي الذي شهد على المسيح وخانه.

في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية وحكمه سنة (٣٢٥م)، لذلك لم تكن هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة، وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأناجيل، ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق، هناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلًا، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى، وصادق عليها، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بالوهية المسيح وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية، وتقرر إحراق ما سوى ذلك كله^(١).

وإذا كانت أناجيل النصارى اليوم أربعة، فهل الإنجيل الذي جاء به عيسى -عليه السلام- واحد من هذه الأربعة أو غيرها؟ وإذا كان غيرها فأين هو؟
والجواب:

أنه يوجد في أناجيل النصارى عبارات تذكر كلمة إنجيل، أو بشارة -التي هي ترجمة لكلمة إنجيل باليونانية كما سبق- مضافة أحيانًا إلى المسيح على أنه ابن الله، وأحيانًا إلى الله، وأحيانًا إلى ملكوت، فنرى مثلاً في إنجيل متى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت»^(٢)، وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية، ونجد في إنجيل مرقس، «وبعدما

(١) الإنجيل والصليب (ص ١٤).

(٢) الإصحاح (٤)، الفقرة (٢٣).

أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»^(١)، وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: «أولاً: أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم، فإن الله الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي»^(٢).

وفي رسالته إلى أهل كورنثوس: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قومًا، وهذا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه»^(٣).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ففي هذا كله نجد كلمة إنجيل أو كلمة بشارة -وهي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية- مضافة إلى ملكوت الله، كما في إنجيل متى ومرقس، وإنجيل الابن كما في رسالة بولس إلى أهل رومية، وكلمة إنجيل من غير إضافة كما في إنجيل مرقس ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحدًا من هذه الأناجيل؛ لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل كما في عبارة متى التي نقلناها، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه، وهم بعد لا يزالون في دور العلم، ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائمًا على عهد عيسى، ولأنه ذكر من غير نسبة كما في إنجيل مرقس، ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس، وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة إلى أهل رومية منسوبًا إلى المسيح الابن،

(١) الإصحاح (١)، الفقرتان (١٤، ١٥).

(٢) الإصحاح (١)، الفقرات (٨ - ١٠).

(٣) الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٢ - ٢٥).

وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم، ولهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحدٌ منها، كما تقضي بذلك طبيعة السياق، وكما يقضي بذلك العقل، وإذا كان الأمر كذلك فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلاً أصيلاً نزل على عيسى، وكرز به ووعظ على حد تعبيرهم، ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟ ولقد يمهد لهذا الرأي ويرشح له أننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلاً لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح وخلاصة أحواله.

ثم ذكر قول أكهارن -أحد مؤرخي المسيحية-: «إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة، يجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بأذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة معقبًا: «إذن؛ فهؤلاء الأحرار يقرون أنه كان هناك إنجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب، ولكنه غير موجود»^(١).

وندع صاحب كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» يخبرنا أين ذهب إنجيل عيسى؟ بقوله: «ثم أقول: إن الاضطهادات التي جرت على الأمة النصرانية هي التي أنتجت ضياع الإنجيل الصحيح، وتركتهم في مشكل من تعدد الأناجيل، وتجدد الأباطيل، وقد ذكرها العلماء منكم الواقفون على علم التاريخ وقوفًا لا تنكرونها، -ثم عدد علماءهم الذين ذكروا ذلك، وقال- فإنهم صرحوا في كتبهم التي ألفوها بذلك، وأوضحوا فيها أحوال النصرانية وما جرى عليها من

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٥١، ٥٢).

الفساد، وأن تلك الاضطهادات التي أوجبت ذلك الفساد بدأ ظهورها سنة ٦٤م. وتكرر وقوعها سنة ٦٥، ٩٥، ١٠٧، ١١٨، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٧٤، ٣٠٣ إلى سنة ٤٠٤م. حتى استقر الحال على هذه الأنجيل^(١).

هذا: ولا يعتقد المسيحيون بالوحي الحرفي الذي يعتقد المسلمون في القرآن، فهم لا يقولون بأن الأنجيل نزلت على كاتبها من الله أو الملائكة حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، بل يقولون: إن الله عز وجل إذا ما قصد بسمو لطفه، وحكمته أن يبلغ البشر شيئاً من أسرارهِ حرك باطن كاتب يختاره، فيبعثه على كتابة السفر المقصود، ثم يمدّه بتأييده الخاص، ونعمته المختارة، ويلهمه اختبار الحوادث، والظروف والأعمال والأقوال التي شاء الله سبحانه رقمها لفائدة عباده، وكان له رقيباً ومرشداً، وعصمه من الخطأ في نقلها وتسطيرها، أفراداً وإجمالاً بحيث إنه لا ينقل إلا ما ألهمه الله إياه، وهذا كافٍ -عندهم- لأن يُعزى الكتاب إلى الله، فكتبوا الكتب عندهم معصومون في التبليغ إن كانوا أنبياء، والتحرير إن كانوا حواريين أو غيرهم، وإن ظهر لأحد في موضع من المواضع في تحريرهم اختلاف أو محال عقلي، فذلك دليل نقصان علمه وفهمه^(٢).

وإذا كان لا بد من هذه التقدمة التي ذكرناها فلا بد أن نقف مع كل إنجيل نفصل القول فيه:

إنجيل متى: من هو متى؟

متى هو: أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، كان من الجليل، ويدعى لاوى، ويسمى المسيحيون التلاميذ الاثنى عشر رسلاً، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٥).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٧، ٨).

جباة الضرائب الذين كانوا يسمون في ذلك العهد عشارين، وكان العشارون جباة رسمين يعملون لحساب الرومان المستعمرين، ولذلك كانوا ممقوتين لدى الشعب، ومعتبرين خطاة في نظر عامة الناس، وخصوصاً اليهود الذين كانوا ينظرون للجباية نظرة ازدراء؛ لأنها تحمل صاحبها على الظلم، أو على الأقل تحمله على العنف، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المعتصبة التي تحكم البلاد بغير رضا أهلها.

ولكن السيد المسيح اختاره تلميذاً من تلاميذه، كما جاء في إنجيله: «وفيا يسوع مجتاز من هناك، رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية، اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام واتبعه»^(١).

رحل إلى الحبشة ومات به سنة ٧٠ م. على إثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، وقيل: إنه طعن برمح في سنة ٦٢ م. بالحبشة، بعد أن قضى بها ثلاثاً وعشرين سنة، داعياً للمسيحية مبشراً بها^(٢).

ولم يرد له ذكر في العهد الجديد سوى مرتين، أما المرة الأولى فعندما نادى عليه المسيح وهو في مكان عمله في الجباية - كما ذكرنا في اختيار المسيح له-، وأما المرة الثانية ففي سياق عد أسماء التلاميذ الاثنى عشر^(٣).

والجدير بالذكر أن مرقس ولوقا يذكران أن العشار الذي لقيه المسيح في محل الجباية هو لاوى بن حلفى^(٤)، ولم يذكر اسم متى، وتزعم الكنيسة بلا دليل أن

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٩)، الفقرة (٩).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٢٤)، محاضرات في النصرانية (ص ٣١-٤٠).

(٣) متى، الإصحاح (١٠)، الفقرة (٣)، إنجيل لوقا، الإصحاح (٦)، الفقرة (١٥).

(٤) مرقس، الإصحاح (٢)، الفقرتان (١٤، ١٥)، لوقا، الإصحاح (٥)، الفقرات (٢٧-٢٩).

لاوى بن حلفى، هو اسم آخر لمتى العشار!

ولكن الأمر ليس كذلك، يقول جون فنتون مفسر إنجيل متى: «إنه لا يوجد دليل على أن متى هو اسم التنصير للاوى، ويرى أنه من المحتمل أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة، أو معلمها الذي كان اسمه متى، ويحتمل أن المبشر كاتب الإنجيل قد اغتتم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر «متى» الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها»^(١).

والحقيقة: أن كلام جون فنتون هذا وإن لم نأخذه مأخذ التسليم، فإنه يثير في النفس شكوكاً حول كاتب هذا الإنجيل.

من هو كاتب إنجيل متى؟

اشتهر أن متى الحواري تلميذ المسيح هو كاتب هذا الإنجيل، وتستدل الكنيسة على ذلك بأدلة أهمها:

١- الشواهد والبيانات الواضحة من نهج الكتابة التي تدل على أن مؤلف هذا الإنجيل كان يهودياً وتنصر، ومعلوم أن متى كذلك، جاء في مقدمة إنجيل متى في تفسير العهد الجديد: «ثم إن هذا الإنجيل مشحون بالأدلة على أن الذي كتبه كان مسيحياً عبرانياً، خبيراً بكتب شعبه المقدسة، ومتعمقاً في معانيها»^(٢).

٢- لا يعقل أن إنجيلاً خطيراً كهذا - هو في مقدمة الأناجيل - ينسب إلى

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٥٠).

(٢) تفسير العهد الجديد: (مقدمة إنجيل متى) (ص ١).

شخص مجهول والأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح.

٣- ذكر بابياس -من المؤرخي النصارى القدامى- أن متى قد جمع أقوال المسيح.

٤- من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات؛ لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة^(١).

ونظرة فيما ذكروه: تبين أنه ليس هناك دليل حقيقي عندهم على صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى؛ إذ ليس بالضرورة أن يكتب الجابي معلوماته الدينية كما يكتب متعلقات عمله، كما أن كتابة متى لأقوال المسيح لا تفيد صحة نسبة الإنجيل المنسوب إليه اليوم^(٢)، بل قامت الأدلة على أن الكاتب لهذا الإنجيل ليس من تلاميذ المسيح، ومن هذه الأدلة:

١- أن متى اعتمد في إنجيله على إنجيل مرقس، يقول فيلبس -وهو واحد من أكبر علماء المسيحية- في مقدمته لإنجيل متى: «إن القديس متى كان يقتبس من إنجيل القديس مرقس، وكان ينقحه محاولاً الوصول إلى تصور أحسن وأفضل لله»^(٣).

وجاء في المدخل إلى الكتاب المقدس تحت عنوان متى كتبت بشارة متى؟ لابد أن تكون كتبت بعد أن كتب مرقس بشارته؛ حيث إن متى كان حسن

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٨٣٢).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله (ص ٥٠، ٥١).

(٣) مناظرتان في استكھولهم بين الشيخ/ أحمد ديدات، وكبير قساوسة السويد/ استانلي شوبيرج (ص ٦٦)، ترجمة/ علي الجوهري، دار/ الفضيلة، مصر، بدون تاريخ.

الإطلاع على بشارة مرقس^(١).

ويضيف القس فهميم عزيز في «المدخل إلى الإنجيل» أن اعتماد متى على مرقس حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين، فإذا كان متى التلميذ هو كاتب الإنجيل، فكيف ينقل عن مرقس الذي كان عمره عشر سنوات أيام دعوة المسيح؟ كيف لأحد التلاميذ الاثنى عشر أن ينقل عنه؟ هل ينقل الشاهد المعائن للأحداث عن الغائب الذي لم يشهدها؟

٢- أن إنجيل متى يذكر متى العشار مرتين -سبق ذكرها- ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أنه الكاتب، وقد ذكر اسمه وسط قائمة التلاميذ الاثنى عشر، ولم يجعله أولاً ولا آخرًا، ثم لما تحدث عن اتباعه للمسيح استخدم صيغة الغائب، فقال: «وفيا يسوع مجتاز هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه»^(٢).

ولو كان متى هو الكاتب لقال: «قال لي» «تبعته» «رآني»، فدل ذلك على أن متى ليس هو كاتب الإنجيل.

التمعن في إنجيل متى يبين مدى الثقافة التوراتية الواسعة التي جعلت من متى أكثر الإنجيليين اهتمامًا بالنبوءات التوراتية عن المسيح، وهذا لا يتصور أن يصدر من عامل ضرائب، فهذا الكاتب ليس هو متى العشار. جاء في الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: «إنجيل متى به اقتباسات عديدة من العهد القديم،

(١) مدخل إلى الكتاب المقدس، لجون بالكين، بيتر كوتريل وغيرهما (ص ٣٩٧)، ترجمة: نجيب إلياس، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح (٩)، الفقرة (٩).

وليس أقل من خمسة وسبعين اقتباساً^(١).

وما قامت عليه الأدلة يؤيده أقوال الكثيرين من علماء المسيحية، نذكر منها:

- يقول فاستس -من علماء النصارى في القرن الرابع-: «إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه».

ويقول فيلبس في مقدمته لإنجيل متى: «نسب التراث القديم هذه البشارة إلى الحواري متى، ولكن معظم العلماء اليوم يرفضون هذا الرأي».

ويقول البروفسور هارنج: «إن إنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما».

ويقول القس فهيم عزيز عن كاتب إنجيل متى: «لا نستطيع أن نعطيه اسماً، قد يكون متى الرسول، وقد يكون غيره».

ويقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى عن كاتب إنجيل متى: «إن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ، إنما هو بالتأكيد محض خيال»^(٢).

ويقول الكاهن جيمس كلبي: «إن التعاليم القديمة تعزو هذا الإنجيل إلى الحواري متى، هذا ما يقوله الناس، لكن العلماء في عصرنا الحاضر، يرفض معظمهم وجهة النظر هذه»^(٣).

لذلك يمكن التساؤل: إذا لم ينسب هذا الكتاب إلى الحواري متى، فكيف

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: د/ وليم إدري (مقدمة إنجيل متى)، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣ م.

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٥١-٥٣).

(٣) الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي (ص ١٩٨)، دار الدعوة، الإسكندرية، ط/ أولى، ١٤١١ هـ.

نقبله كلام الله؟».

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن كاتب إنجيل متى شخص مجهول، وإنما نسبه إلى متى ليلقى اهتماماً وقبولاً عند النصارى، وقد كان.

متى وأين كتب إنجيل متى؟

اختلفت الأقوال وتضاربت في السنة التي كتب فيها إنجيل متى، حتى إنه كما يقول صاحب كتاب الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: «من العسير، إن لم يكن من المستحيل، تحديد سنة كتابة كل إنجيل على وجه التحديد، ومنها إنجيل متى».

ويمكن إجمال الأقوال في:

١- يرجح فتون مفسر الإنجيل أنه كتب في حوالي الفترة ٨٥ - ١٠٥ م. وهو يقارب ما ذهب إليه البروفسور هارنج حين قال: «إن إنجيل متى كتب ما بين ٨٠ - ١٠٠ م»^(١)، وقريب منهما ما ذكره صاحب كتاب الأناجيل دراسة مقارنة حيث قال: «تدل الأبحاث الكنائسية على أن الشخص الذي كتب إنجيل متى قد عاش في الجيل الثالث بعد رحيل المسيح؛ أي: في الفترة ما بين ٧٥ - ١٠٠ بعد الميلاد»^(٢).

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٤٨).

(٢) الأناجيل دراسة مقارنة، للمهندس/ أحمد طاهر (ص ٢٨)، دار المعارف، بدون تاريخ. وينظر: الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص ٥٥)، المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ٤٠).

٢- يذكر ابن البطريق^(١) أنه دون في عهد قلوديوس قيصر الرومان، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وهذا الملك لم يكن هو الذي عاصر المسيح ... بل الذي عاصر المسيح وصلب - على زعمهم - في عهده: طيباريوس^(٢)، وولى من بعده غايوس، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر، ثم جاء من بعده قلوديوس، وملك أربع عشرة سنة.

وعلى هذا: فيحتمل أن يكون تدوين هذا الإنجيل في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح، ويحتمل أن يكون في أول أو أواخر العشرة الخامسة، أو أوائل العشرة السادسة.

٣- يقول جرجس زوين اللبناني: «إن متى كتب بشارته في أورشليم سنة ٣٩ للمسيح»^(٣).

٤- ويذهب البعض إلى «أن متى كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا، ومرقس ولوقا كتبا إنجيلهما قبل خراب أورشليم، ولكن لا يمكن الجزم في أية سنة كتب كل منهم بعد صعود المسيح؛ لأنه ليس عندنا نص إلهي على ذلك»^(٤).

(١) سعيد بن البطريق المولود بمصر سنة ٢٦٣هـ، والمتوفى سنة ٣٢٨هـ، كان طبيباً، ومؤرخاً، وبطريقاً بالإسكندرية، له نظم الجواهر في التاريخ، الجدل بين المخالف والنصراني، يراجع: الأعلام (٩٢/٣).

(٢) الإمبراطور الروماني الثاني، ولد سنة ٤٢ ق.م، ومات مقتولاً سنة ٣٧ ق.م، وهو الذي وقعت أيامه حادثة الصلب. قاموس الكتاب المقدس (ص ٥٨٤).

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٤٠).

(٤) صاحب هذا الرأي هو وليم أدي، صاحب كتاب الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ومؤلفو كتاب المدخل إلى الكتاب المقدس. يراجع: الكنز الجليل: (١/ مقدمة إنجيل متى) مدخل إلى الكتاب المقدس: (ص ٣٩٧).

٥- ويقول صاحب كتاب «ذخيرة الألباب في شرح الإنجيل»^(١): «إن القديس متى كتب إنجيله في السنة ٤١ للمسيح»^(٢)، وهذا الرأي ذكره صاحب كتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»^(٣)، والإمام القرافي^(٤) إذ قال: «كتب بعد صعود المسيح إلى السماء بثمان سنين»، ومعلوم أن عيسى -عليه السلام- مكث في الأرض ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر^(٥)، ويذكر ابن حزم أنه كتب بعد المسيح بتسع سنين؛ أي سنة ٤٢ م^(٦).

وبعد:

فقد ظهر تباين الآراء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل، حتى إنه كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية على أخرى، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع^(٧).

ولذلك يجعل هورن هذه الروايات المتضاربة في تحديد كتابة إنجيل متى ضعيفة واهية، ثم يسجل رأيه في زمن كتابة إنجيل متى مبيناً أنه لا يمكن الترجيح، فيقول: «ألف إنجيل متى سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة

(١) صاحب كتاب ذخيرة الألباب هو نعمة أبو بكر، أسقف لبنان، ولد في برمانا بلبنان سنة ١٨٥١ م، وتوفي سنة ١٩٣١ م، كان على علم بالعربية والفرنسية والإيطالية والسريانية واللاتينية، له كتب منها: قسطاس الأحكام في قوانين الكنيسة، المحاكمات الكنسية، وغيرها. يراجع: الأعلام (٣٩/٨).

(٢) محاضرات في النصرانية (ص ٤١).

(٣) (١/١١١).

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص ٢١).

(٥) ينظر: الملل والنحل (١/٢٢٠).

(٦) الفصل (٢/٢).

(٧) محاضرات في النصرانية (ص ٤١).

٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد^(١).

وإذا كان لنا من قول، فإننا نقول: كتاب لم يعلم متبعوه تاريخ كتابته، كيف يعتقدونه إلهامياً سهوياً؟!

مكان كتابته:

وأما مكان كتابته فقد اختلفت الآراء أيضاً في تحديده، فبينما يذهب الأكثرون إلى أنه كتب بأورشليم في بيت المقدس كتبه متى لليهود المنتصرين^(٢)، يذهب البعض إلى أنه كتب بأنطاكية^(٣) موطن متى الأصلي، ولكن أصحاب هذا الرأي يترددون قائلين: «ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل أنطاكية فمن المناسب إذن القول: بأنه يأتي من مكان ما في المنطقة المحيطة بها، أو أي مكان ما يقع شمال فلسطين»^(٤). أي: أن صاحب هذا القول لا يجزم تماماً بتحديد مكان كتابته.

ويذهب عبد الله الترجمان -وهو قس نصراني أسلم- إلى أن متى كتب

(١) يراجع: إظهار الحق (١/٨٢، ٨٣).

(٢) يراجع: الفصل (٢/٢)، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/١١١)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٢٠)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٠، ٤١).

(٣) مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، وكانت العرب تسمى كل شيء من قبل الشام أنطاكية، بناها بطليموس الثاني من الملوك اليونانيين، وهو الملك الثالث بعد الأسكندر الأكبر، ويقال: ليس في أرض الإسلام ولا في أرض الروم مثلها، وهي الآن تابعة لسوريا. يراجع: معجم البلدان (١/٢٦٧)، وآثار البلاد وأخبار العباد، (ص ١٥٠، ١٥١)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص ٣٨) وما بعدها.

(٤) المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ٤٠)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص ٤٥).

إنجيله في مدينة الأسكندرية^(١).

اللغة التي كتب بها إنجيل متى:

والحال في لغة كتابة إنجيل متى، كالحال في تاريخ، ومكان كتابته؛ إذ الأقوال تتردد بين كونه كتب بالسريانية^(٢) أو اليونانية^(٣) أو العبرية، وهو قول الأكثرين^(٤)، ويكفي هنا أن نذكر قول الباجي زاده في هذه المسألة: «وقع اختلاف عظيم في الزمان المتأخر أن هذا الإنجيل كتب بأي لسان، لكن صرح كثير من القدماء أن متى كتب إنجيله باللسان العبراني الذي كان لأهل فلسطين، فليعد القول الذي اتفق عليه القدماء قولاً فصللاً في هذا القسم»^(٥). لكن لم يظهر إنجيل متى إلا باليونانية، فمن الذي ترجمه؟

والجواب:

أن مترجم إنجيل متى إلى اليونانية غير معروف، وكذا وقت ترجمته غير معروف.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «إن قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين يقولون: إن إنجيل متى كان في اللسان العبراني، وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية، والموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان (ص ٧٠)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار الحرم للتراث، مصر، ط/ الأولى، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٢١).

(٣) ينظر: الأناجيل دراسة مقارنة (ص ٢٨)، الجوانب الخفية (ص ٥٥).

(٤) ينظر: الفصل (٢/ ٢)، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١١١)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٩، ٢٠)، مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ٤٠).

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٢٠).

الترجمة، حتى لم يعلم باليقين اسم المترجم أيضًا إلى هذا الحين، فضلاً عن علم أحوال المترجم، نعم يقولون رجماً بالغيب، لعل فلاناً، أو فلاناً ترجمه، ولا يتم هذا على المخالف، ولا يثبت مثل هذا الظن استناد الكتاب إلى المصنف»^(١). ويقول جيروم^(٢): «الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف» اهـ^(٣).

ويقول القمص شنودة السرياني الذي كان أستاذاً في الكلية الإكليريكية المصرية في السبعينيات من القرن العشرين: «لكننا لا نعرف من نقل بشارة متى إلى اليونانية أو متى تم ذلك»^(٤).

ويقول الباجي زاده: «إن إنجيل متى كان بالعبرانية، لا باليونانية، وإن نسخته الأصلية فقدت ثم ظهرت ترجمتها، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل؟ ومن هو المترجم؟ وما هو حاله في القوة والضعف في الدين؟ وهل هو من المسيحيين، أو اليهود أو غيرهم؟ وإذا كان كذلك، فكيف يجزمون بهذا الإنجيل ويتخذونه دستوراً مقدساً يرجعون إليه في عقائد الدين وأصوله؟ وكيف يجزمون أنه لمتى وهم لا يعلمون الذي ترجمه؟ ولا يدرون هل أدخل فيه من الضلالات ما لا يرضى به متى، ولا المسيح، ولم لا يجوز أن تكون النسخة العبرانية قد وقعت في يد أحد اليهود أو الدخلاء في المسيحية، فترجمها بما وافق غرضه، ولائم هواه ودس فيها من العقائد ما يغضب الجبار ويوجب الخلود في

(١) إظهار الحق (١/ ٧٩).

(٢) لاهوتي نصراني: من أكبر لاهوتي الكنيسة في عصورها الأولى، ولد سنة ٣٤٧م، وتوفي سنة ٤٢٠م، موسوعة المورد: (ص ٤٩).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٤٩).

(٤) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٧٤).

النار؟ ... ولا عجب من ذلك، فإنه لا شك عدو يريد الفتك بعدوه، إنها العجب من أمة مثل النصرانية على كثرة عددها قبلت تلك الترجمة من مجهول الاسم، والحال، والدين!»^(١).

ويزيدنا ارتياباً في حال هذا المترجم قول نورتن الملقب بحامي الإنجيل - في حال هذا المترجم -: «إن مترجم متى كان حاطب ليل، ما كان يميز بين الرطب واليابس، فما كان في المتن من الصحيح والغلط ترجمه»^(٢).

ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح وغيره، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها، والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين وتاريخ الترجمة، وملاساتها ليمنعه العلم من الاسترسال في التسامح، حتى لا يرى أن السلسلة تكون كاملة، إذا لم يعرف الأصل الذي ترجم، إذ بمعرفة الأصل نعرف أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، ويعرف أيضاً: أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها، سواء أكانت هذه المعاني تفهم بظاهر القول أم بإشارته، أم بلحن القول وتلويحاته، أم بروح المؤلف وغرضه، ولكن عز معرفة الأصل المترجم، وقد كان يتعزى عن ذلك لو عرف المترجم، وأنه ثبت ثقة، أمين في النقل، عالم لا يتزبد على العلماء، فقيه في المسيحية، حجة فيها، عارف للغتين، فاهم لهما، مجيد في التعبير لهما، فعندئذ كنا نقول: ثقة، روى عن ثقة بترجمته، وتسد الخلة بتلك الرواية، وترأب الثلمة بتلك النظرة، ولكن قد امتنع هذا أيضاً، فقال جمهرة

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٢١، ٢٢).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٤٩).

علمائهم: إن المترجم لم يعرف، فبقيت الثلثة من غير ما يرأبها^(١).

إنجيل مرقس:

من هو مرقس؟

هو يوحنا الملقب بمرقس، كان يهوديًا من سبط لاوى، ولد بأورشليم، ونشأ في أسرة متدينة، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح، واختصهم بالزلفى إليه، لكن كان من أوائل الذين أجابوا دعوة عيسى -عليه السلام-، فاختره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس -في اعتقاد النصارى- من بعد رفع عيسى، وألهموا التبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها، وقد أجمعت الطوائف المسيحية على أن السيد المسيح -عليه السلام- كان يتردد على بيته، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ، وكان بيته محل اجتماع التلاميذ بعد القيامة، وعلى هذا يُعدُّ النصارى بيته أول كنسية مسيحية في العالم، اجتمع فيها المسيحيون في زمان لرسل، ولازم مرقس خاله برنابا -وهو من الرسل- وبولس في رحلتها إلى أنطاكية، وتبشيرهما بالمسيحية فيها، ثم تركهما بعد ذلك وعاد إلى أورشليم، ثم التقى مرة أخرى بخاله، واصطحبه إلى قبرص، ثم افترقا، فذهب إلى شمال أفريقية ودخل مصر في حوالي سنة ٦٠ م. من جهة الأسكندرية، وأقام بها يدعو إلى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقته إليها، وقد وجد في مصر أرضًا خصبة لدعوته، فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وكان يسافر من مصر أحيانًا إلى روما، وأحيانًا إلى شمال أفريقية، ولكن مصر كانت المستقر الآمن له.

ويذكر النصارى أنه بينما هو يحتفل برفع القرايين المقدسة يوم عيد الفصح،

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٤٢).

واتفق ذلك مع عيد للوثنيين، فهجموا على الكنيسة التي كان النصارى قد أنشئوها عند البحر في المكان المعروف باسم دار البقر، وألقوا القبض على مرقس، وبدءوا يجرونه في طرقات المدينة، وهم يصيحون: «جروا التين في دار البقر»^(١)، وما زالوا على هذا النحو حتى تناثر لحمه، وسالت دماؤه، وفي المساء وضعوه في سجن مظلم، وفي منتصف تلك الليلة ظهر له المسيح، وقواه ووعدته بإكليل الجهاد.

وفي اليوم التالي أعاد الوثنيون الكرة، حتى فاضت روحه في آخر برمودة سنة ٦٨ م. وقيل: سنة ٥٢ م^(٢).

متى وأين كتب إنجيل مرقس؟

تاريخ كتابته:

اختلف في تحديد سنة كتابة إنجيل مرقس، فيذكر أرينيوس -أحد آباء الكنيسة الأولين- أن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه، بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في روما، وبعد أن توفيا، وإذا كان بطرس توفي بعد سنة ٦٤ م. وبولس توفي سنة ٦٨ م. يكون هذا الإنجيل كتب ما بين ٦٥ م إلى ٦٨ م^(٣).

ويتردد مفسر إنجيل مرقس دنيس أريك نينهام فيقول: «غالبًا ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ما بين ٦٥ - ٧٥ م. وغالبًا في عام ٦٥ أو ٦٦ م. ويعتقد

(١) كانت دارًا للأبقار الموقوفة على السواقي السلطانية، وكان مقرها خارج القاهرة، وفي أيام الملك الناصر قلاوون جعلها دارًا واصطبلًا، وغرس بها عدة أشجار. يراجع: المواعظ والاعتبار (٥١٢/٢).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٤١ - ٣٤٣)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٢، ٤٣)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٥٦).

(٣) يراجع: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٦٦).

كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح (١٢) قد سطر بعد عام ٧٠م». ويرى القديس يوحنا ذهبي الفم^(١) أنه كتب بعد سنة ٥٥م. أو حوالي سنة ٦١م^(٢).

ويرى البعض أنه كتب بين عام ٣٩ إلى ٧٥م. بدون أن يحدد سنة كتابته، ويذهب سبنيوزا اليهودي إلى أن هذا الإنجيل كتب مرتين إحداهما، قبل عام ١٨٠م. والثانية بعده^(٣).

ومن خلال الأقوال السابقة ندرك أنه لا يجزم أحد من النصارى بتحديد سنة كتابة إنجيل مرقس، وكل من يذكر قولاً يذكره متردداً بدون تحديد، وهذا يوقعنا في حيرة من تحديد سنة كتابته، ولسنا أول من وقع فيها، فقد سبقنا إلى ذلك هورن أحد مقدمي النصارى، إذ يقول متردداً حائراً في تحديد سنة الكتابة: «وَأَلَفَ الْإِنْجِيلَ الثَّانِي سَنَةَ ٥٦، وَمَا بَعْدَهَا إِلَى سَنَةِ ٦٥، وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُ أَلَفَ سَنَةَ سِتِينَ، أَوْ سَنَةَ ٦٣م»^(٤).

مكان كتابته:

اختلف في تحديد مكان كتابة هذا الإنجيل، فيذهب الأكثرون إلى أنه كتب

(١) ولد في أنطاكية سنة ٣٤٤م لأبوين وثنيين، ورحل إلى مصر، وعاد إلى أنطاكية، عين شماساً للكنيسة بأنطاكية، ثم كاهناً لها سنة ٣٨٦م، وفي سنة ٣٩٦م اختير أسقفًا للقسطنطينية، توفي سنة ٤٠٧م، وإنما لقب بذهبي الفم لفصاحته وبلاغته. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار (٨٣/١) وما بعدها، الكنز الثمين في أخبار القديسين لمكسيموس مظلوم (٣٦/١) وما بعدها، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٦٣م، تاريخ الأمة القبطية (ص ٨٧).

(٢) ينظر: دراسة تحليلية نقدية، لإنجيل مرقس (ص ٢٦٦).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٥٥).

(٤) إظهار الحق (٨٣/١).

في روما، ويذهب البعض إلى أنه كتب في مصر، ويرى فريق ثالث أنه كتب بأنطاكية^(١).

ولكن أكثر الآراء قبولاً: هو أنه كتب في روما، يقول نينهام عن مكان كتابته: «إن المأثورات المسيحية الأولى لا تسعفنا، فبينما يصمت كل من بابياس، وأرينيوس عن هذا، فإن كليمنت السكندري، وأوريجين يقولان: روما، بينما يقول كريسوستم بنفس الثقة: إنه من مصر، وفي غياب أي تحديد واضح تمدنا به المأثورات لمعرفة مكان الكتابة، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل أنطاكية، لكن روما كانت هي أكثر الأماكن قبولاً^(٢).

ولا ينسى أن من قال: إنه كتب في روما، قال: كتب باللاتينية لغة روما، ومن قال: كتب في مصر أو أنطاكية، قال: إنه كتب باللغة اليونانية^(٣).

كاتب إنجيل مرقس:

يقول يوسابيوس -أحد مؤرخي النصارى القدامى- بعد أن أشار إلى كرازة بطرس في روما، وأنه خلب بها عقول أهلها: «توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس -أحد تابعي بطرس- والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا؛ لكي يكتب لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شفويّاً، ولم يكفوا حتى تغلبوا على

(١) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٧٨)، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٦٧)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص ٥٣).

(٢) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٦٧)، المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ٣) نقلاً عن تفسير مرقس، لأنيس نينهام (ص ٤٢).

(٣) يراجع: دراسة تحليلية نقدية (ص ٢٩٧).

الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مرقس^(١).
وقد تقدم قول أرينيوس أحد آباء الكنيسة: إن مرقس كتب البشارة التي
تحمل اسمه بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في روما وبعد أن توفيا.
فيستفاد مما ذكرنا أن كاتب الإنجيل هو مرقس.
وعلى العكس من هذا: يذكر ابن البطريق أنه في عصر تارون كتب بطرس
رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس.
وفي الحقيقة أنه وإن كان في كلام ابن البطريق غرابة، إذ كيف يروي بطرس
رئيس الحواريين عن مرقس أحد تلاميذه؟ لأنه إذا كان مرقس كتب إنجيله من
خلاصة علمه بالمسيحية ورواه عنه أستاذه، فقد روى بطرس في حقيقة الأمر عن
مرقس ما ألقاه عليه وعلمه، وإن ذلك لغريب، فإنه يخالف ما ذكره أرينيوس
ويوسابيوس، إذ جعلاً كاتب الإنجيل هو مرقس، وهو يجعله بطرس.
وإذا تعارضت الروايات فمن الصعب ترجيح إحداها على الأخرى، إذ
ليس بين أيدينا ما نرجح به، وحينئذ يبقى السؤال قائماً: من الكاتب إذن؟^(٢).

إنجيل لوقا:

لوقا هو ثالث الإنجيليين، وكاتب سفر أعمال الرسل، ورفيق بولس في
أسفاره وكرازته وأتاعبه، ويذكر البعض أنه كان رومانياً من أبوين وثنيين، بينما
يذكر البعض الآخر أنه كان أنطاكياً من أهل سوريا.

(١) ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٨٠).
(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص ٤٣، ٤٤)، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٢٦٣).

اهتدى للمسيحية على يد أحد التلاميذ الذين نرحوا من أورشليم في وقت مبكر حوالي سنة ٣٦ م - عقب التشتت الذي حدث بعد مقتل استفانوس - إلى أنطاكية أو إلى روما، والبعض يرجح أنه آمن على يد بولس، وهذا هو رأي ترتليانوس من القرن الثاني^(١).

ويستفاد من ذلك أنه لم يكن تلميذًا للمسيح، ولم يره، وقد صرح بذلك في مقدمة إنجيله^(٢).

ويذكر الكثيرون مستدلين بقولة بولس: «يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب»^(٣)، أنه كان طبيبًا، ويستنبط القس إبراهيم سعيد من كون لوقا طبيبًا معاني كثيرة تسمو بإنجيله، فيقول: «وكان لوقا طبيبًا، وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة؛ لأنها تلقي على حياة لوقا نورًا ساطعًا، فترينا إياه الرجل العلمي العملي المدقق المحقق الرقيق الأسلوب، الجميل الديباجة؛ لأن الرومان لم يسمحوا في وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب، إلا من جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة»^(٤).

وإذ يذكر البعض ذلك يذكر آخرون أنه لم يكن طبيبًا، بل كان مصورًا.

ومعظم ما جاء من معلومات عن لوقا إنما هو منتقى مما جرى بينه وبين بولس في سفر أعمال الرسل؛ لأنه ورد ذكره في هذا السفر أكثر من مرة، ولذا بعد وفاة بولس لم يعلم شيء عن حياة لوقا على وجه التحقيق، ولعل هذا دليل كبير

(١) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٤٤)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٤).

(٢) الإصحاح (١)، الفقرات (١-٣).

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٤)، الفقرة (١٤).

(٤) محاضرات في النصرانية (ص ٤٤).

على ما اتصف به من اتضاع؛ لأنه على الرغم من أنه كتب الإنجيل الثالث، ووضع كتاب أعمال الرسل، إلا أنه أغضى عن ذكر نفسه وسكت عن أعماله، حتى لقد ترك شيئاً من الشك يحوم حول شخصه... وتذكر بعض التقاليد القديمة أن لوقا عمّر حتى بلغ الرابعة والثمانين، وأنه مات مصلوباً على شجرة زيتون في إيليا في بلاد اليونان^(١).

ومن خلال ما سبق يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمن قائل: إنه أنطاكي، ومن قال إنه روماني ولد بإيطاليا، ومن قائل: إنه كان طبيياً، ومن قائل: إنه كان مصوراً.

وهذا الاختلاف هو الذي جعل الباجي زاده يقول عن كاتب إنجيل لوقا: «اختلفت النصرانية في لوقا اختلافاً كلياً بحيث يمكننا أن نلحقه في الجهالة بمرجم إنجيل متى»^(٢).

تاريخ كتابة إنجيل لوقا:

لا يختلف النصارى في أن إنجيل لوقا كتب باليونانية، ولكن يختلفون في تحديد سنة كتابته، يقول القمص شنودة السرياني: «ولا يعرف على وجه الدقة العام الذي كتب فيها لوقا إنجيله، لكن على أي حال، كتب قبل سنة ٧٠م»^(٣).

وبينما يذكر شنودة أنه لا يستطيع تحديد سنة الكتابة، نجد الدكتور/

(١) الكنيسة المسيحية في عهد الرسل (ص ٣٤٥)، ويراجع: الأناجيل دراسة مقارنة (ص ٣٣) وما بعدها، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٥٨، ٥٩).

(٢) الفارق بين المخلوق والمخلوق (ص ٣٢٥).

(٣) ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

بوست^(١): يذكر أنه كتب مدة أسر بولس ما بين سنة ٥٨ - ٦٠ من الميلاد، ومن هذا يفهم أنه كتب وبولس حي في الأسر، ولكن يذهب العلامة لادرن إلى أنه كتبه بعد موت بطرس وبولس، والواقع أن باب الاختلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك^(٢).

ويبين هورن مدى هذا الاختلاف بقوله: «وَأَلَفَ الْإِنْجِيلَ الثَّالِثَ سَنَةَ ٥٣ أَوْ سَنَةَ ٦٣ أَوْ سَنَةَ ٦٤»^(٣).

مكان كتابته:

يذكر د/ بوست أنه كتب في قيصرية في فلسطين^(٤)، ويذهب البعض أنه كتب في مكان ما من بلاد اليونان^(٥)، ويتردد البعض الآخر أنه كتب إما في آسيا الصغرى أو اليونان^(٦)، وفي واقع الأمر يبقى ما قاله شنودة السرياني حكماً: «وَأَمَّا مَكَانُ كِتَابَتِهِ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ»^(٧).

ولا نترك هذا الإنجيل حتى نقول: كتاب لم تعلم جنسية كاتبه، ولا مهنته، ولا تاريخ كتابته، ولا موطن الكتابة، أنى يجزم بأنه كتابه سماوي؟ فإن جهل هذه

(١) جورج إدوارد، أمريكي الأصل، ولد بنيويورك سنة ١٨٣٨ م، وتعلم الطب في جامعتها، ودرس اللاهوت، ورحل إلى سورية سنة ١٢٨٠ م، توفي في بيروت سنة ١٩٠٩ م، له مصنفات منها: فهرس الكتاب المقدس، وغيره. يراجع: الأعلام (٢/ ١٤٤).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٢٥)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٥)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص ٥٧، ٥٨).

(٣) إظهار الحق (١/ ٨٣).

(٤) محاضرات في النصرانية (ص ٤٥).

(٥) الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص ٥٦).

(٦) الأناجيل دراسة مقارنة (ص ٣٥).

(٧) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٥٨).

الأمر يترك في النفوس شكوكًا كثيرة.

إنجيل يوحنا: من هو يوحنا؟

يوحنا: هو يوحنا بن زبدي الصياد، شقيق يعقوب بن زبدي كبير الحواريين، ولد في بيت صيدا من الجليل، وتذهب أغلب الطوائف النصرانية إلى أنه أحد التلاميذ الاثنى عشر، وأنه هو محبوب عيسى -عليه السلام- حتى صاروا يدعونه يوحنا الحبيب.

ويبدو أنه تتلمذ بعض الوقت ليوحنا المعمدان -يحیی عليه السلام-، وكان يتردد عليه، دعاه عيسى -عليه السلام- للتلمذة مع أخيه يعقوب فتبعه، وكان عمره وقتذاك كما يذكر القديس جيروم خمسًا وعشرين سنة.

ويذكر النصارى أنه هو الوحيد من بين التلاميذ الذي انفرد بسيره بدون خوف وراء مخلصهم وقت أن قبض عليه رغم تخلي الجميع عنه، وهو الوحيد الذي رافق عيسى إلى الصلب كما يزعمون.

ويذكرون أيضًا أن عيسى -عليه السلام- أوصى إليه بوالدته مريم، وذلك حين حضره اليهود وأيقن بالموت -على زعمهم- وقال له: يا يوحنا، الله الله في والدتي، فإنها أمك، وقال لأمه: الله الله في يوحنا، فإنه ابنك، وأوصاها به، وعاش يوحنا مبشرًا بالمسيحية في اورشليم والمناطق القريبة منها، ثم غادرها إلى آسيا الصغرى، وأقام في مدينة أفسس^(١)، داعيًا إلى النصرانية، وبسبب نشاطه

(١) أفسس أو أفسوس: مدينة دون خليج القسطنطينية من جهة بلاد الأرمن، كانت مطلة على البحر الرومي، فبعد البحر عنها ويقال: إنها مدينة أصحاب الكهف. يراجع: معجم البلدان (١/ ٢٣١)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٤٩٨) وما بعدها، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٤٩).

الكرازي -التبشيري- قبض عليه في حكم الإمبراطور دومتيان، وأرسل مقيداً إلى روما، وهناك أُلقي في مرجل زيت مغلي، فلم يؤثر عليه، مما أثار ثائرة الإمبراطور فأمر بنفيه إلى جزيرة بطمس^(١)، فمكث فيها حتى أفرج عنه بعد موت دوميتيان وعاد إلى أفسس.

ويقول النصارى: إنه بعد ما دون إنجيله والرؤيا -رؤيا يوحنا اللاهوتي- وثلاث رسائل تحمل اسمه، توفي شيخاً هرمًا سنة ١٠٠ م^(٢).

السبب في كتابة إنجيل يوحنا:

يذكر علماء النصارى أن يوحنا كتب إنجيله، ليقرر لاهوت المسيح، بناء على طلب أساقفة زمانه الذين كانوا يخالفون من يعلم الناس أن المسيح لا يعدو أن يكون بشرًا، ولما لم يكن في أناجيل النصارى ما يدل على أن في المسيح لاهوتًا، طلبوا من يوحنا أن يكتب بشارة بخصوص لاهوت المسيح يحاربون بها البدع، أو الهرطقات -في نظرهم- التي تدعو إلى التوحيد.

يقول جرجس زوين اللبناني: «إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يُعلّمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانًا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك في سنة ٩٦ م. اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب

(١) تسمى الآن بطمو، وهي على بعد ثلاثين ميلاً، جنوب ساموس على شاطئ آسيا الصغرى الجنوب الغربي وكان من عادة الدولة الرومانية أن تنفي إليها المذنبين والمجرمين. قاموس الكتاب المقدس: (ص ١٨٠).

(٢) يراجع: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص ٧٢)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤٠، ٣٤١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٠٤)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٦)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٦١).

بنوع خصوص لاهوت المسيح، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم.

ويقول يوسف الدبس الخوري^(١) في مقدمة تفسيره لإنجيل يوحنا: «إن يوحنا صنف إنجيليه في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب: أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم».

يقول الباجي زاده بعد أن ذكر هذين النقلين: «فهذا دليل على أن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر لاهوت المسيح، كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئاً من لاهوته، وهو أول دين النصرانية وأساس عقيدتها، فحيث أهملوا هذا الأمر المهم، فقد سقطت أناجيلهم وعدالتهم، وأصبح خبرهم لا يعول عليه، وحيث إن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس، فلا يصح أن يقال: إنه من الإلهام، فظهر أن البعض من أساقفة الطبقة الثانية ابتدعوا هذا الضلال الأسود، وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وعار على المسيحي أن يدعي إلهامية كتاب صنف بالالتماس، وكيف يعتقد بلاهوت المسيح الذي أهملته الأناجيل، وزاده يوحنا إجابة لطلبهم والتماسهم؟ فخالف به الطبقة الأولى الذين هم أعلم بحقيقة المسيح وأدرى بأخباره وأحواله... نشكر الله تعالى أن نجانا من زمن يكون المصلوب المهان فيه إلهًا بالتماس!»^(٢).

(١) يوسف بن إلياس بن يوحنا: قس لبناني، ولد في كفر زينة من أعمال طرابلس، سنة ١٨٣٣م، توفي بلبنان سنة ١٩٠٧م، درس في مدرسة مار يوحنا، واختير رئيساً لأساقفة بيروت، له مصنفات منها: تاريخ سورية، سفر الأخبار في سفر الأخبار، وغيرها.
يراجع: الأعلام (٢١٩/٨)، معجم المؤلفين (٢٧٧/١٣، ٢٧٨).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤١، ٣٤٢)، ويراجع في ذلك: الكنيسة المسيحية

ويقول الشيخ/ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر كلام جرجس زوين، ويوسف الخوري وغيرهما: «من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى مجمعون، أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها؛ لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعلنها، وهنا لا يسع القارئ لتلك النقول إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح، وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح.

وثانيها: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها -أي: بدعاً من عند أنفسهم-، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك، فأتجهوا إلى يوحنا، فكتب -كما يقولون- إنجيله الذي يشتمل على الحجة والبرهان للقضية، وهذا ينبيء عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه، وإلا ما اضطروا إلى إنجيل جديد طلبوه، افتقدوه، فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه^(١).

ويمكن أن يضاف إلى هذين أمر ثالث: هو الاعتقاد باستحالة أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أساساً هو في الحقيقة أهم أسس الدين المسيحي، وهو

(ص ٢٨٧)، هل العهد الجديد كلمة الله (ص ٦١، ٦٢)، أضرار تعليم الكتاب المقدس (ص ٨٧) وما بعدها.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ٤٩، ٥٠).

ألوهية المسيح، فلو أن هذه الألوهية أصلاً في الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة^(١).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الإنجيل الرابع كتب استرضاءً لطائفة خاصة، تقول بألوهية المسيح، وتدعو إليها، وليس إلهامياً كما يقول النصارى.

نسبة الإنجيل إلى يوحنا:

يعتقد جمهور علماء النصارى أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا الحواري الحبيب، ولكن بجوار هؤلاء علماء من النصارى كثيرون ينكرون أن يكون هذا الإنجيل من تأليف يوحنا، فمن ذلك:

يقول المحقق برطشندر: «إن هذا الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس».

وتقول دائرة المعارف البريطانية التي هي زبدة أفكار خمسمائة عالم نصراني اجتمعوا على تأليفها تحت عنوان أناجيل: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية، ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما، وهما القديسان يوحنا ومتى، ولقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإننا لرأف ونشفق على الذين يبذلون متهمي جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني

(١) المسيحية (ص ١٧٧).

بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدي، لخطبهم على غير هدي»^(١).

ولا نترك ما جاء في دائرة المعارف حتى نسجل تعجبنا - كما تعجبوا هم -، إذ كيف يكون هذا الإنجيل الذي طغى عليه الجانب الفلسفي - وهذا واضح من بداية الإنجيل - من نتاج رجل صياد غير متعلم؟ فقد جاء في سفر أعمال الرسل: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنها إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا، فعرفوها أنهما كانا مع يسوع»^(٢).

حقاً إن هذا لعجيب!!

وتقول دائرة المعارف الفرنسية: «ينسب إلى يوحنا هذا الإنجيل، وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة، ويقول القس الهندي بركة الله في كتابه «لواء الصليب وتزوير الحقائق»: «الحق أن العلماء باتوا لا يعترفون دونها بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدي الرسول، ونرى النقد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية»^(٣).

ويستدل الشيخ / رحمه الله الهندي على أن الكاتب لإنجيل يوحنا ليس هو يوحنا الحواري بما جاء فيه: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق»^(٤)، يقول الشيخ: «فقال الكاتب في حق يوحنا هذه الألفاظ: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وشهادته حق» بضمائر الغائب، وقال في حق

(1) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤٢، ٣٤٣).

(2) الإصحاح (٤)، الفقرة (١٣).

(3) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٦٤).

(4) الإصحاح (٢١)، الفقرة (٢٤).

نفسه: «نعلم على صيغة المتكلم، علم أن كاتبه غير يوحنا»^(١).

ويذكر دليلاً آخر على ذلك، وهو: أنه لما أنكر على هذا الإنجيل في القرن الثاني بأنه ليس من تصنيف يوحنا، وكان في هذا الوقت أرينيوس الذي هو تلميذ بوليكارب^(٢) الذي هو تلميذ يوحنا الحواري موجوداً فما قال في مقابلة المنكرين: إني سمعت من بوليكارب أن هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري، فلو كان هذا الإنجيل من تصنيفه لعلم بوليكارب، وأخبر أرينيوس، ويبعد كل البعد أن يسمع أرينيوس من بوليكارب الأشياء الخفية مراراً، ولا يسمع هذا الأمر العظيم الشأن مرة، وأبعد منه احتمال أنه سمع لكنه نسى؛ لأنه كان يعتبر الرواية اللسانية اعتباراً عظيماً ويحفظها حفظاً جيداً... فقد قال في حق الروايات اللسانية: «سمعت هذه الأقوال بفضل الله بالإمعان التام وكتبتها في صدري لا على الورق، وعادتي من قديم الأيام أني أقرأها دائماً»، يقول الشيخ رحمة الله الهندي: ويستبعد أيضاً أنه كان حافظاً، لكنه ما نقل في مقابلة الخصم^(٣).

ولو صح ما ذكره بعض المؤرخين - ومنهم: تشالز الفريد، وروبرت إيزلز، وغيرهما - من أن يوحنا مات مشنوقاً سنة ٤٤ م. على يد غريباس الأول؛ لكان دليلاً قوياً على أن الكاتب ليس هو الحواري يوحنا؛ إذ إن هذا الإنجيل كتب في

(١) إظهار الحق (٨٠ / ١)، (٨١).

(٢) ولد سنة ٦٩ م، وتلمذ على يوحنا الإنجيلي، ورسمه كاهناً على مدينة أزمير بآسيا الصغرى، أنهى حياته شهيداً في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس، وذلك سنة ١٥٠ م بعد أن بلغ من العمر ٨٦ عاماً. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار (٨١ / ١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٣٥٤، ٣٥٥).

(٣) ينظر: إظهار الحق (٨١ / ١).

نهاية القرن الأول الميلادي، أو أوائل القرن الثاني^(١).

ولكن إذا لم يكن يوحنا هو كاتب الإنجيل الرابع، فمن؟

والواقع: أن علماء النصارى أنفسهم لا يجزمون برأي في ذلك، حتى إن القس فهيم عزيز يقول: «هذا السؤال صعب، والجواب عنه يتطلب دراسة غالباً ما تنتهي بالعبارة، لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل».

ويقول مفسر إنجيل يوحنا جون مارش: «ومن المحتمل أنه خلال العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا، ومن الممكن أن يكون يوحنا مرقس، خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي»^(٢).

ويقول استادلين: «إن مصنف هذا الإنجيل طالب من طلبة المدرسة الأسكندرية»^(٣).

ويقول يوسف الخوري: إن كاتب هذا الإنجيل هو تلميذ يوحنا المسمى بروكلوس، ويذهب بعض المحققين منهم استيريتز في كتابه: «الأناجيل الأربعة» إلى أن يوحنا كاتب الإنجيل ليس هو ابن زبدي، بل هو يوحنا آخر، وهو يوحنا الأرشد.

ويقول جورج إيلتون في كتابه «شهادة إنجيل يوحنا» معبراً عن الحيرة في هذا الأمر: «إن كاتب هذا الإنجيل أحد ثلاثة: تلميذ ليوحنا الرسول، أو يوحنا الشيخ، وليس الرسول، أو معلم كبير في أفسس مجهول الهوية»^(٤).

(1) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٦٥).

(2) المرجع السابق (ص ٦٦).

(3) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤٢).

(4) يراجع: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٦٦، ٦٧).

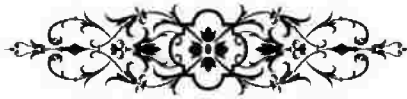
والحق: أن مثل هذه الأقوال المتضاربة تلفت نظر أي قارئ، إلى حيرة النصارى في تحديد من هو كاتب إنجيل يوحنا؟ وتجعله يقر كما أقروا: أن تحديد الكاتب أمر صعب، وأنه لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل.

تاريخ ومكان تدوين إنجيل يوحنا:

يكاد يتفق النصارى على أن إنجيل يوحنا كتب باليونانية في مدينة أفسس بآسيا الصغرى، ولكنهم اختلفوا في تحديد سنة كتابته، فالبعض يرجح أنه سنة ٩٥ م. والبعض الآخر يرى سنة ٩٨ م. تحديداً لزمن الكتابة، والبعض يرى أنه كتب ما بين سنة ٨٠ م إلى سنة ٩٠ م.

والحق: أن باب الاختلاف في تحديد وقت كتابة هذا الإنجيل واسع، ويدل على ذلك ما قاله هورن: «ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو سنة ٦٩، أو سنة ٧٠، أو سنة ٨٩، أو سنة ٩٨ من الميلاد»^(١).

والله أعلم



(١) يراجع: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (٦/٣)، إظهار الحق (١/٨٣)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٨٧)، محاضرات في النصرانية (ص ٤٨، ٤٩).

المسلك الثاني موقف القراي في من أناجيل النصارى

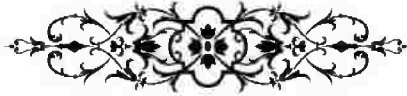
وفيه فروع:

الفرع الأول: رد القراي على قول النصارى إن القرآن الكريم عظم الإنجيل ودل على أنه غير مبدل.

الفرع الثاني: بيان انقطاع سند الأناجيل وعدم تواترها.

الفرع الثالث: بيان تناقض الأناجيل وتكاذبها.

الفرع الرابع: هل في الأناجيل شيء مما نزل على عيسى عليه السلام؟



obeikandi.com

الفرع الأول رد القرافي على قول النصارى إن القرآن الكريم عظم الإنجيل ودل على أنه غير مبدل

يستدل النصارى على صحة كتبهم وعدم تبديلها. بآيات من القرآن الكريم، ظنوا أنها نافعة لهم ولكن الأمر ليس كذلك فهي بالنسبة إليهم كالضريع، لا تسمن ولا تغني من جوع وقد غاب عنهم في مسلكهم هذا أنهم أخذوا من القرآن الكريم بعضه وردوا البعض الآخر الذي يخبر أنهم حرفوا وبدلوا، وهذا ليس غريبا فقد أثبتنا في منهج أهل الكتاب في الطعن على الإسلام والمسلمين أنهم يأخذون من الأدلة ما يلائم أهواءهم، ويردون سواه، والواقع أن النصارى ما لجأوا إلى هذا المسلك إلا؛ لأنهم أعياهم الاستدلال على صحة دينهم من الأناجيل فلجأوا إلى كتاب ليس إلى رده سبيل؛ عله أن ينفعهم فيما يقصدون، يقول الباجي زاده:

(وأظن الضرورة ألجأتهم بمراجعة القرآن الكريم، وذلك لعدم وجود سند ودليل على إثبات أناجيلهم، وتعذره؛ لأن تصوير عقيدتهم خارج عن الإدراك، فلذلك صاروا يخصصون بفهم آيات القرآن الكريم، وهي تشهد عليهم لا لهم)^(١).

شبهة النصارى:

يقولون: القرآن الكريم دل على تعظيم الإنجيل، وأنه غير مبدل فقد جاء فيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) ينظر ذيل الفارق بين المخلوق والخالق، للباجي زاده (رسالة الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية) (ص ٢١-٢٢).

قالوا: وإذا قصدوا لا تكون مبدلة، ولا يطرأ عليها التغيير بعد ذلك، لشهرتها في الأعصار والأمصاير فيتعذر تغييرها.

ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١-٢] ويقولون: الكتاب هنا هو الإنجيل لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤] فالكتاب هاهنا: الإنجيل^(١).

ويقولون: لو كان المشار إليه هو القرآن لما قال (ذلك) ولقال (هذا)؛ لأن القرآن ليس بعيداً، فحيث جاء باسم الإشارة للبعيد فقد عني كتابنا، وهو الإنجيل.

ومما يدل على تعظيم كتابنا قول الله تعالى أمراً رسولكم أن يؤمن به ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥] فالكتاب هنا هو الإنجيل^(٢).

رد القرافي على هذه الشبهة:

أما الآية الأولى: التي فيها أن القرآن صدق ما بين يديه من كتب، فقد أجاب القرافي بأن الكتب التي يصدقها القرآن الكريم ليست كتب النصارى المبدلة، بل هي الكتب المنزلة قبل تغييرها وتبديلها، وذلك قوله «وأما تصديق القرآن الكريم لما بين يديه فمعناه: أن الكتب المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها وتحييطها

(١) غير خاف أن النصارى في الآية أخذوا منها ما يلائم مقصودهم - كما هو منهجهم - إذ الآية ليس فيها أن المكذب قبل رسولنا هو شخص واحد حتى يصدق على عيسى، ويحمل الكتاب على كتابه، بل كما هو مصرح في الآية أن المكذب رسل كثيرون، فليتأمل ذلك.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص ١٩-٢٠).

كانت حقاً موافقة للقرآن الكريم، والقرآن موافق لها، وليس المراد الكتب الموجودة اليوم، فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرفان إلى المنزلين^(١).

وإذا توجهنا شطر السابقين واللاحقين للإمام القرافي فلا نجد أحدًا تناول هذه الشبهة غير ابن تيمية، والألوسي، حسب ما بين أيدينا من كتب.

أما ابن تيمية: فقال عن تصديق القرآن الكريم: إنه أمر معلوم متواتر كتواتر رسالته ﷺ وإن مدح القرآن للكتب إنما هو للكتب غير المبدلة، وفي حقيقة الأمر أنه لا محل لاستمسك النصارى بمدح لكتاب غير كتابهم الذي بأيديهم، فإذا انضم إلى ذلك معرفة أن النسخ لحق كتابهم، كانت حجتهم أوهى، وفي هذا يقول: «أما تصديق خاتم الرسل محمد ﷺ لما أنزل الله قبله من الكتب، ولمن جاء قبله من الأنبياء فهذا معلوم بالاضطرار من دينه، متواتر تواتراً ظاهراً كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾» [المائدة: ٤٨].

ويبين ابن تيمية أن النصارى وإن تمسكوا من الآية بتصديق القرآن لكتابهم مع أن الأمر ليس كذلك فإنهم نسوا أو تناسوا الصفة الأخرى للكتاب وهو قوله ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ والتي من معانيها: الشهادة على الكتب السابقة بما فيها من تحريف فيقول: «فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن، الحاكم، فالقرآن يشهد بما فيها من الحق، ويبين ما فيها من تحريف، ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخ الله منها، وهو في ذلك مؤتمن عليها وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل، فضلاً عما تمسك بشرع مبدل منسوخ، ولم يؤمن بما أرسل الله إليه من الرسل،

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٠).

وما أنزل إليه من الكتب»^(١).

وأما الألويسي: فيجيب عن تصديق القرآن للكتب السابقة بأنها بشرت بالقرآن قبل نزوله وأنه جاء مصدقا لما فيها، وأن هذا التصديق لا ينفع النصارى، إذ عيسى عليه السلام جاء بإنجيل واحد. وللنصارى أناجيل عدة، قاربت السبعين، فأني إنجيل مصدق؟ وذلك قوله: «المراد: أنزل القرآن الكريم لتصديق الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله أي أنها قد بشرت به قبل نزوله، فجاء مصدقا لها فمدح للتوراة والإنجيل الحقيقي الصادق الصحيح، لا لكل إنجيل ألفه مؤرخ من النصارى، حتى زادت عن سبعين إنجيلاً، وكل نسخة منها مخالفة للأخرى، وقد زاد ونقص كل مؤرخ منها، وذكر أموراً وقعت بعد رفع المسيح عليه السلام، فكيف يجوز لعاقل، ويسوغ لفاضل أن يقول: إن هذه الأناجيل هي بعينها كلام الملك الجليل؟»^(٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن رد ابن تيمية، والألويسي عما تمسك به النصارى في الآية، أشفى من رد القرافي، وبيان ذلك: أن الإمام القرافي لم يزد في جوابه عن أن المراد بالكتب المصدقة، إنما هي المنزلة لا المبدلة، وهذا الأمر شاركه فيه ابن تيمية والألويسي، ولكن الألويسي تطرق إلى أمر لا ينكره النصارى، وهو أن عيسى جاء بإنجيل واحد، لا أناجيل كثيرة. والقرآن الكريم إنما هو مصدق لما جاء به عيسى، ولكنه لا يمكن تحديده من بين الأناجيل، ومن ثم فلا ينفع النصارى تصديق القرآن الكريم الذي تمسكوا به.

وأما ابن تيمية، فقد لجأ إلى منهج استخدمه القرآن الكريم في جداله لأهل

(١) ينظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١/ ٢٦١-٢٦٢).

(٢) ينظر: الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح: (٢/ ٦٧٩-٦٨٠).

الكتاب، وهو منهج التسليم، إذ سلم بأن التصديق أمر معلوم، إلا أن هذا لا ينفعهم؛ لأن في الآية ما ينقض مدعاهم وهو هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة. وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى أن القرآن الكريم وإن صدق كتبهم، فإن ذلك لا ينفعهم أيضاً؛ لأنها نسخت به، فالأولى أن يتمسكوا بالناسخ لا المنسوخ.

وأما جواب القرافي عن وجه تمسكهن بالآية الثانية: فإنه يتعجب من ذلك مبيناً أن ذلك قول جاءوا به من عند أنفسهم، لم يقله رسول الله ﷺ ولا جاء عن أحد من المسلمين فضلاً عن أن الرسول ﷺ أخبر بخلافه فيقدم قوله على قول غيره وذلك قوله: «وأما قولهم: إن الكتاب المراد به في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو الإنجيل فمن الافتراء العجيب، والتخيل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن ليس إلا، وإذا أخبر الناطق بهذا اللفظ. وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا الكتاب، كيف يليق أن يحمل على غيره؟! فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه، إنما ينازع في قول غيره إن أمكنت منازعته»^(١).

ثم يبين القرافي أن سبب خلطهم هذا، إنما هو جهلهم بقواعد اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فيقول: أما الإشارة بـ(ذلك) التي اغتر بها هذا السائل، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذاك للمتوسط، وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكون تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة، ولذلك قالت زليخا في حق يوسف عليه السلام بالحضرة، وقد قطعن أيديهن من الدهش بحسنه: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] وكل هذه الصور مجتمعة في القرآن الكريم، وبيان ذلك: أن القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير إليه بذلك، وقد أشير إليه بذلك لبعده مكانه. لأنه مكتوب في

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ٢٠).

اللوحة المحفوظ، وقيل لبعده زمانه؛ لأنه وعد به في الكتب المنزلة قديماً، وقيل: لما كان أصواتاً والصوت يستحيل بقاءه، فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد^(١).

وإذا ما جئنا إلى ابن تيمية فسنجد في رده على تمسكهم بهذه الآية يتخذ مما قالوا فيها دليلاً على أنهم حرفوا كتابهم فيقول: «فهذا مما تأولوه من القرآن على غير المعنى الذي أراد الله به، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره، والمراد به ونقل ذلك عن الرسول ﷺ نقلاً متواتراً، حتى عرف معناه علماً يقينياً اضطرارياً يبدلون معناه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك، ولا معناه كما نقل القرآن، وليس في أهل الكتاب من يذب عن لفظها ومعناها، كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه، ثم يقول: «لو قال اليهودي: المراد بقوله: ﴿ذَلِكَ أَلَكْتُبُ﴾ التوراة، لكان هذا مع بطلانه أقرب من قول القائل: إن المراد بذلك الكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل، فإنها الأصل، والله يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَعَامَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقول الجن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ثم رد على ما تمسكوا به من أن اسم الإشارة جاء للبعيد في الآية فلا يحمل إلا على الإنجيل، بأن القرآن الكريم يشار إليه في آيات القرآن الكريم باعتبارين: باعتبار أنه حاضر عند الله تعالى، وهذا يشار باسم الإشارة القريب، وذلك كقوله تعالى:

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ٢٠).

﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وباعتبار أنه قد نزل قبل ذلك^(١) فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب، وهذا هو المقصود في الآية^(٢). وأما الألوسي فلم يتعرض لهذه الآية.

ومن خلال ما سبق يتبين أن كلا الإمامين القرافي وابن تيمية ذكر في رده أمرا لما يذكره الآخر، فبينما نجد القرافي يبين للنصارى أنهم مختلفون هذا القول من عند أنفسهم، نجد ابن تيمية يتخذ من قولهم هذا دليلا على تحريفهم كتبهم التي يستدلون بالقرآن على صحتها.

وإذا ما جئنا إلى معالجة صميم ما تمسك به النصارى وجدنا القرافي أوسع باعاً من ابن تيمية، ولذلك كان رده أفهم، فالقرافي استقصى صور الإشارة للبعيد، على عكس ابن تيمية فلم يذكر إلا صورة واحدة خرج عليها الآية، وأولى الصور في نظري هي الصورة الأولى لبعد الشرف.

وأما جواب القرافي على ما قالوه في الآية الثالثة ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ فهو: «اعلم أن اللام في لسان العرب تكون لاستغراق الجنس، نحو حرم الله الخنزير والظلم، وللعهد نحو قولك لمن رآك أهنت رجلا: أكرمت الرجل بعد إهانته؟ ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها، فتحمل في كل مكان على ما يليق بها، فهي في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] للعهد؛ لأنه موعود به مذكور على السنة الأنبياء عليهم السلام، فصار معلوماً فأشير إليه بلام العهد، وأما اللام في الآية التي تمسكتم، فهي للجنس،

(١) لعله يقصد أنه أشير إليه في الكتب السابقة؛ لأن القرآن الكريم لم ينزل قبل ذلك إلا إلى السماء الدنيا، ولا يصح الحمل على هذا؛ لأن العرب لم يكونوا يعلمون ذلك وقت نزول الآيات.

(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٢٦٣-٢٦٥).

إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة، فليس المقصود هاهنا الإنجيل كما زعمتم، ثم وضع القرافي قاعدة لفهم القرآن الكريم وهي أنه لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهماً متقناً^{(١)(٢)}.

هذا: ولم يتعرض للجواب على هذه الآية ابن تيمية، ولا الألوسي.

وأما جواب الإمام القرافي عما قالوه في الآية الرابعة ﴿ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ فهو أن المراد الكتب المنزلة لا المبدلة، وهذا مما لا يمتري فيه عاقل، ونحن ننازعهم فيما بأيديهم من الكتب فما هي منزلة، بل هي مبدلة مغيرة في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ والرواية والسند، بحيث لا يوثق منها بشيء^(٣).

ولم يتعرض شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الألوسي في ردهما على الشبهة لهذه الآية، وإن ذكرا آيات أخرى يتعلق بها النصارى، وردا عليها، لا أذكرها خوف الإطالة^(٤). ولكن الإمام الألوسي أشار في رده إلى لفظة طيبة لم يذكرها القرافي، وهي أن النصارى إذا أخذوا الشهادات التي في ظاهرها أن القرآن يفيد أن كتبهم صحيحة، وغير مبدلة، فليأخذوا بالشهادات التي أخبر فيها أن كتبهم أصابها التحريف التبديل، وهذا ما عناه بقوله: «فنقول لهذا النصراني: إن كتابنا

(١) لا يفهم من القاعدة التي ذكرها الإمام القرافي أن اللغة العربية تغني في فهم القرآن الكريم فالقرافي لم يقصد هذا ولكن دور اللغة يأتي بعد النظر في القرآن الكريم، هل فيه آية أو آيات توضح ما أشكل علينا، ثم النظر في السنة النبوية المشرفة هل فيها ما يوضح الآية التي نريد فهم معناها، ثم النظر في أقوال الصحابة، فإن لم نجد فالنظر في لغة العرب يغنيانا.

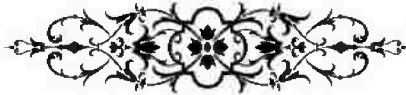
(٢) يراجع الأجوبة الفاخرة (ص ٢١).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص ٢١).

(٤) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٢٦٠-٢٧٠)، الجواب الفسيح (٢/ ٦٧٠-٦٨٠).

الكريم يشهدُ أيضًا بأن ما في أيديكم من الأسفار محرف في آيات عديدة منها قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]»^(١)

والله أعلم



(١) الجواب الفسيح: (٢/ ٦٧٠).

الفرع الثاني بيان انقطاع سند الأنجيل وعدم تواترها

يبين الإمام القرافي انقطاع سند الأنجيل بفقد الرواية عند النصارى، وإذا فقدت الرواية فقد السند، وهذا قوله:

«أما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفي أناجيلكم ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول فيها متى وغيره. قال لي المسيح: إن الله أنزل عليه كذا، بل غاية ما في بعضها قال المسيح كذا، أما بيان أن ذلك القول المنزل من عند الله، أو هو من قبل عيسى عليه السلام على ما اقتضاه رأيه: أو أنزل عليه على سبيل أنه من الإنجيل، فهذا لم يتعرض له أنجيل من الأنجيل، وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بينا وبينكم إن كنتم صادقين فقد وقفنا عليها، ولم نجد فيها شيئاً من ذلك.^(١)»

فالإمام القرافي في كلامه السابق يبين أن أناجيل النصارى لم يروها العدل عن العدل إلى كاتبها ولم يصرح كاتبوها بأن عيسى عليه السلام أخبرهم بكذا، أو قال لهم كذا، هذا فضلاً عن أن فيها ما هو من عند الله، وما هو رأي ارتأه عيسى عليه السلام، وما هو نازل من عند الله ولكن ليس من الإنجيل، ولم يبين إنجيل من الأنجيل ما هو من عند الله وما هو من كلام غيره، ولا يقول القرافي ذلك ادعاءً عليهم، بل يطالبهم بدليل من كتبهم يثبت خلاف قوله.

اعتراض وجوابه:

قد يعترض النصارى، بأن التلاميذ متى نقلوا عن المسيح شيئاً فالمسيح قاله لهم، ولا يكذب التلاميذ فيما نقلوه اعتماداً على ما يدعيه النصارى من عصمة

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٨).

التلاميذ إذ يجعلونهم رسلاً كما سبق.

ويجب الإمام القرافي على ذلك بقوله: «وليس لكم أن تقولوا متى نقل التلاميذ شيئاً فالمسيح قاله لهم؛ لأننا نقول: هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء نجباء ومثل هؤلاء يكون لهم آراء واجتهادات، وأقيسة وFRاسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه، فهو من قبل المسيح عليه السلام، أو من قوله، ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام، فيحتمل أنه من كلام الإنجيل ومن غيره فلا يوثق بحرف واحد عنكم، أنه من الإنجيل المنزل بل نقطع بأن أكثره ليس منزلاً»^(١).

فالإمام القرافي لا يقر بأن كل ما نقله التلاميذ فالمسيح قاله، لأن لهم آراء واجتهادات، اختلطت بأقوال المسيح، لا يمكن تمييزها، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح اعتقاد صحة شيء من الإنجيل أنه المنزل من عند الله؛ لعدم التمييز بين ما قاله المسيح وما قاله التلاميذ.

ثم يبين أن المسلمين لهذا السبب لم يجعلوا شيئاً من أقوال النبي ﷺ ولا من أقوال أصحابه من القرآن الكريم حتى لا يختلط ذلك بالقرآن الكريم فيقول: «ولهذا لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئاً من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل ولا قول أحد من الصحابة، بل متى قال الصحابي قولاً نسب له فقط، ولا يجوز أن يقال: هذا من قول النبي ﷺ فضلاً عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله، فوقعتم في الضلال وقول المحال»^(٢).

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٩).

ويتخذ الإمام القرافي من انقطاع السند دليلاً على عدم التواتر من باب أولى فيقول: «والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة، والإنجيل، ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروى التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى عليه السلام، أو عيسى عليه السلام وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر»^(١).

وإذا ما جئنا إلى السابقين للإمام القرافي نجد الإمام القرطبي يتناول قصة عدم تواتر الأناجيل ولم يتعرض لمسألة انقطاع السند، ويستدل على عدم تواتر الأناجيل، بأن كاتبيها أربعة، وهذا العدد لم يصل إلى حد التواتر الذي يحيل السهو والغلط والكذب، الذي قد يكون في الأربعة وهذا ما عناه بقوله: «وأما هذا الكتاب الذي يدعي النصارى أنه الإنجيل فقد توافق هؤلاء النصارى على أنه إنما تلقى عن اثنين من الحواريين وهما: متاؤوش - متى - ويوحنا، وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما: ماركس - مرقس - ولوقا. وأن عيسى عليه السلام لم يشافهم بكتاب مكتوب عن الله تعالى، كما فعل موسى ثم يقول: فقد حصل من هذا الكلام أن الإنجيل ليس نقله متواتراً؛ فإنه راجع إلى الأربعة الذين ذكرناهم، والعادة تجوز عليهم الغلط والسهو، والكذب»^(٢).

ومن خلال ما ذكرنا عن الإمامين يتبين لنا، أن الإمام القرطبي اتخذ من عدد كاتبي الأناجيل الأربعة دليلاً على عدم تواتر الأناجيل، ولم يتعرض لانقطاع سندها، وأما الإمام القرافي فلم يتعرض لمسألة العدد الأربعة متخذاً منها دليلاً على نفي التواتر، وكأنه جعل هذا الأمر مسلماً يعرفه كل من عرف أن كاتبي الأناجيل أربعة، ولكنه نفي رواية العدل عن العدل، ثم طالبهم بأناجيلهم تحكم

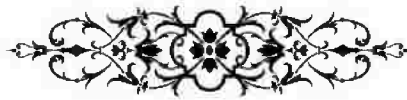
(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٥٣).

(٢) الإعلام: ص ٢٠٣-٢٠٤.

بينه وبينهم إن كانوا صادقين، ثم استخدم قياس الأولى؛ لأنه إذا انقطعت رواية العدل، فالتواتر معدوم من باب الأولى، وهذا يبين أن رد الإمام القرافي في عدم التواتر أقوى، فضلاً عن أنه ذكر ما لم يذكره القرطبي، وهذا لا ينقص من قدر الإمام القرطبي، فلكل وجهة هو موليها.

وأما المتأخرون فمنهم من تعرض لانقطاع السند وهو الشيخ رحمة الله الهندي، وقد أطال النفس في ذلك، إذ إنه تعرض لكل إنجيل على حدة مبيناً من كتبه، ومن ترجمه وموطن الكتابة، واللغة، متخذاً من هذه الأمور أدلة على انقطاع السند^(١) وأرى أنه لا حاجة في ذكر شيء من ذلك، لاسيما وقد ذكرت شيئاً كثيراً من هذا في مبحث: الأناجيل وكاتبوها.

والله أعلم



(١) يراجع: اظهر الحق: ص (١/٥٦-٨٩).

الفرع الثالث بيان تناقض الأناجيل وتكاذبها

إذا كان الإمام القرافي في المسلك السابق نقد الأناجيل من جهة سندها، فإنه في هذا المسلك ينقدها من جهة متنها، إذ يبين أن كثيراً من نصوص الأناجيل يناقض بعضها بعضاً، ويكذب بعضها البعض الآخر، وهذا دليل على أن تلك الأناجيل ليس منزلة من عند الله تعالى إذ كلام الله تعالى يجل عن التناقض والتكاذب، وقد ذكر الإمام القرافي مواضع كثيرة بيّن فيها تناقض الأناجيل، نذكر منها:

الموضع الأول:

يقول القرافي: «قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم عليها السلام، وهو المسمى يوسف النجار - إلى إبراهيم عليه السلام اثنتان وأربعون ولادة^(١)» وقال لوقا: أربع وخمسون^{(٢)(٣)}» هكذا ذكر الإمام القرافي هذا التناقض بدون تعليق. ولكن إذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي فإننا نجد الإمام ابن

(١) لم يرد في إنجيل يوحنا ذكر نسب المسيح عليه السلام من ناحية أجداده وإنما هو وارد في إنجيل متى، الإصحاح الأول، الفقرات: (١-١٧) ولعل هذا الخطأ من النساخ، وعند عد سلسلة النسب التي ذكرها متى نجد أنها تسعة وثلاثون أبا إلى إبراهيم عليه السلام، ولعل الإمام القرافي ذكرها اثنتين وأربعين ولادة بناء على ما قال متى بعد عدد الآباء: (فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً) الإصحاح (١) الفقرات (١٧) وعند عد الأجيال يكونون اثنين وأربعين جيلاً، وهذا أيضاً غير صحيح. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣/٢).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح: (٣) الفقرات: (٢٣-٣٥).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ٢٢).

حزم يقول في نقده هذا التعارض: «فأعجبوا لهذه المصيبة.... متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار، ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأباً، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متى، حتى يخرجهم إلى ناتان بن داود، أخي سليمان بن داود ولا بد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً، فيكذب متى، أو لوقا أو لابد أن يكون كلا النسبين كذباً ولا يمكن ألبة أن يكون كلا النسبين حقاً»^(١) ثم يذكر تعليل علماء النصارى لاختلاف النسبين، ويبين ما فيه من الكذب والهوس فيقول: «وقال بعض أكابر من سلف من مضليهم: إن أحد هذين النسبين هو نسب الولادة، والنسب الآخر، نسب إلى إنسان تنبأه على ما قد كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن من مات ولا ولد له، وتزوج آخر امرأته نسب إلى الميت من ولدت من هذا الحي، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس: من لك بهذا؟ وأين وجدته للوقا أو لمتى؟ والدعوى لا يعجز عنها أحد، وهي باطلة إلا أن يعضدها برهان، وبعد هذا فأَي النسبين هو نسب الولادة، وأيها هو نسب الإضافة لا الحقيقة فأَيها قال، قلب عليه قوله، وقيل له: هذه دعوى بلا برهان»^(٢).

ونجد أبا عبيدة الخزرجي يقول معلقاً: فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى؟^(٣) ونجد الإمام القرطبي بعد أن تعجب من وجود مثل هذا في كتاب الله تعالى، وذكر ما تعلق به علماءهم يقول معرضاً بهم في أنهم نسبوا بذلك مريم إلى الزنا، ومتعجباً من أنهم يتتهون بهذا النسب إلى آدم، ولا يقيسون عيسى إلى آدم: «ثم انظر هذه الشناعة التي ارتكبوها حيث نسبوا عيسى عليه السلام إلى

(١) الفصل في الملل والأهواء النحل (٢/ ١٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء النحل (٢/ ١٥).

(٣) بين الإسلام والمسيحية: (١٨٠-١٨١).

رجل زعموا أنه خطب أمه مريم، وأي نسبة تثبت بينهما بأن أراد أن يتزوج إنسان أمه؟ ثم إنهم يبلغون نسب يوسف إلى آدم، ثم يقولون: إلى الله، فهلا عليهم يستغنون عن ذكر نسب من لا ينتسب في عيسى، ويقولون في عيسى: ما يقولون في آدم، لولا الجهل والتحكم»^(١).

وإذا ما جئنا إلى أبي البقاء الجعفري نجده يجعل المسؤولية على لوقا، لأنه ليس من التلاميذ فيقول: «ولعل التوريك»^(٢) على لوقا أولى؛ لأن متى صحابي، ولوقا ليس بصحابي إلا أنه لا فرق بينهما عند النصارى، وذلك يقضي بانخراط الثقة بهما جميعاً»^(٣).

وأما المتأخرون: فنجد الشيخ رحمة الله الهندي يذكر الاختلاف بين النسيين، فيقول: «من قابل نسب المسيح الذي في إنجيل متى بالبيان الذي في إنجيل لوقا وجد ستة اختلافات:

- ١- يعلم من متى أن يوسف ابن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي.
- ٢- يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم. ومن لوقا: أنه من أولاد ناتان بن داود.
- ٣- يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود، وناتان.

(١) الإعلام (٢٠٧-٢٠٨).

(٢) التوريك: تحمل الذنب والمسئولية به، جاء في لسان العرب، والتوريك: توريك الرجل ذنبه غيره، كأنه يلزمه إياه، وورك فلانا ذنبه على غيره توريكاً إذا أضافه إليه وورك الذنب عليه: حملة. لسان العرب (١٠/ ٥٠٩) وينظر القاموس المحيط: (ص ١٢٣٥)، (مادة ورك).

(٣) تحصيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٨٥).

- ٤- يعلم من متى أن شتائل ابن بوخانيا ويعلم من لوقا أنه ابن نيري.
- ٥- يعلم من متى أن اسم ابن زور بابل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريصا.
- ٦- من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا على ما بين متى، وأربعون جيلا على ما بين لوقا.^(١)

ومما سبق يتضح أن كل من ذكرنا أقوالهم إنما ذكروا هذا التناقض، وأضافوا إليه ما يزيده قوة إلى قوته، إلا أن الإمام القرافي ذكره بدون تعليق، ولعله استغنى عن ذلك بوضوح التناقض وعدم التباسه على أحد.

الموضع الثاني:

يقول القرافي: قال لوقا: «قال جبريل الملك لمريم بناصره: إنك ستلدين ولداً اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»^(٢) وكذبه يوحنا وغيره، فقال: «بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد بيلاطس، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتوجه بتاج من الشوك، وصفعوه وسخروا منه وفاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم، فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطاناً، إن شئت صلبتك، وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع عليه السلام، لولا أنك أعطيت ذلك من السماء، لم يكن لك على سلطان ومن ذلك خطيئتي التي أسلمتني إليك عظيمة، وصلبه بعد ذلك»^(٣).

(١) إظهار الحق: (١٠٠/١)، وينظر: هداية الحيارى: (ص ١٤٨)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٢٤).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات (٣١-٣٣).

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٩) الفقرات (١-١٩)، إنجيل متى: الإصحاح (٢٧) الفقرات (١١-٣٩) إنجيل مرقس: الإصحاح: (١٥) الفقرات (١-٣٢)

يقول الإمام القرافي: «وهو تناقض فاحش، أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكاً عظيماً لبني إسرائيل والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط، أما على رأيهم، لأنه صلب، وأما على رأينا فلأن الله رفعه من غير ملك، ولا مهانة، فهذا لا أصل له، ثم إن محاورة تجري بين جبار وعيسى عليه السلام، أي شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء^(١) بل نقطع بأن هذا غير منزل»^(٢).

وقد ذكر هذا التناقض من السابقين أبو البقاء الجعفري، وعلق عليه بأن أحدهما يجعله ملكاً، والآخر يجعله ذليلاً ضعيفاً^(٣) ومن المتأخرين ذكره رحمة الله الهندي، ولم يعلق عليه^(٤) والباجي زاده وعلق بنحو تعليق الإمام القرافي إلا أنه مختصر^(٥).

مما سبق يظهر لنا مدى المعية الإمام القرافي عند معالجة هذا التناقض، إذ إنه لم يكتف -كما فعل غيره- بمجرد بيان أن بين النصين تناقضاً، بل بين أن الملك الذي جاء به لوقا لم يقع على اعتقادنا واعتقادهم وبيّن أن محاورة جرت بين جبار وعيسى عليه السلام أنى تدخل في الإنجيل المنزل.

(١) يمكن أن ترد محاورة في كتاب منزل بين جبار ورسول، إذا كان في ذكرها فائدة تعود على المنزل عليهم ذلك الكتاب كما جاء في سورة الشعراء بين موسى وفرعون قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات [٢٣-٣١] فإن فيها تعليماً لنا كيف حاج موسى فرعون بالأدلة العقلية، وكيف لجأ فرعون إلى البطش والظلم باستخدام القوة، وهذا شأن النزاع بين الحق والباطل في كل عصر.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٣).

(٣) يراجع: تحصيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٤) إظهار الحق: (١/ ١٠٧).

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٣).

الموضع الثالث:

قال لوقا: «لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متواتراً، وصار عرقه كعبيط الدم»^(١).

يقول الإمام القرافي: «ولم يذكر ذلك متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض، والأحكام، وإن كان الترك صحيحاً، فتكون الزيادة كذباً في النسخ الأخرى، وهذا هو التحريف والتبديل»^(٢). فالإمام القرافي يحصر المسألة في أمرين إما أن يكون ترك أصحاب الأناجيل الثلاثة هو الصواب وهذا يلزم عليه كذب لوقا، وإما أن يكون خطأ، وعندئذ، إذا تركوا هذا خطأ فلا يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام.

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فنجد الإمام أبا البقاء الجعفري يقول معلقاً «فإن كان ما ذكره لوقا صحيحاً فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح عندهم، لم يؤمن أن يدخل لوقا في الإنجيل أشياء أخر أفضع من هذا»^(٣) فالإمام الجعفري عكس النتيجة، وهي إما أن يكون ما ذكره لوقا خطأ فلا يؤمن أن يزيد ما هو أفضع أو يكون صواباً فكيف يتركه أصحاب الأناجيل الأخرى؟

وإذا جئنا إلى المتأخرين نجد الباجي زاده يذكر التناقض، ويعلق عليه بنحو تعليق القرافي.^(٤)

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح: (٢٢) الفقرات (٤٣-٤٥).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٣).

(٣) تحصيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٨).

(٤) الفارق بين لمخلوق والخالق (ص ١٣).

الموضع الرابع:

قال يوحنا: «إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرًا»^(١). يقول القرافي: «ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تصح عندهم فكيف ينقل الدين شخص واحد، وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟»^(٢).

فالإمام القرافي يلزم النصارى بأحد أمرين، إما أن يكون كاتبو الأناجيل الثلاثة متهاونين بالدين، وذلك إذا صحت هذه المعجزة، إذ كيف لا يذكرون معجزة تدل على صدق عيسى عليه السلام وإما أن يعترفوا بأنهم يقبلون دينهم عن شخص واحد وذلك عند عدم صحة هذه المعجزة الأمر الذي جعل أصحاب الأناجيل الثلاثة أغفلوها، وذكرها يوحنا، ومعلوم أن أخبار الآحاد لا تثبت بها أصول الأديان، ولا ما يوصل إليها من المعجزات.

هذا وفي هذه القصة التي ذكرها يوحنا ما يدل على الكذب، إذ إن هذه الآية وقعت -كما ذكر يوحنا- في عرس يوحنا المعمدان، ابن خالة عيسى -عليه السلام- وإذا كان الأمر كذلك، فكيف لا يذكرها إلا شخص واحد ولا سيما وهي آية عظيمة؟ ومعلوم أن مثل هذه الأمور تتوافر الدواعي على نقلها.

الموضع الخامس:

يقول القرافي: قال يوحنا: قال اليسوع عليه السلام: «إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة، ولكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي، وأبى

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرات: (١-١١).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٤) وينظر: تحصيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩١).

أيضاً يشهد لي أنه أرسلني»^(١).

وقد قالت توراتكم: «إن شهادة رجلين صحيحة»^(٢)، يقول الإمام القرافي: «فجعلوا الله تعالى رجلاً، وأثبتوا شهادته لنفسه، مع القول ببطلانها، وهذا الكلام يتنزه عنه المسيح عليه السلام وأصحابه»^(٣) فالإمام القرافي يقول للنصارى أنتم تقولون: إن الله هو عيسى ابن مريم وفي هذا الكلام جعلتموه رجلاً شاهداً لنفسه، وهذا متناقض مع قوله: «فشهادتي باطلة» ناهيك عن أن شهادته وشهادة أبيه أحدهما موصوفة بالبطلان، وهذا مناقض لما جاء بالتوراة التي يدين بها النصارى أن شهادة الاثنين صحيحة.

وإذا اتجهنا إلى السابقين للإمام القرافي فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر شهادته لنفسه وأنها غير مقبولة، ثم يقول: «ثم موضع آخر من الإنجيل - إنجيل يوحنا - يقول «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب»^(٤). ثم يقول: أخبرني كيف تكون شهادته حقاً، وباطلاً، ومقبولة وغير مقبولة، وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟^(٥)

وأما المتأخرون فقد ذكر التناقض ابن القيم^(٦) ورحمة الله الهندي بدون تعليق^(٧) والباجي زاده كذلك^(٨).

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٥) الفقرات (٣١-٣٧).

(٢) سفر التثنية: الإصحاح (١٩) الفقرة (١٥).

(٣) الأجوبة الفاخرة (٢٤)

(٤) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرة: (١٤).

(٥) بين الإسلام والمسيحية: (ص ١٧٨-١٧٩).

(٦) هداية الحيارى: (ص ١٤٦).

(٧) إظهار الحق: (١/ ١١٢).

(٨) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٣٧٢) وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل

ومن خلال ما ذكرنا تتضح مهارة الإمام القرافي وبراعته في تعليقه على النص؛ إذ بين أن الكلام المذكور من الإنجيل مناقض أوله لآخره، فأوله أن شهادة عيسى باطلة، وآخره أنها حق، وبيّن أيضا - أنه مع التسليم بصحته فإنه مناقض لما جاء في التوراة بخلاف غير القرافي فإنه إما أن يذكر النص بدون تعليق ومن علق إنما ركز على أن الشهادة متناقضة مع شهادة أخرى - وكلام من بين تناقض الكلام في نفسه ومع غيره أقوى من كلام من بيّن تناقضه مع غيره فقط.

الموضع السادس:

يقول القرافي: قال يوحنا: «لما مضى يسوع عليه السلام ليوحنا المعمدان ليَعتمد منه، قال له المعمدان حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت لكم: إنه يأتي به بعدي، وإنه أقوى مني»^(١) وقال متى «لما رآه المعمدان قال: إني لمحتاج إلى أن أنصبغ على يدك، فكيف جئتني تنصبغ على يدي؟»^(٢) وأرسل إليه بعد ذلك: «أأنت الآتي، أو ننتظر غيرك؟»^(٣) ومرقس لم يقل شيئا من ذلك^(٤).

يقول الإمام القرافي: «فاختلف الثلاثة فجزم الأول، وجعله الثاني غير عالم حتى

=

(٢/٦٦) الإعلام (ص ٢٠٦) تحصيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٢٩١).

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١) الفقرتان: (٢٩-٣٠).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرات: (١٣-١٥).

(٣) إنجيل متى: الإصحاح (١١) الفقرة: (٣).

(٤) إنجيل مرقس: الإصحاح (١) الفقرات: (٩-١٣) ولم يذكر ذلك لوقا أيضا: الإصحاح

(٣) الفقرتان (٢١-٢٢).

يسأله، وسكت الثالث بالكلية»^(١) فالقرافي يتعجب كيف يكون يوحنا المعمدان جازماً بأنه الآتي عند يوحنا، غير متأكد عند متى، غير مذكور قوله عند مرقس.

وإذ ما جئنا إلى ابن حزم -وهو من السابقين على القرافي- وجدناه ذكر قول يوحنا «هذا خروف الله» ولم يبين تناقضه مع ما ذكره متى، إلا أنه علق قائلاً: «هذه طامة بيننا كان كلمة الله وابن الله، وإلها يخلق، صار خروف الله، وحاشى لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والمملك، وإنما يضاف الخروف إلى من يتخذة للأكل أو الذبح»^(٢).

ويقول الشيخ رحمة الله الهندي مبيناً ما في الوقعة من التكاذب: «في الباب الثالث من إنجيل متى جاء عيسى إلى يحيى عليهما السلام للاصطباغ فمنعه يحيى قائلاً: إني محتاج أن اصطبغ منك وأنت تأتي إلى؟ ثم اصطبغ عيسى منه وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة، وفي الباب الأول من إنجيل يوحنا لم أكن أعرفه، وعرفته بنزول الروح مثل الحمامة، وفي الباب الحادي عشر من إنجيل متى، أنه لما سمع يحيى أعمال المسيح أرسل تلميذين إليه، وقال له: أنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ يقول الشيخ رحمة الله الهندي: فعلم من الأول أن يحيى كان يعرفه قبل نزول الروح، ومن الثاني ما عرف إلا بعد نزول الروح، ومن الثالث أنه لم يعرف بعد نزول الروح أيضاً»^(٣).

الموضع السابع:

يقول الإمام القرافي: قال متى: يوسف خطيب مريم عليه السلام اسم أبيه

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٢٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢/ ٦٤).

(٣) إظهار الحق: (١/ ١١١، ١١٢) وينظر: تحصيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩٢)

الفارق بين المخلوق والخالق: ص (١٣).

يعقوب^(١) وقال لوقا: أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف بن هال^(٢). يقول القرافي: «فجعل اسم أبيه هال، والأول جعله يعقوب، وهو تكاذب، ثم إن قضية عيسى عليه السلام في كونه ولد من غير أب، كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل حتى آذوا مريم عليها السلام إيذاءً عظيمًا برميها بالزنا، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة؟»^(٣).

الموضع الثامن:

يقول الإمام القرافي: قال متى: صلب مع المسيح -عليه السلام- لصان (عن يمينه وعن شماله) كانا يهزءان به جميعاً، ويعيرانه^(٤) وقال لوقا: إنها هزأ به أحدهما، وكان الآخر يقول لصاحبه: أما تتقي الله تعالى؟ أما نحن فبالعدل جوزينا، وأما هذا فلم يعمل قبيحاً، ثم قال للمسيح عليه السلام، اذكرني في ملكوتك، فقال حقاً: إنك تكون معي اليوم في الفردوس^(٥) يقول القرافي: «فكذب قول متى إنها يهزءان به وأغفل هذه القضية مرقس^(٦) ويوحنا^(٧) ومن المحال أن يحدث مثل هذا، ولا يشيع في ذلك الوقت، فإن كان صحيحاً فلم

(١) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرة: (٢٣).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرة: (١٦).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٤) وينظر: تحصيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٢٩٣) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٤).

(٤) إنجيل متى: الإصحاح (٢٧) الفقرات: (٣٩-٤٠-٤٠٠).

(٥) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات: (٣٣-٤٣).

(٦) قصة صلب المسيح في إنجيل مرقس واردة في الإصحاح الخامس عشر وفيه أنه صلب معه لصان، وأنها كانا يعيرانه وليس كما ذكر الإمام القرافي أن مرقس أغفلها.

(٧) قصة الصلب في إنجيل يوحنا في الإصحاح التاسع عشر وفيه أنه صلب معه اثنان، ولكن لم يذكر شيئاً عن تعييرهما له أو أحدهما.

تركاه؟ أو كذبا، فلم اختلقه الآخر؟!»^(١).

وإذا ما وجَّهنا وجهنا قبل السابقين عن الإمام القرافي فإننا نجد الإمام ابن حزم يقول معلقا على هذا التناقض: «إحدى القضيتين كذب بلا شك، لأن متى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذي يسبه، وليس يمكن هاهنا أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت، وآمن به في آخر؛ لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك، وكلهم متفق على أن كلام اللصين، وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب، فوجب ضرورة أن لوقا كذب، أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب وكذب مارقش أو الذي أخبره، ولا بد»^(٢).

ونجد أبا البقاء الجعفري يقول معلقا: «فإن كان صحيحا فلم تركاه، وإن أهملاه سهوا لم يؤمن، أن يهمل شيئا كثيرا من الإنجيل ولعلهما لم يصح عندهما، والدليل على عدم صحته تناقض متى، ولوقا فيه، فإن اللصين عند متى كافران بالمسيح، وعند لوقا: أحدهما كافر، والآخر مؤمن، وذلك قبيح جدا»^(٣).

وأما المتأخرون فإننا نجد الباجي زاده يبين أن إحدى الروايتين كذب ثم بين تكاذبا آخر.... فيقول: «فإذا لا بد من تكذيب إحدى الروايتين وهنا أمر يقتضي التنبيه عليه، وهو أن المسيحي لا يكمل إيمانه حتى يعتقد أن المسيح مكث بعد الصلب في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما في الأناجيل الأربعة ووعد المسيح هنا لأحد المصلوبين بقوله: (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) يكذب

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٥٠).

(٣) تحصيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٤).

روايات الصلب والقيام بعد ثلاثة أيام. وإن صدقنا رواية بقاءه في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال يلزم تكذيب وعده للمصلوب بأنه يكون معه في نفس اليوم في الفردوس، وإن أغمضنا عن المبينة بين الروائتين وصدقنا الجهتين أي وعده للمصلوب، وروايات القيام يلزم حينئذ تكذيب الأنجيل الأربعة، لأنها اتفقت على دفنه ليلة السبت، وقيامه ليلة الأحد صباحاً، فإذا لم يبق إلا يوم واحد وأقل من ليلتين، فثبت بالبداهة كذب رواة الأنجيل الأربعة معاً، وإلا فيلزم تكذيب عيسى عليه السلام، وتكذيبه كفر^(١).

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن الإمام القرافي يؤخذ عليه في تعليقه على التناقض ما يلي:

١- كان على الإمام القرافي أن يتحرى الدقة قبل أن يقول: إن مرقس لم يشر إلى ما كان من اللصين أو أحدهما؛ لأن مرقس ذكر ما كان منهما من تعبير للمسيح عليه السلام، والإمام القرافي نفى ذلك، وقد التمس العذر له في بادئ الأمر معللاً أنه يمكن أن يكون زاد النصارى ذلك في إنجيل مرقس، بعد عصر القرافي، ولكنني رأيت الإمام ابن حزم يذكر أن مرقس ذكر ذلك فخاب ما التمسته من عذر، والذي يظهر لي أن الإمام القرافي وقع في هذا الأمر لأنه أخذه عن أبي البقاء الجعفري، حتى أنه متأثر في تعليقه به^(٢) ولعله لثقته به لم يتحرر وراءه.

٢- الذي ينظر في تعليق الإمام القرافي يجد صورتين غائبتين، ذلك لأن مرقس ويوحنا على فرض صحة ما قيل عن مرقس إما أن يهمل ذلك في حال

(١) ينظر الفارق بين المخلوق والخالق ص (٢٦١-٢٦٣)، تحفة الأريب (ص ١٠٢)، إظهار الحق: (١١٤/١).

(٢) ينظر تحصيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٢٩٣).

صحته عمداً أو سهواً والإمام القرافي لم يذكر صورة السهو، وقد يهمل ذلك لأنه لم يصح عندهما كل ذلك لم يذكره القرافي ولكن ذكره أبو البقاء الجعفري.

٣- ناهيك عما ذكره ابن حزم من إمكان التعليل، ودفعه، وما أفاده الباجي من التكاذب بين النص المذكور، وما يعتقده النصارى، وتخبر به الأنجيل. كل هذه الأمور ليس على القرافي من لوم في تركها، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إلا أن تركها يجعل كفة القرافي مرجوحة، وليست راجحة.

الموضع التاسع:

قال متى: إن مريم خادمة المسيح عليه السلام جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا، فليس يسوع هاهنا، قد قام من بين الأموات، ثم لقيا المسيح وقال، لا بأس عليكما: قولاً لإخواني: ينطلقون إلى الجليل^(١).

وقال يوحنا: جاءت وحدها يوم الأحد بغلس فرأت الصخرة رفعت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون^(٢) وتلميذ آخر، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة ولا أدري أين دفن، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر، فبينما هي كذلك، التفتت فرأت المسيح عليه السلام قائماً فلم تعرفه، وحسبته حارس البستان فكلما فعرفته وقال لها: إني لم أصعد بعد اذهبي إلى إخواني فقولي: إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم^(٣).

يقول الإمام القرافي: «فأحدهما يقول: عشية السبت والآخر يقول: يوم

(١) إنجيل متى: الإصحاح (٢٨) الفقرات: (١-١١).

(٢) كبير الحوارين المسمى بطرس.

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢٠) الفقرات: (١-١٨).

الأحد، وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر عنها مع غيرها ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لمعتقدهم، ويقولون: قد قال: إني منطلق إلى أبي، ويغفلون عن قوله: وأبيكم وعن قوله: إلهي. ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة وحدها، مع أن هذا الكلام لو خوطب به قوم مغفلون لم يقبل، واستهجن، ولا يظهر في مرآة عقولهم.

ثم كيف يعبدون من ولد في رطوبات الأرحام ودمائها، ونشأ في ضعف الطفولة ولأوائها^(١)؟ تعتوره الأمراض والأسقام والأنكاد والآلام، والحاجة إلى الشراب والطعام ثم يصفع على زعمهم ويصلب ويهان، ثم يبكي عليه ويندب بالثكلان ويلتبس على من رآه بناطور البستان؟ فلو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى، ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان^(٢).

فالإمام القرافي يبين ما بين النصين من تناقض، ثم يبين أن النصارى يأخذون من كتبهم ما يوافق أهواءهم فهم يستدلون بقول عيسى (إلى أبي) على بنوة عيسى، ولم يقولوا إنهم أبناء الله كبنوة عيسى مستدلين بقوله: «وأبيكم» ويقولون: عيسى عليه السلام هو إله مع أنه يقول: «إني ذاهب إلى إلهي» وهذا ليس غريباً، بل هو طبيعة فيهم كما ذكرنا في طريقتهم في الطعن على الإسلام،

(١) اللأواء: الشدة والضيق والمشقة يقال: أصابتهم اللأواء أي الشدة وفي الحديث «من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجاباً من النار» أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (٨٤٠٦) (٢/٢٣٥) والحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه حديث رقم (٧٣٤٦) (٤/١٩٥) كلاهما عن أبي هريرة. ينظر: لسان العرب (٢٣٧/١٥)، القاموس المحيط (١٧١٤) مادة: (لأى).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة ص (٢٥-٢٦) وينظر تحصيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٢٩٥-٢٩٦) إظهار الحق (١/٢١٦-٢١٢٠) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٠١).

أنهم يأخذون ما يوافق أهواءهم ويعرضون عن غيره.

الموضع العاشر:

يقول الإمام القرافي: صعود المسيح إلى السماء أغفله يوحنا، ومتى، وهما من الحواريين الأثنى عشر، وذكره لوقا^(١) ومرقس^(٢) وليس من الحواريين واختلفا فقال مرقس إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليما، ثم صعد من يومه^(٣) وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما^(٤). يقول القرافي: مع أن الصعود أمر العظيم لا ينبغي أن يخفي على التلاميذ، ويعلمه غيرهم^(٥)

ويقول الباجي زاده وهو من المتأخرين عن القرافي: إن عبارة لوقا في إنجيله صريحة في أن صعوده كان في ذلك اليوم الذي انبعث فيه .. وعبارة مرقس قريبة من ذلك ولكن عبارة أعمال الرسل التي كتبها لوقا. تكذبها؛ لأنها تفيد أن المسيح تلبث بعد انبعائه أربعين يوما^(٦).

فالإمام القرافي في كلامه السابق ذكر أن اللذين ذكرا قصة الصعود ليسا من الحواريين وإن هذا لعجيب، ثم إنهما لم يصدقا بل ما ذكره مرقس مكذب بما جاء عند لوقا.

(١) سفر أعمال الرسل: الإصحاح (١) الفقرات (١-٣).

(٢) إنجيل مرقس: الإصحاح (١٦)، الفقرات (١٤-١٨).

(٣) وكذلك لوقا في إنجيله ذكر أن صعوده كان من يومه. ينظر: إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٤) الفقرات (٣٦-٥٣).

(٤) أعمال الرسل: الإصحاح (١)، الفقرتان (٢، ٣).

(٥) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٦).

(٦) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣١٠)، وينظر: تحصيل من حرف التوراة الإنجيل (١/ ٣٠٠) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص ٧٤).

ولكن الباجي ذكر أمراً غريباً وهو تكاذب لوقا مع نفسه فتارة يقول صعد من يومه وأخرى يقول مكث أربعين يوماً ثم صعد، وإن هذا لغريب إذ إن الإنسان قد يكذب غيره وله صور كثيرة، أما أن يكذب نفسه فليس له صور إلا في أناجيل النصارى.

ولذلك يمكن أن نقول: إن بيان الباجي زاده لهذا التناقض، وتعليق عليه أقوى من تعليقه وبيان الإمام القرافي.

الموضع الحادي عشر:

قال متى: قال يسوع: حقاً أقول لكم: إن قوماً من القيام هاهنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته^(١). يقول الإمام القرافي: وقد مضى نحو ألف سنة، ولم يأت في ملكوته ومات القيام ومن بعدهم فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء، وهو يحرم الثقة بجميع ما يقولونه^(٢).

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام القرافي نجد ابن حزم يقول: وكذب هذا المقول قد ظهر علانية فقد استوعبوا مدائن بني إسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ فحاش لله أن يكذب نبي فكيف إله؟

ثم يذكر ما يمكن أن يعترض به النصارى علينا من صحيح أحاديث النبي ﷺ وهو شبيه بما ذكر عنهم فيقول فإن قالوا: فإن في صحيح حديثكم أن نبيكم ﷺ قال وأشار إلى غلام بحضرته من بني النجار إن استكمل هذا عمره أدرك الساعة، فمات ذلك الغلام في حد الصبا، وأنه كان يقول للأعراب إذا سأله

(١) إنجيل متى: الإصحاح (١٦) الفقرة: (٢٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة: ص (٢٦).

ومتى تقوم الساعة فيشير إلى أصغرهم يقول: إن يستكمل هذا عمره لم يأت الموت حتى تقوم الساعة^(١).

ويجيب عن هذا بقوله: «هذا لفظ غلط فيه قتادة ومعبد بن هلال فحدثا به عن أنس على ما توهمنا من معنى الحديث ورواه ثابت بن أسلم البناني عن أنس كما قاله رسول الله ﷺ بلفظه فقال: قامت عليكم ساعتكم^(٢)» وهكذا رواه الثقات أيضا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما رواه ثابت عن أنس وهذا هو الحق الذي لا شك فيه أن المراد قيامة المخاطبين.

ولا خلاف في أن ثابتاً البناني أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة، ومعبد فكيف وقد وافقته أم المؤمنين ونحن لا ننكر غلط الرواة إذا قام عليه البرهان أنه خطأ، وقد صح في القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال لا يدري متى تقوم الساعة أحد إلا الله^(٣) ولو قال

(١) أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه: ك: الفتن، باب قرب الساعة، تحت رقم (٢٩٥٣) الحديث الأول عن معبد بن هلال العنزي عن أنس، والثاني: عن قتادة عن أنس (٢٢٦٩/٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ك: الفتن باب قرب الساعة حديث رقم: (٢٩٥٢) عن عائشة: (٢٢٦٩/٤)، وما ذكره ابن حزم من أن ذلك وارد عن ثابت فغير صحيح فقد روى عن ثابت عن أنس باللفظ الذي ذكر ابن حزم أن فيه غلطاً وتوهمًا. صحيح مسلم، ك: الفتن باب قرب الساعة حديث رقم (٢٩٥٣) (٢٢٦٩/٤)، وعليه فما أجاب به ابن حزم من دفع الاعتراض ليس قويا؛ لأن ما اعترض به وارد من طريق ثابت البناني، وليس كما ذكر ويمكن أن يدفع هذا الاعتراض بأن يحمل العام الذي روى من طريق ثابت البناني وقتادة، ومعبد بن هلال على الخاص الذي ورد عن عائشة، ويرتفع التناقض، والله أعلم.

(٣) وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ترجع علم الساعة إلى الله وحده كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]

النصارى واليهود مثل هذا في نقلة كتبهم، ما عفنأهم، ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط في نقلهم، وإنما ننكر عليهم أن ينسبوا إلى الله تعالى الكذب البحت، ويقطعون أنه من عند الله تعالى، وننكر على النصارى أن يجعلوا من صح عنه الكذب معصومًا، يأخذون عنه دينهم^(١).

وإذا جئنا إلى المتأخرين عن الإمام القرافي نجد الباجي زاده يذكر قول متى السابق ثم يقول: «فانظر أيها العاقل، فإن القوم الذين كانوا معاصرين له عليه السلام من المؤمنين به والجاحدين له قد ماتوا جميعا ومضى على ذلك تسعة عشر قرنًا ولم يأت ابن الإنسان في ملكوته فإما أن يكون المسيح قد كذب وهو صلوات الله عليه معصوم من الكذب أو يكون هذا المترجم كذب في افترائه» ثم يذكر ما يدفع به النصارى كذب متى بقولهم: إن المراد من إتيان المسيح بملكوته هو معجزة التجلي للتلاميذ بعد قيامته^(٢).

ويجيب عن ذلك بقوله: «إن هذا الكلام لا طائل تحته، ولو كان صدوره من المسيح حقًا وأراد به التجلي لقلنا إنه من العبث لأن بين قول المسيح هذا، ووقوع التجلي أيامًا قلائل لا تزيد عن الأسبوع، فإذا كان هذا هو المراد حقيقة لم يكن هناك موجب لعددها من قسم المعجزات والعاقل لا ينكر على القائل بين ألوف من العالم: إن من هذه الألوف قومًا لا يذوقون الموت إلى سبعة أيام، وهذا ما

وأما الحديث فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١٨٤/١/٢٧) وأبو داود في السنن، ك: السنة باب ما جاء في القدر، حديث رقم (٤٦٩٢) (٢/٦٣٥) كلاهما عن ابن عمر عن أبيه سنن أبي داود، ت/ محمد محي الدين عن الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٢٧-٢٨).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح (١٧) الفقرات (١-١٣).

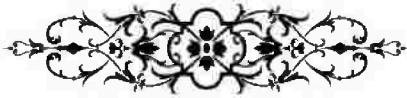
يسلم له ولا يستغرب منه إذ ليس بخارق للعادة»^(١)

ومن خلال ما سبق ندرك:

أن ثلاثتهم متفقون على أنه قد مرت القرون، ولم تصدق نبوة عيسى عليه السلام مما يلزم عنه إما كذب عيسى عليه السلام وهذا محال لعصمته ﷺ، وإما كذب متى أو مترجمه وهو الصحيح.

إلا أن ابن حزم انفرد بإيراد ما يمكن أن يعترض به النصراني علينا من أن نبينا ﷺ وعد بمثل ما وعد به عيسى عليه السلام، ولم يصدق خبره وأجاب عنه وإن كانت إجابته غير شافية، إلا أن فيها منهجاً للمحاوره جيلاً، وهو ما يسمى بمنهج القوقلة (فإن قالوا، قلنا) وهو غير موجود عند الإمام القرافي.

وأما الباجي زاده، فإنه وإن شاركهم تكذيب الخبر، إلا أنه أجاب، عما يدفع به النصارى تكذيب إنجيلهم، وهذا يجعلنا نقول: إن أقوى الردود هنا هو رد الباجي زاده، ولا عجب في ذلك فكم ترك الأوائل للأواخر؟



(١) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص ١٢٥-١٢٦).

الفرع الرابع هل في الأناجيل شيء مما نزل على عيسى عليه السلام؟

يرى الإمام القرافي أن الأناجيل وإن أصابها التحريف والتغيير، إلا أن فيها شيئاً قليلاً مما نزل على عيسى عليه السلام، لا يعتمد عليه في استدلال على أصل دين؛ لأنه مخلوط بغيره من غير المنزل، وإذا اختلط بغيره فلا يعول عليه، وذلك قوله: «ثم الذي ينقلونه عن عيسى عليه السلام وهو القليل لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله تعالى، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك فهذا كله ليس من عند الله تعالى.

ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد ﷺ من القرآن وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبداً، فضلاً عن نقله بعد تعيينه، والمسلمون نقلوا القرآن نقلاً متواتراً يقطع بصحته خلفاً وسلفاً.

فانظر هذه الحال ما أشد بعدها عن الصواب، وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون ويجهلون بقولهم: نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى وهو مضبوط عن الخلل برئ عن الزلل فهم جديرون بأن يضحك عليهم أبد الدهر، وإن شئت قلت ييكي عليهم^(١).

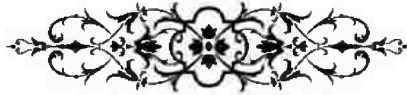
والله أعلم

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ٢٧) وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص ١٩١).

المطلب الرابع عقائد النصرى وموقف القرايى منها

وفيه مسالك:

- المسلك الأول: ألوهية المسيح وموقف القرايى منها.
- المسلك الثانى: عقيدة الصلب والفداء وموقف القرايى منها.
- المسلك الثالث: عقيدة التثليث وموقف القرايى منها.
- المسلك الرابع: عقيدة الحلول والاتحاد وموقف القرايى منها.



المسلك الأول ألوهية المسيح وموقف القرافي منها

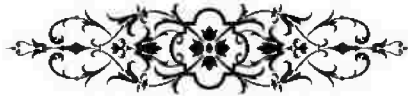
وفيه فروع:

الفرع الأول: موقف الأناجيل من تأليه المسيح عليه السلام.

الفرع الثاني: شبهة النصارى التي يعتمدون عليها في تأليه عيسى عليه السلام ورد القرافي عليها.

الفرع الثالث: أدلة القرافي العقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة القرافي النقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.



الفرع الأول موقف الأنجيل من تأليه المسيح عليه السلام

يعتقد النصارى أن عيسى ابن مريم عليه السلام إله يستحق العبادة، وبالتالي عبده، ويصرحون بذلك فيقولون «المسيح في عقيدتنا كمسيحين ليس نبياً ولا رئيساً للأنبياء، إنه الله الظاهر في الجسد، إن جميع المسيحيين يجمعون على ألوهية المسيح وأنه الإله المتأنس.... نعم فنحن نؤمن بألوهية المسيح»^(١).

وإذا كانوا يقولون: إنهم آمنوا بألوهية الفادي عيسى عليه السلام بناءً على نبوات الأنبياء بالتصريح والتلويح والرموز الإشارات^(٢).

فهل أناجيلهم تؤيد ما اعتقدوه؟ وإذا لم يكن لهذه العقيدة مستند من الأنجيل فمن أين جاءت هذه للعقيدة إلى دين النصارى؟

الواقع أن أناجيل النصارى تقرر ثلاث قضايا مهمة:

القضية الأولى: أن الله واحد لا شريك له.

ويؤكد ذلك ما جاء في إنجيل متى من قول عيسى عليه السلام «ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات»^(٣)

وما جاء في إنجيل مرقس من قول عيسى عليه السلام: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية

(١) ألوهية المسيح لملاك لوقا (ص ٦٠) نشر مكتبة المحبة بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: موسوعة علوم الدين، لابن المكين القبطي: (ص ١٢) تلخيص وتعليق د/ ميخائيل مكس إسكندر، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

(٣) إنجيل متى: الإصحاح (٢٣) الفقرة: (٩).

الأولى»^(١).

وما جاء في إنجيل لوقا من قول عيسى عليه السلام لمن دعاه بالمعلم الصالح: «لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله»^(٢).

وما جاء في إنجيل يوحنا من قول عيسى عليه السلام: «إني اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»^(٣).

القضية الثانية: أن عيسى عليه السلام إنسان:

وقد ورد التصريح بذلك في مواطن كثيرة في الأناجيل نذكر منها:

ما جاء في إنجيل متى من أن عيسى عليه السلام قدم إليه مفلوج فلما رآه قال له: «ثق يا بني مغفورة لك خطاياك» فتعجب قوم من الكتبة وظنوه يجدف فقال لهم «لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيما أيسر، أن يقال: مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا»^(٤).

ففي النص الذي ذكرناه تصريح عيسى عليه السلام أنه ابن إنسان، كما فيه أن الجموع الكثيرة كانت لا تعتقد في عيسى الألوهية، بل هو واحد من الناس أعطاه الله سلطانا.

(1) إنجيل مرقس: الفقرتان: (٢٩-٣٠).

(2) إنجيل لوقا: الإصحاح (١٨) الفقرة: (١٩).

(3) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢٠) الفقرة: (١٧).

(4) متى: الإصحاح (٩) الفقرات: (٢-٨).

وجاء في إنجيل متى أيضا قول عيسى عليه السلام مبينا تعنت بني إسرائيل: «لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكل وشرب خمر»^(١).

وما جاء في إنجيل مرقس من قول عيسى عليه السلام: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد»^(٢).

وما جاء في إنجيل لوقا من قول عيسى عليه السلام: «ولكن هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة، وابن الإنسان ماض كما هو محتوم»^(٣).

وما جاء في إنجيل يوحنا من قول عيسى عليه السلام: «الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم»^(٤). وجاء فيه أيضا قول عيسى عليه السلام: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله»^(٥).

القضية الثالثة: أن عيسى عليه السلام رسول:

ويؤكد ذلك ما جاء في إنجيل متى: «هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»^(٦).

وما جاء في إنجيل لوقا: «من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني»^(٧).

(1) متى: الإصحاح (١١) الفقرتان: (١٨-١٩).

(2) مرقس: الإصحاح: (١٣) الفقرة: (٢٦).

(3) لوقا: الإصحاح: (٢٢) الفقرتان: (٢١-٢٢).

(4) يوحنا: الإصحاح: (٦) الفقرة: (٥٣).

(5) يوحنا: الإصحاح: (٨) الفقرة: (٤٠).

(6) متى: الإصحاح: (٢١) الفقرة: (١١).

(7) متى: الإصحاح: (١٠) الفقرة: (٤٠).

وما جاء في إنجيل لوقا: «قد قام فينا نبي عظيم»^(١).

وما جاء فيه أيضاً لما قيل لعيسى عليه السلام «اخرج واذهب من هاهنا لأن هيردوس يريد أن يقتلك» فقال: «بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه؛ لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم»^(٢).

وما جاء في إنجيل يوحنا: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله». وجاء فيه أيضاً: «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»^(٣).

فمما سبق يتبين أن الأناجيل ذكرت عن عيسى عليه السلام إقراره بوحدانية الله تعالى كما أنها ذكرت أنه عليه السلام إنسان إلا أنه خص بالنبوة والرسالة ووصف الأناجيل عيسى بذلك يفيد أنه ليس إلهاً، إذ لو كان إلهاً لا يكون إنساناً ولا ابن إنسان ولو كان إلهاً لا يكون نبياً، ولا يكون رسولاً وها هو ذا يقول: الذي أرسلني فمن الذي أرسله؟ لا شك أنه الله، وهل الله يرسل الله مثله؟

وحتى لو كان ذلك ممكناً فإن عيسى عليه السلام يكون إلهاً من الدرجة الثانية - إن صح هذا التعبير - وإلا لم يكن رسولاً لإله سواه وهذا يناقض مدعي القوم أن الأقانيم الثلاثة (الأب - الابن - الروح القدس) متساوية في السلطان^(٤).

(١) لوقا: (٧) الفقرة: (١٦).

(٢) لوقا: الإصحاح: (١٣) الفقرتان: (٣١-٣٣).

(٣) يوحنا: الإصحاح: (٦) الفقرة: (١٤).

(٤) ينظر: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/ عبد العظيم المطعني: (ص ٤٠٣-٤٠٤) دار الوفاء مصر ط الأولى ١٤٠٧ هـ، ويراجع: المسيحية: (ص ٢٤٢) وما بعدها، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص ٤٣٨-٤٣٩).

وإذا كانت مصادر المسيحية المعتمدة عندهم تقرر التوحيد لله تعالى وأن عيسى عليه السلام إنسان وأنه رسول، فكيف انتقلت المسيحية إلى القول بتأليه المسيح؟ ومن الذي قام بذلك؟ ومتى؟

والحقيقة أنه قد مر أثناء حديثنا عن شخصية بولس شيء من الإجابة عن هذه الأسئلة إلا أنه قد يكون غير كاف، مما يضطرنا إلى ذكر مزيد من البيان في الإجابة عن هذه الأسئلة فنقول.

لقد عاش المسيح عليه السلام رسولاً نبياً، أدى بكل أمانة وإخلاص الرسالة التي بعثه الله من أجلها فأخلص النصح لبني إسرائيل وجاهد ليقم بينهم أمر الله، فضايقوا به ذرعاً، وناصبوه العداء حتى اقتادوه إلى خشبة الصلب، لولا أن نجاه الله منهم، وأوقع شبهه على من دل عليه، فقتلوه ظانين أنه المسيح فارتكبوا إثم مقتله بنياتهم وظل حواريو المسيح مؤمنين به الإيمان الصحيح، ومثلهم من آمن به حق الإيمان من بني إسرائيل وبعد فترة من غيبة المسيح، عبث برسائله العابثون وكان في مقدمة هؤلاء بولس اليهودي^(١).

يقول ويلز عن بولس وكيف استقى أفكاراً من ديانات أخرى وأدخلها المسيحية ومن هذه الأفكار القول بموت الإله: «كان القديس بولس من أعظم من أنشئوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس وقد أوتي هذه الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرانية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم وعلم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط

(١) ينظر: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي (ص ٤١١-٤١٢).

بل هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر.... وراح القديس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس كان رباً مات ليعث حياً، وليمنح الناس الخلود». يقول د/ أحمد شلبي: «وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح»^(١).

ولكن لم يكن قبول ادعاء بولس أن عيسى إله أمراً سهلاً، وخاصة في موطن المسيح الأصلي فلسطين، ولذلك قوبلت دعوته بالرفض، وعاداه أتباع المسيح الحقيقيون، وهجره تلاميذ المسيح - وقد ذكرت ذلك في الحديث عن شخصية بولس قبل ذلك - مما اضطر بولس أن يبحث عن مكان آخر لدعوته فذهب إلى أوروبا وهناك وجدت دعوته أرضاً خصبة فالتثليث ونزول الإله من السماء تضحية بنفسه وتكفيراً عن خطيئة البشر وصعوده إلى السماء مرة أخرى كل هذا كان له جذور قديمة في الأساطير الأوربية، ولم يكن التوحيد عميق الجذور بأوروبا^(٢).

وهكذا عاشت المسيحتان (مسيحية الشرق، ومسيحية الغرب) مختلفتين في شأن المسيح عليه السلام، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول؟ فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته، ومن قائل: إنه ابن الله له صفة القدم، كما الله تعالى تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ولقد كانت تلك

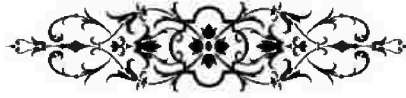
(١) ينظر: المسيحية: (ص ١٢٦-١٢٧).

(٢) يراجع: المسيحية (ص ٢٤٦).

الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية، لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث وكانوا يستسرون بدينهم ولا يظهره ولا يخفون عقائدهم ولا يعلنونها حتى إذا رزقوا الأمان، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان، ظهرت الخلافات الكامنة، وإذا هم لم يكونوا متفقيين إلا في التعلق باسم المسيح، والاستمسك بالانتساب إليه، من غير أن يتفقوا على شيء في حقيقته، ولذا لما منحهم قسطنطين الأكبر باني القسطنطينية عطفه، واعتزم الدخول في النصرانية، ووجد هذا الاختلاف الشديد، فعزم على عقد مجمع لفصل النزاع في هذه الاختلافات^(١)، فجمع البطارقة والأساقفة وعقد مجمعا عرف بمجمع نيقية وذلك سنة (٣٢٥م) وكان الهدف من المجمع فضلا عن حسم الخلاف تقرير حقيقة المسيح وكان عدد المجتمعين (٢٠٤٨) أسقفا وبطريركا وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه أريوس مرددا: أن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، ولكن ممثلي كنيسة الإسكندرية أبوا ذلك وانضم إليهم ممثلو كنيسة روما، واختلف المجتمعون وتضاربوا ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار، فقرر الإمبراطور أن يفصل في الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبني رأي صديقه الممثل الديني للغرب (كاهن روما) فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفي الكثيرين منهم، ونفي أريوس مع بعض من أيدوا رأيه واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم (٣١٨) عضواً، فاتخذوا قراراً بذلك، وهكذا تدخلت السلطة فخلقت هذا القرار الذي اتخذته أقلية المجتمعين، ولم تكتف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس وحرمت كل ما سواه، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه وصادرت وأفنت

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص ١١٢-١١٣).

كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ومعاقبتهم بالنفي والتشريد عند اللزوم وكان هذا العام (٣٢٥) أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بالوهمية المسيح^(١).



(١) ينظر: المسيحية (ص ١٢٧-١٢٨).

الفرع الثاني شبهة النصارى التي يعتمدون عليها في تأليه عيسى عليه السلام ورد القرافي عليها

أولاً: الشبهة:

يستدل النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام بما أظهره الله على يديه من خارق إحياء الموتى وذلك قولهم: «وافقنا المسلمون على أن المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى، وإحياء الموتى مختص بالله تعالى، فيصح قولنا: إن المسيح عليه السلام هو الله تعالى ويبطل قول المسلمين، إنه عبد من عبيد الله تعالى؛ لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك.

ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم، ولم يكن فيهم من يحيي الموتى، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله، ولذلك لما تعدى النمروود طور العبودية حاجه إبراهيم عليه السلام بأن الله يحيي ويميت.

ولولا أن الإمامة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم عليه السلام وصريح القرآن يؤيد ذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء، وعيسى عليه السلام أحيائها، فيكون أنشأها أول مرة. وهذا هو الله قطعاً، والعجب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا؟!

وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة عليهم بربوبية المسيح عليه السلام. وصحة قول النصارى، وأن المسلمين هم المشركون بجعلهم مع الله تعالى من يشاركه في إحياء الموتى، وأن النصارى هم الموحدون؛ لأنهم لم يشركوا مع الله غيره في خواص ملكه^(١).

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٣-٦٤).

ثانيا: رد القرافي عليها:

يلاحظ في الشبهة أن النصارى يستدلون على ألوهية عيسى عليه السلام بما نعتقه نحن المسلمين من أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى والإمام القرافي في دفعه تلك الشبهة يسلك مسلكين.

المسلك الأول: يبين فيه أن ما اتخذ النصارى سبيلا لإثبات ألوهية المسيح عليه السلام من اعتقاد المسلمين بإحيائه الموتى غير نافع لهم؛ لأن اعتقاد المسلمين على خلاف ما يذكره النصارى إذ النصارى يذكرون أننا نعتقد إحياء عيسى عليه السلام الموتى بنفسه، ونحن نعتقد غير ذلك من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى وذلك قوله: «إنكم لم تفهموا قول الله تعالى في القرآن^(١) ولا قول المسلمين إن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى، ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد كائنا ما كان، وأن عيسى لم يحيي قط ميتاً، ولا أبرأ أكمه ولا أبرص وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح عليه السلام، لا أن المسيح عليه السلام كان يفعل ذلك كما أن موسى عليه السلام لم يكن يقلب لون يده^(٢) ولا

(١) يقول الله تعالى عن معجزة إحياء الموتى لعيسى عليه السلام: ﴿... وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] ويقول أيضاً: ﴿لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ... وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

(٢) قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢] وجاء في التوراة «ثم قال له الرب أيضاً أدخل يدك في عبك، فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج، ثم قال له: رد يدك إلى عبك، فرد يده إلى عبه ثم أخرجها، من عبه وإذا هي قد عادت مثل جسده» [سفر الخروج: الإصحاح: (٤) الفقرتان: (٦-٧)].

يجول جمادية عصاه^(١) بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته، فالمعجزة في اختصاص إرادتهما بهذه الآثار لا أنها الفاعلان لها.

والذي حاج به إبراهيم عليه السلام النمرود، إنما هو نفس الإمامة والإحياء اللذين هما خاصان بالله تعالى، ولذلك حسن احتجاجه عليه السلام، وكذلك المراد نفس الإحياء في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] فلا يحیی على الحقيقة إلا المنشئ وهو الله تعالى، فاندفع الإشكال وضح مذهب أهل الإسلام، وأنهم الموحدون حقاً، وبطل الكفران^(٢).

والمسلك الثاني:

يسلم الإمام القرافي للنصارى أن عيسى عليه السلام كان يفعل نفس الإحياء، ولكن هذا التسليم أيضاً لا ينفعهم؛ إذ يلزم عنه أن كل من أحيا ميتاً كان إلهاً، وقد صرحت كتب النصارى بأن غير عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، فهل هؤلاء مشاركون لعيسى عليه السلام في الألوهية؟ وهذا لا يقول به النصارى.

وهذا ما عناه القرافي بقوله: «سلمنا أن الإمامة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما

(١) قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿٥٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَىٰ ﴿٥٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٦١﴾ [طه: ١٧-٢١] وفي التوراة: «فقال له الرب: ما هذه في يدك، فقال: عصا فقال: اطردها إلى الأرض فطردها إلى الأرض، فصارت حية فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى: مد يدك، وأمسك بذنبها، فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده» سفر الخروج: الإصحاح (٤) الفقرات (٢-٥).

(٢) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٤-٦٥).

عيسى عليه السلام لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك^(١) بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى عليه السلام يفعل كفعله^(٢) وإن داود عليه السلام أحيأ ميتا بعد مائتي سنة^(٣) وأن ألياس^(٤) واليسع^(٥) وحزقيال^(٦) وغيرهم كانوا يحيون الموتى فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية فليكن الحواريون كلهم وداود عليه السلام وهؤلاء الأنبياء، آلهة مساويين للمسيح عليه السلام في الإلهية، وجميع ما ينسب إليه ولما لم يقل بذلك أحد دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلهية عيسى عليه السلام^(٧).

ويمكن أن يعترض النصارى بأن عيسى عليه السلام يفارق غيره في هذا الأمر، فغيره من الأنبياء والحواريين أحيوا الموتى بإذن الله تعالى، أما عيسى عليه السلام فإنه أحيأ بنفسه وهذا ما يجيب عنه الإمام القرافي في قوله: «فإن قالوا غير عيسى عليه السلام كان يجبي بإذن الله تعالى، بخلافه.

قلنا: هذا قائم في حق عيسى عليه السلام وهو أنه إنما كان يجبي بإذن الله تعالى، فيستوون^(٨).

-
- (١) إنجيل متى: الإصحاح (١٠) الفقرة: (٨).
 - (٢) إنجيل متى: الإصحاح (١٧) الفقرة: (٢٠) والإصحاح: (٢١) الفقرتان: (٢١-٢٢)
 - إنجيل مرقس: الإصحاح (١١) الفقرة: (٢٣) إنجيل لوقا: الإصحاح (١٧) الفقرة: (١٦) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٤) الفقرات: (١٢-١٤).
 - (٣) لم أجد ذلك في التوراة الحالية، بعد الاطلاع على سفر أخبار الأيام الأول والثاني، وسفر الملوك الأول والثاني، وسفر صموئيل الأول والثاني، ومزامير داود.
 - (٤) سفر الملوك الأول: الإصحاح (١٧) الفقرات (٢٠-٢٣).
 - (٥) سفر الملوك الثاني: الإصحاح (٤) الفقرات (٣٢-٣٧).
 - (٦) سفر حزقيال: الإصحاح: (٣٧) الفقرات: (١-١١).
 - (٧) الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٥).
 - (٨) الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٥).

فالإمام القرافي في مسلكه الثاني يلزم النصارى بأحد أمرين: إما أن يقولوا إن غير عيسى ممن أحيوا أمواتاً آلهة، وهذا لا يقوله النصارى، أو يقولوا: إن هؤلاء أحيوا بإذن الله تعالى فإن قالوا ذلك فالجواب أن عيسى عليه السلام مساوٍ لهم في ذلك، فلا فرق.

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام القرافي نجد حجة الإسلام الغزالي يذهب إلى أنه وإن كانت معجزة إحياء الموتى أيد بها عيسى، وادعى النصارى بذلك ألوهيته فإن غيره من الأنبياء كانت لهم معجزات أقوى في الدلالة على الإعجاز من إحياء الموتى، ومع ذلك فلم يدع أحد ألوهيتهم مع أنهم أولى بذلك من عيسى وذلك قوله: «فإنهم معترفون بأن موسى عليه السلام قلب العصا ثعباناً وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجهاد بالحيوانية؟ بل هذا أدل على المعجز؛ لأن جعل ما لم يتصف بحياة قط حياً أدل على القدرة من إعادة الشيء إلى حالته الأولى»^(١).

ونجد أبا عبيدة الخزرجي وتبعه الإمام القرطبي يقولان: «إن من عجيب أمر هؤلاء القوم: أنهم يزعمون أن عيسى عليه السلام أيد نفراً من الحواريين بإحياء الموتى، وجعلهم رسلاً إلى الأجناس، فأحيوا الموتى بزعمهم، فما الذي أوجب أن يكون المسيح في حال الألوهية قد أيد بذلك بشراً وجعله رسولاً إلى الأجناس ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد بشراً ويجعله رسولاً للناس؟»^(٢). فالنصارى بذلك يفرقون بين الأمور المتساوية في الحكم، فإذا كان عيسى إلهاً على زعمهم وأرسل رسلاً أحيوا الموتى ولم يدع النصارى أن هؤلاء الرسل آلهة

(١) الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام الغزالي (ص ٥٢) ت/ د أحمد حجازي السقا. مكتبة زهران - القاهرة - ط: الأولى، بدون التاريخ.

(٢) ينظر بين الإسلام والمسيحية (ص ١٦٧) الإعلام (ص ١٣٦).

فليحكموا أن عيسى رسول ليس إلهًا؛ لأن الله أرسله وأحيا الموتى.

ونجد أبا البقاء الجعفري يقول: «فإن استروح النصارى في دعواهم ربوبيته إلى إحياء الموتى أريناهم من كتبهم التي بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى مثل: إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عبادًا لله تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئاً من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه، وطلبوا منه المعونة، ودعوه، قلبنا عليهم السؤال، وقلنا: فلعل المسيح كان إذا رام شيئاً من هذه الآيات تضرع إلى أحد ممن ذكرنا وسأله ودعاه، وطلب منه، فهم متقدمون عليه، وأرواحهم في حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحق أن يسألهم من أن يسألوه»^(١).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين نجد الشيخ رحمة الله الهندي يذكر استدلال النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، ويعلق عليه بتعليق قريب مما ذكره الإمام القرافي في مسلكه الثاني^(٢) ونجد الباجي زاده رحمة الله تعالى يذكر تعليقاً قريباً مما ذكره الإمام الغزالي، إلا أن فيه اتساعاً^(٣).

(١) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٠١).

(٢) ينظر: إظهار الحق: (١/ ٤٢٩).

(٣) ينظر: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق: (رد رسالة أبحاث المجتهدين) (ص ٥٣)، وينظر: رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم (ص ٥٦)، ت/ خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، ط/ الأولى، ٢٠٠٦م، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٢٧٧)، هداية الحيارى (ص ١٩٣-١٩٤).

الفرع الثالث أدلة القرافي العقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في تأليههم عيسى عليه السلام ذكر أدلة عقلية يلزم بها النصارى بعدم ألوهية عيسى عليه السلام، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول:

يقول الإمام القرافي: «نقول: الإله الواحد الأزلي جسم، ولحم ودم، أم يستحيل عليه ذلك فإن أحالوا ذلك عليه خرج المسيح عليه السلام من الربوبية؛ لأن الأنجيل الأربعة تشهد بأنه كذلك، لا يباين البشر في شيء، وإن لم يحيلوا ذلك أكذبهم التوراة والإنجيل والنبوات ففي التوراة: «لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق ولا في الأرض أسفل ولا في البحار تحت ولا بشيء»^(١) هو قول القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وفي الإنجيل: أن الله لا يأكل ولا يشرب، وما رآه أحد قط^(٢) وفي المزامير: يا رب

(١) جاء في التوراة «لا تضع تمثالا منحوتا، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض» خروج: الإصحاح: (٢٠) الفقرة: (٤) تثنية: الإصحاح (٥) الفقرة: (٨) وهذا لا يدل على المعنى الذي يقصده الإمام القرافي ولم أجد نصا يشابه النص الذي ذكره الإمام القرافي في التوراة، ولكن جاء فيها ما يدل على نفي مشابهة الله لأحد من خلقه، فقد جاء في سفر التثنية «ليس مثل الله يا بشُورون» الإصحاح: (٣٣) الفقرة: (٢٦).

(٢) لم أجد في العهد الجديد هذا النص بهذه الصيغة، ولكن وجدت نصوصًا تقاربه، منها ما جاء في إنجيل يوحنا: الإصحاح (١)، الفقرة (١٨): «الله لم يره أحد قط». وما جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس: «والذي وحده له عدم الموت... الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» الإصحاح: (٦)، وما جاء في رسالة يوحنا الأولى: «الله لم

أنت صانع العجائب لا نظير لك^{(١)(٢)}.

فالإمام القرافي يلزمهم بواحد من اثنين: إما أن يقرّوا بعبودية عيسى عليه السلام وذلك في حال اعترافهم بأن الإله يستحيل أن يكون جسماً لحمًا ودمًا؛ لأن الأناجيل الأربعة من أولها إلى آخرها تشهد بأن عيسى عليه السلام كان كذلك.

أو يقرّوا بتكذيبهم كتبهم المقدسة - في نظرهم - إن قالوا: إن الإله يكون جسماً من لحم ودم. والإمام القرافي هنا ينهج طريقة السبر والتقسيم إذ إنه حصر المسألة في أمرين: إما استحالة أن يكون الإله جسداً أو الاعتراف بذلك وباطل أن يكون الإله جسداً لنصوص الكتب التي دلت على ذلك فلم يبق إلا الأمر الأول وهو استحالة كون الإله جسداً وعليه فعيسى عليه السلام بشر وليس ربا لأن الأناجيل تعترف بذلك من أولها إلى آخرها.

الدليل الثاني:

يقول الإمام القرافي: «نقول للنصارى: آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وأممهم كانوا يعرفون المسيح عليه السلام ويعتقدون أنه خالقهم ومدبرهم أم لا؟ فإن قالوا: لا، كفروا بهؤلاء الأنبياء لنسبتهم فيها إلى الجهل بخالقهم.

وإن قالوا: نعم، كذبتهم الكتب جميعاً إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحداً من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله»^(٣).

=

ينظره أحد قط، الإصحاح: (٤)، فقرة (١٢).

(١) يراجع: مزمو: (٧١) الفقرة (١٩) مزمو (٧٧) الفقرة (١٣) مزمو (٨٥) الفقرة (٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٥)، وينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١ / ٣٦١).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٦).

هذا وقد ذكر هذا الدليل أبو البقاء الجعفري بمعنى قريب مما ذكره الإمام القرافي ولكنه أضاف: «كيف يكون المسيح رب موسى وإبراهيم ومن ذكرنا، وشمعون رئيس الحواريين يقول في رسائله إلى إخوانه: «اعلموا أن الله أرسل إليكم يسوع المسيح»^(١) ويقول: «اعلموا أن المسيح رجل جاءكم من الله بالقوة والأيدي؟»^(٢).

وكيف يكون المسيح ربا وإلها والمعمداني يغسله ويعمده بالماء ويقول حين رآه: «وهذا الذي قلت لكم: إنه من بعدي وهو أقوى مني؟»^(٣).

وكيف يكون المسيح إلها لداود وغيره، وداود عليه السلام يقول في مزاميره: «إن المسيح يكون كاهنا مؤيداً من الله تعالى يشبه ملكي صادق خادم بيت المقدس؟»^(٤)

وقد قال المسيح: «إنه أفضل من يونس بن متى»^(٥). وإنه أفضل من سليمان^(٦) وقال بولس: إنه أفضل من موسى بن عمران^(٧). فهذه الأقوال من المسيح، ومن خيار أصحابه ومن بينا من الأنبياء دليل على كذب النصارى»^(٨).

أي إذا كان المسيح إلها فكيف يوصف بالرسالة؟ وكيف يعمد بالماء؟ وكيف

(1) أعمال الرسل: الإصحاح (١٠) الفقرة: (٣٦).

(2) أعمال الرسل: الإصحاح (٢) الفقرة: (٢٢).

(3) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرات (١١-١٦) مرقس: الإصحاح (١) الفقرات (٧-١٠) لوقا: الإصحاح (٣) الفقرات (١٦-٢٢).

(4) مزمور (١١٠) الفقرة (٤).

(5) متى: الإصحاح (١٢) الفقرة (٤١).

(6) متى: الإصحاح (١٢) الفقرة (٤٢).

(7) رسالة بولس إلى العبرانيين: الإصحاح (٣) الفقرة (٣).

(8) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٣٦٨-٣٦٩).

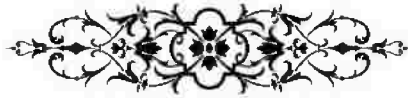
يفاضل بينه وبين غيره من الأنبياء؟ فهو أقوى من يحيى عليه السلام. وأفضل من موسى وسليمان عليهما السلام. ولو كان إلهها لما فوضل بينه وبين غيره، إذ المفاضلة تعني: المقاربة في الأمر إلا أن أحدهما زاد عن الآخر، والله تعالى لم يقاربه أحد من خلقه وإذا كان إلهها فكيف يشبهه خادم بيت المقدس، فكل هذه الأمور تقرب عيسى عليه السلام إلى البشرية، وتخرجه عن طور الإلهوية.

الدليل الثالث:

يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام مات ثم عاش، والإمام القرافي يسألهم بناءً على اعتقادهم من أحياء؟ ولا يخلو الجواب من أمرين: إما أن يقولوا: هو أحياء نفسه، أو يقولوا: أحياء غيره، فإن قالوا: هو أحياء نفسه، فالإمام القرافي يسألهم: أحياء نفسه، وهو حي أو هو ميت! فإن قلتم: وهو حي لزم تحصيل الحاصل، وإن قلتم: وهو ميت، لزمكم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً، بل أقل أحواله أن يكون عالماً بمن يحييه وقيام العلم بغير الحي محال.

وإن قالوا: أحياء غيره وهو الذي أماته، فالإمام القرافي يلزمهم أن يكون المسيح عبداً مربوباً، إذ لو كان إلهاً معبوداً فكيف يحييه غيره ويميته؟^(١)

والله أعلم



(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٨) وينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٣٨٤/١).

الفرع الرابع

أدلة القرافي النقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام

لم يكتف الإمام القرافي بما ذكره من تفنيد لشبهة النصارى التي ذكروها، معتمدين عليها في اعتقادهم ألوهية المسيح عليه السلام، ولا بما ذكره من أدلة عقلية تثبت أن عيسى عليه السلام ليس إلها معبودا، بل عبدا مربوبا، بل يذكر أدلة من كتب النصارى تقرر عبودية عيسى عليه السلام، وتنفي عنه الألوهية نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول:

يقول الإمام القرافي: «قال الله تعالى في نبوة إشعياء ويعني المسيح عليه السلام: هذا فتاي الذي اصطفيت، وحيبي الذي ارتاحت له نفسي، أنا واضع عليه روعي ويدعو الأمم إلى الحق»^(١).

ثم يقول معلقا: «فسماه عبداً مصطفى على لسان إشعياء مبعوثاً مأموراً بدعوة الأمم أسوة بغيره من الأنبياء وهذا ما نطق به القرآن الكريم»^(٢).

ولكن قد يعترض النصارى على ما ذكره القرافي بأن الفتى المراد به الولد وليس المراد به العبد كما حمله الإمام القرافي، وهذا ما يدفعه الإمام القرافي بقوله: «لا يقال: الفتى هو الولد، عندنا ؛ لأننا نقول ليس ذلك عندكم، لما في السفر الأول من التوراة لما بلغ إبراهيم عليه السلام أن الملوك أغاروا على سدوم، وسبوا لوطا ابن أخي إبراهيم عليهما السلام عبي فتياه ثلثمائة وثمانية عشر

(١) سفر إشعياء: الإصحاح (٤٢) الفقرة (١) إنجيل متى: الإصحاح (١٢) الفقرتان (١٧-١٨).

(٢) يشهد القرآن الكريم بعبودية ونبوة عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠] وقال أيضا: ﴿ إِنَّهُ هُوَ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩].

رجلا وسار في طلب العدو فهزمه واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله»^(١) يقول الإمام القرافي: ولم تكن أولاد إبراهيم عليه السلام باتفاق اليهود والنصارى ويذكر القرافي أن: في الإنجيل تسمية بعض تلاميذ المسيح فتيانا، وهذا يدفع ما اعترض به من أن الفتى يقصد به الولد إذ لم يقل أحد: إن واحداً من تلاميذ المسيح كان ابنا له فضلا عن أن يكون تزوج أصلاً، وهذا ما قصده الإمام القرافي في قوله: «فقد جاء في إنجيل متى: أن المسيح عليه السلام مرّ بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك، فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءاً من حوت، وشيئاً من العسل»^(٢).

ثم يقول الإمام القرافي: وإطلاق لفظ الفتى في التوراة والإنجيل على غير الولد كثير^{(٣)(٤)}.

- (1) سفر التكوين: الإصحاح (١٤) الفقرات (١٤-١٧).
- (2) النص غير موجود في إنجيل متى، بل هو في إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٤) الفقرات (٤١-٤٣)، وليس فيه التعبير بلفظ الفتى ولا غيره، وجاء في إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢١) الفقرة (٥) وما بعدها، وفيه التعبير بلفظ الغلمان بدل الفتيان.
- (3) جاء في سفر التكوين قول قابيل عن أخيه: «فإني قتل رجلاً جرحى وفتى لشدخي» الإصحاح (٤) الفقرة (٢٣) وفي سفر التثنية: «الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب، قلت: أبدهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم» الإصحاح (٣٢) الفقرتان (٢٥-٢٦)، وفي سفر الملوك الأول قول سليمان عليه السلام: «أيها الرب إلهي أنت ملكت عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول» الإصحاح (٣) الفقرة (٧).
- وفي إنجيل لوقا قول مريم أم عيسى عليهما السلام عن الله تعالى: «عضد إسرائيل فتاة ليذكر رحمة»، الإصحاح (١)، الفقرة (٥٤)، وفي سفر أعمال الرسل: «أيها السيد، أنت هو الإله الصانع السماء والأرض... القائل بفم داود فقال»، الإصحاح (٤)، الفقرة (٢٥)، وفيه أيضاً: «وأثوا بالفتى حياً، وتعزوا تعزية ليست بقليلة»، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٢).

- (4) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص ٦٥، ٦٦).

وإذا ما جئنا إلى غير الإمام القرافي من السابقين لا نجد غير الإمام القرطبي، وأبي البقاء الجعفري يذكران ذلك على ما تحت يدي من كتب.

أما الإمام القرطبي فذكر النص بدون تعليق^(١) وأما أبو البقاء الجعفري فقد ذكر تعليقاً قريباً مما ذكره الإمام القرافي وأضاف: «قوله: (هذا فتاي) مكذب للنصارى في دعواهم ربوبية المسيح وألوهيته؛ إذ أضافه سبحانه إلى نفسه إضافة الملك، فقال جل من قائل: هذا فتاي وحبيبي، أنا أفعل به كذا وكذا، وهذا تصريح من متى الحواري^(٢) بأن المسيح ليس هو الله، وأن الله ليس هو المسيح، وأن الله قائل، والمسيح مقول له، وأن الله معطٍ ومنعم، وأن المسيح معطى ومنعم عليه، وأنه فتى من فتیان بني آدم، وأن الله مالكة، وأنه عبد وأن الله سيده... أيهم أعلم بالمسيح من تلميذه متى، وسائر أصحابه الذين عاصروه وشاهدوه؟ فليس فيهم من ينتحل هذا الهذيان الذي صار إليه المتأخرون من النصارى»^(٣).

وإذا ما جئنا إلى المتأخرين عن الإمام القرافي نجد ابن تيمية يذكر هذا النص ويعلق عليه تعليقاً قريباً مما ذكره الإمام القرافي^(٤).

الدليل الثاني:

يقول الإمام القرافي: «قال متى: أخذ إبليس يسوع المسيح -عليه السلام-، وأخرجه إلى البرية ليجربه، وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة

(١) الإعلام (ص ٢٥٠).

(٢) نقل متى النص الذي ذكره الإمام القرافي من نبوة إشعياء، والإمام أبو البقاء الجعفري نقله من متى، ولم ينقله من سفر إشعياء، ولذلك صرح بذكر متى، ولم يصرح بذكر إشعياء، بعكس ما ذكر القرافي.

(٣) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٠ - ١٢٢).

(٤) الجواب الصحيح (٢/ ٢٨٠).

تصير خبزًا، فقال المسيح -عليه السلام-: إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى، فأخذه إبليس ومضى به، حتى أقامه على أعلى جبل في الأرض وأراه جميع ممالك العالم، وقال: هذا كله لي، وأنا أعطيكه إن سجدت لي سجدة واحدة، فقال: اغرب عني يا شيطان، فإنه مكتوب للرب إلهك أسجد، وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من هاهنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر، فقال المسيح -عليه السلام-: ومكتوب لا تجرب الرب إلهك، ومضى عنه إبليس وتركه، وجاءت الملائكة تحرسه، وصام المسيح -عليه السلام- عند ذلك ثلاثين يومًا بلياليها^(١).

يقول الإمام القرافي: «فقد صرح المسيح -عليه السلام- في هذه القصة بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد في عدم تجربة الرب تعالى^(٢).

وكيف يجرب إبليس المسيح -عليه السلام- ويسجبه من مكان إلى مكان، ويسوسه السجود له، وهو خالق كل شيء وإله العالم عندكم؟ وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه، فلما طمع فيه وعامله بتلك المعاملة واعترف المسيح -عليه السلام- بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى؛ دل ذلك على أنه

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٤)، الفقرات (١ - ١١)، لكن الذي ورد فيه أن عيسى -عليه السلام- صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة، وليس كما ذكر الإمام القرافي في أنه صام ثلاثين يومًا بلياليها.

(٢) كلام القرافي هذا فيه نظر؛ لأن معناه أنه -عيسى عليه السلام- يُعَلِّم إبليس أن الله تعالى لا ينبغي أن يجرب من الشيطان، وهذا ما جعل الإمام القرافي يقول: إنه من تأدب عيسى -عليه السلام- مع الله تعالى، وهذا يصح لو كانت التجربة معه سبحانه وتعالى، ولكن التجربة مع عيسى -عليه السلام-، والصواب: أن هذه الفقرة مقحمة لإثبات ألوهية عيسى -عليه السلام-.

عبد مربوب، وهو المطلوب^(١).

وإذا ما وَجَّهنا وجهتنا قبل السابقين عن الإمام القرافي نجد أبا البقاء الجعفري يذكر هذا الدليل ويقول معلقاً: «هذا متى الحوارى، قد ذكر هذه القصة، وهي شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية، وسلوك سنة المتعبدین، وطريق المتبتلين من المجتهدين، ودأب الأولياء، ومقدمات أمور الأنبياء، ينقطعون إلى مولاهم في أعالي الجبال، ويفرغون البال بمواصلة الوصال، ألم يأتكم نبأ ابن عمران إذ طوى الأربعين لا يفطر؟^(٢).

ونحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان والمقهور في يده، والشيطان طامع في استتباعه وصورته عبداً له، أهو إنسان مخلوق أو إله خالق؟ فإن قالوا: إنسان مخلوق؛ وافقوا شرعنا، وخالفوا شريعتهم التي تقول: إن المسيح إله خالق غير مخلوق، وإن قالوا: إله خالق، فقد حكموا أن الإله الأزلي سحبه الشيطان وردده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له، وفيه امتهان الرب القديم، والإله العظيم في يد الشيطان الرجيم^(٣).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإننا نجد عبد الله الترجمان يذكر النص الذي تعرض فيه الشيطان لعيسى -عليه السلام-، ويقول: «فهذا منه إقرار بأنه بريء من الألوهية، ولو كان إلهاً لما اجترأ عليه الشيطان بمثل هذه القول، وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله ولا يسجد أحد إلا له تبارك وتعالى»، ثم يعتذر عن سبب ذكر النص الذي فيه تعرض الشيطان لعيسى -عليه

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٦، ٦٧).

(٢) يقصد موسى بن عمران النبي -عليه السلام-، إذ قد جاء في التوراة أنه صام قبل بعثته أربعين يوماً وليلة. [سفر الخروج، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٢٨)].

(٣) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٩) وما بعدها.

السلام-، فيقول: «وهذا تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء -عليهم السلام- معصومون من الشيطان في وسوسة الباطن الخفية، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود من دون الله؟ وهذه مجاهرة جلية، ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح -عليه السلام»^(١).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر عن الحسن بن أيوب أنه ذكر هذا النص في رسالته إلى النصارى، وعلق عليه بقوله: «أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله، ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه الملك من عنده»^(٢).

ونجد الباجي زاده يقول: «إن في عرضه على إبليس ليحرب أقوى شاهد على عبوديته، وهل يصدق الصغير الذي لم يبلغ الحلم أن من يكون إلهًا يعرض نفسه على المطرود من رحمته ليحربه؟ ولو كان كما تزعمون فما معنى جواب المسيح -عليه السلام- بقوله لإبليس: «مكتوب لا تجرب الرب إلهك، وأين أنت من دعواك أنه إله، ومن قول إبليس له بعد أن أراه ممالك العالم ومجدها: أعطيك هذه جميعها إن خرت وسجدت لي؟ فهل يتصور في فكر من عنده ذرة من العقل أن إبليس الذي هو أحقر مخلوق لله يتجاسر على الإله بأن يطلب منه السجود لنفسه... وتأمل قول المسيح وخطابه لمجربه: اذهب يا شيطان، مكتوب للرب إلهك تسجد، فلو كان المسيح -عليه السلام- يشم من نفسه رائحة ما تصفه أنت به من البهتان لأجاب إبليس بنحو: اذهب يا مطرود من رحمتي، أو

(١) تحفة الأريب (ص ٩٧).

(٢) الجواب الصحيح (٢/ ٢٧١).

بنحو مكتوب أن تسجد لي وتعبدني»^(١).

ومن خلال ما سبق ندرك: أن الإمام القرافي قام دليلاً على ركيزتين:

الركيزة الأولى: أنه اتخذ من عبادة عيسى -عليه السلام- دليلاً على عبوديته لله تعالى، وإذا كان عبداً انتهى كونه إلهاً، وهذا الأمر شاركه فيه أبو البقاء الجعفري، إلا أنه زاد عن الإمام القرافي سؤال النصارى عن التابع للشيطان في القصة المذكورة، هل هو مخلوق أو خالق؟ فإن قالوا بالأول؛ ناقضوا عقيدتهم أن المسيح إله، وإن قالوا بالثاني؛ فقد امتهنوا وانتقصوا الخالق الباري؛ إذ كيف يتعرض له الشيطان؟!

والركيزة الثانية: أنه اتخذ من تعرض الشيطان لعيسى -عليه السلام- دليلاً آخر على عبوديته؛ إذ لو كان إلهاً لما تعرض له الشيطان؛ لأنه لا مطمع للمخلوق في الخالق ولكن لما طمع الشيطان في عيسى دل على أنه غير إله.

وهذا الأمر شاركه فيه أبو عبد الله الترحمان، وإن كان لم يرتضِ القصة أصلاً واعتبرها من مبتدعات كاتب إنجيل متى، وشاركه فيه الباجي زاده، إلا أنه ذكر ما لم يذكره القرافي ولا غيره من أنه إذا كان عيسى إلهاً عرض نفسه للتجربة، فقد ناقض ما كتبه أزلاً من أن الشيطان لا يجرب الرب الإله، وأيضاً كيف يكون الإله لا يملك ما خلق؟ إذ الشيطان هو المالك لجميع الممالك، ولم أخفى عيسى -عليه السلام- ما يصرح بالوهيته في خطابه لإبليس حتى يعلم الناس حقيقة الأمر من كلام ربهم؟ فلم لم يقل: «مطروود من رحمتي»، أو مكتوب أن تسجد لي وتعبدني؟

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤).

الدليل الثالث:

يقول القرافي: قال متى: «سمع هيردوس ملك اليهود خبر يسوع -عليه السلام-، فقال لغللمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات، وهذه القوى تعمل معه؟ وكان هيردوس قد قتل يوحنا المعمدان في السجن، وهو يحيى بن زكريا، وأعطى رأسه لابنة هيروديا زوجة أخيه فيلبس، وكانت قد تمت عليه ذلك يوم رقصت في مجلسه لمولود ولد له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع -عليه السلام- بمصائب يوحنا، فجذع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذي كان فيه منفرداً^(١).

يقول الإمام القرافي: «والله تعالى عالم بجميع المعلومات، محيط بسائر الكائنات، قادر على جميع الممكنات، جلباً ونفعاً، وإعطاءً ومنعاً، فلما لم يعلم المسيح -عليه السلام- حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبارة، كان ذلك دليلاً قاطعاً على أنه عبد محتاج، خلق من جملة الخلق، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وهو المطلوب^(٢).

فالإمام القرافي يتخذ من عدم علم عيسى -عليه السلام- بما كان ليحيى -عليه السلام- حتى أخبره التلاميذ، ومن جزعه وخوفه من الجبار هيردوس، وهربه إلى مكان انفراد فيه دليلاً على أن هذا ليس إلهاً، وإلا لعلم قبل أن يخبر؛ لأن الله بكل شيء عليم، ولقهر الجبار بدل أن يهرب منه.

هذا:

ولم يذكر هذا الدليل من السابقين واللاحقين للإمام القرافي، على ما أعلم

(١) إنجيل متى، الإصحاح (١٤)، الفقرات (١ - ١٤)، ولكن الوارد في إنجيل متى: أنها رقصت في ميلاد هيردوس، وليس في ميلاد ولد له.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٧).

غير أبي البقاء الجعفري، وعلق عليه بما هو قريب مما قاله القرافي، وإن كانت عبارة الإمام القرافي أوضح بياناً، وأسهل في الوصول إلى المقصود، إلا أنه زاد ما لم يذكره الإمام القرافي من أنه كيف يشتهب المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه؟ وأنهم ما شبهوه بيوحنا إلا لاشتراكهما في إعلام النبوة.

ثم بين للنصارى أن عيسى -عليه السلام- في جزعه وهربه -كما ذكروه- لم يصل إلى مرتبة ولي من الأولياء، فضلاً عن أن يرقوا به إلى درجة الأنبياء أو الربوبية، فهم قد عابوه وذموه أكثر من غيرهم، وهذا قوله: «وقد اتفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء، ولم يجد بهم الهلع بزمامه، ولا أنزلهم عن غارب^(١) التوكل سنامه، قال بعض السلف: نفر من قدر الله إلى قدر الله^(٢)».

ثم يسألهم قائلاً: «أين قولكم: إنه حين تعمد جاءته روح الله^(٣) وأنتم رويتم

(١) غارب كل شيء أعلاه. يراجع: لسان العرب، (١/٦٤٢)، القاموس المحيط (١٥٤)، مادة: (غرب).

(٢) قائل هذا الكلام هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما خرج بأرض الشام، فلقبه أمراء الأجناد فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام، فدعا عمر المهاجرين الأولين فاستشارهم، فاختلّفوا بين الرجوع والإقدام، ثم دعا الأنصار فاختلّفوا اختلاف المهاجرين، فدعا من كان معه من مشيخة مهاجرة الفتح فلم يختلف فيهم رجلان، ورأوا الرجوع، فنأدى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله.

أخرج هذا الحديث الإمام البخاري، ك: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، حديث رقم (٥٧٢٩)، وأخرجه الإمام مسلم، ك: السلام، باب: الطاعون والطيرة، حديث رقم (٢٢١٩) عن ابن عباس.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح (٣)، الفقرة (١٦)، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١)، الفقرة (١٠)، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣)، الفقرة (٢٢)، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١)، الفقرة (٣٢).

لنا أن موسى قد قاتل الجبابرة، وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالة، ولم يفر من خصمه وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون، وإن اشتدت شوكته، وقد كان يدخل على فرعون فينغص عليه سلطانه، ويرغم مجاهرة شيطانه، أفكانت الروح التي مع موسى أقوى من الروح التي ادعيتموها للمسيح؟ فما نرى موسى إلا أحق من المسيح بالربوبية؛ إذا كان لم يخف، والمسيح قد خاف، وكذلك يوشع^(١) وداود^(٢) قد قهرا الصناديد، والمسيح قلتم: إنه قتله اليهود!^(٣)

الدليل الرابع:

قال متى: مر يسوع -عليه السلام- بشجرة وقد جاع، فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق، فقال: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فبيست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ، فقالوا: كيف يبيست؟ فقال: الحق أقول لكم: إنه لو كان لكم إيمان بغير شك، وقلتم للجبل: تعال واسقط في البحر لفعل، وكان كل ما سألتموه تنالوه^(٤).

يقول الإمام القرافي: وهذا يدل على أن عيسى -عليه السلام- عبد وليس رباً من وجوه:

أحدها: جوعه، وهو ينافي الربوبية، ويثبت العبودية.

وثانيها: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله بكل شيء عليم، فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم، وذلك يثبت عبوديته وينافي إلهيته.

(١) سفر يشوع، الإصحاح (٨)، والإصحاح (١٠).

(٢) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (١٨)، وسفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح (١٩)، (٢٠).

(٣) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٣٢) وما بعدها.

(٤) إنجيل متى، الإصحاح (٢١)، الفقرات (١٨ - ٢٣).

وثالثها: غضبه على الشجرة؛ لأنه لما انخرم عليه أمله قوى غضبه، وهذه خاصية البشرية.

ورابعها: تعجب التلاميذ من يسها بقوله، ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك، فإن يسوع عند النصارى هو الخالق للعالم، والذي تاب على آدم، وبيده كل شيء، والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك، فدل ذلك على عبوديته - عليه السلام - وضلال النصارى.

وخامسها: قوله لهم: لو كان إيمانكم بغير شك لطاوعكم الجبل، ونلتهم ما شئتم، فدل هذا على أنه إنما ظهرت كرامته - عليه السلام - في الشجرة بإيمانه الصادق، لا بكونه إله العالم، وإلا كان يكون الجواب: لو كنتم مثلي آلهة وأبناء لله لفعلتم مثل فعلي، ولا كان يحسن ذكر الإيوان، ولما علل به دل ذلك على أنه نبي، وعلى إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته، وهو المطلوب^(١).

ونجد هذا الدليل عند أبي البقاء الجعفري وهو من السابقين للإمام القرافي، ونجده في تعليقه واستدلالة بهذا الدليل يذكر الوجه الأول والثاني الذين ذكرهما الإمام القرافي بعبارة فيها إجمال، فصله الإمام القرافي، لكنه يتخذ من هذه القصة دليلاً على علم الله تعالى الأزلي فيقول: «ولما سبق في علم الله تعالى ما سيدعى فيه من الربوبية والإلهية حفظ هذه المواضع من الإنجيل وحرسها عن التغير والتبديل؛ لتكون وازعة ذوي الأحلام عن عبادة رجل من الأنعام يفتقر إلى الطعام والشراب»، ثم يسأل النصارى: من الذي جاع؟ فإن قالوا: الإله؛ أكذبهم الإنجيل؛ إذ يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب»، وإن قالوا: جاع عيسى بناسوته دون لاهوته؛ بطل اعتقادهم بالاتحاد؛ لأن الاتحاد عندهم جعل الاثنين

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٨).

واحدًا، فكيف يجوع الناسوت دون اللاهوت؟

ثم يدفع ما قد يتوهمه النصارى من أن جفاف الشجرة دليل ربوبية عيسى فيقول: «وأما جفاف الشجرة بدعوته فليس في ذلك معتصم في دعوى ربوبيته، ولو جاز أن يدعى في المسيح الربوبية بهذه القضية؛ لجاز لإبراهيم^(١) وموسى^(٢) وإلياس^(٣) ودانيال^(٤)، وخلق كثير من أصفياء الله، فقد أجيبتم لهم دعوات»^(٥).

ولم أجده عند أحد من المتأخرين عن الإمام القرافي على ما أعلم.

الدليل الخامس: قال مرقس: قال عيسى «إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خر على وجهه يصلي لله تعالى، وقال: أيها الرب كل شيء بقدرتك، أخرجني هذا الكأس، لكن كما تريد، لا كما أريد أنا»^(٦).

يقول الإمام القرافي: «وهو يدل على أن عيسى -عليه السلام- ليس ربًّا من وجوه:

أحدها: أنه وصف نفسه بالحزن، والله تعالى لا يحزن، بل هو من خصائص البشر.

وثانيها: قول مرقس: يصلي لله، والمعبود غير العابد، فلا يكون هو الله.

وثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله تأخير الموت، والسائل غير المسئول، فلا يكون هو الله تعالى.

(١) سفر التكوين، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٧).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح (٨)، الفقرات (٢٥-٣٣)، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٧-٣٥)، الإصحاح (١٠)، الفقرات (١٦-٢٠).

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح (١٧)، الفقرات (١٧-٢٤).

(٤) سفر دانيال، الإصحاح العاشر، الفقرات (٤-٣٦).

(٥) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/١٤١، ١٤٢).

(٦) إنجيل مرقس، الإصحاح (١٤)، الفقرات (٣٤-٣٧).

ورابعها: قوله: كما تريد لا كما أريد، جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته، فلا يكون هو الله تعالى، فهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية، وإثبات العبودية، وهو المطلوب»^(١).

فحزن عيسى -عليه السلام-، وقيامه يصلي لله تعالى سائلاً إياه تأخير الموت عنه، وجعله إرادته تابعة لإرادة الله تعالى، كل هذه الأمور جعلت الإمام القرافي -كما أنها تجعل كل عاقل منصف- يحكم بعبودية عيسى -عليه السلام-.

وقد ذكر هذا الدليل من السابقين أبو البقاء الجعفري، وعلق عليه بقوله: «فها هو سائل والله مسئول، وأي عبودية تزيد على هذا؟»^(٢).

ومن اللاحقين ذكره الباجي زاده وعلق عليه بقوله: «فليت شعري، لأي إله كان يتضرع؟ هل كان يستغيث من نفسه لنفسه؟»^(٣).

ولا ريب أن ما ذكره الإمام القرافي أجمع مما ذكره هذان الإمامان، وأفصح في العبارة من عبارتهما.

الدليل السادس:

قال لوقا: «قال رجل ليسوع -عليه السلام-: أتبعك إلى حيث تمضي يا سيدي، فقال له يسوع -عليه السلام-: للثعالب أحجار، وللطيور أوكار، وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه»^(٤).

يقول الإمام القرافي: «سمى نفسه ابن الإنسان مناقضة لما يقوله النصارى،

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص ٦٩، ٧٠).

(٢) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٥٥).

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٥٢).

(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح (٩)، الفقرتان (٥٧، ٥٨).

وقد كرر -صلوات الله عليه- هذه العبارة في مواضع كثيرة من الإنجيل^(١)، ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء -عليهم السلام- أن يكون اطلع على ما سيقوله النصارى فيه، وما يجترءون على الربوبية بسببه، فكان -عليه السلام- يكرر ما يكون سبباً للهداية لمن اهتدى، وعذراً له -عليه السلام- إذا سئل عن ذلك في الموقف غداً.

ووصف نفسه -عليه السلام- بغاية التخلي عن الملك، حتى لا يملك مسقطاً لرأسه ولا يحوز شيئاً لنفسه، وهذا غاية العبودية^(٢).

فالإمام القرافي يتخذ من تصريحه بإنسانيته وعدم تملكه لشيء حتى إنه لا يجد مسقطاً لرأسه دليلاً على دفع ضلال النصارى فيما يعتقدونه من ألوهية عيسى -عليه السلام-.

ولم يذكر هذا الدليل من السابقين غير أبي البقاء الجعفري، ويتخذ من هذا النص دليلاً على ما اتصف به عيسى -عليه السلام- من قوة إيمان، وتوكل على الرحمن، حتى إنه لا يملك شيئاً من متاع الدنيا حتى يتفرغ لعبادة الله تعالى، وذلك قوله: «اشتغل المسيح بالزهد والنسك وتفرغ لخدمة ربه فرفض الملك، ورضى فقره فسكن القفر، وحقق صبره فتوسد الحجر وافترش العفر، فكيف تعبد النصارى من لا يحوى مسقط رأسه فقراً؟ ولا يملك لنفسه نفعاً ولا

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٨)، الفقرة (٢٠)، والإصحاح (٩)، الفقرة (٦)، والإصحاح (١٠)، الفقرة (٢٣)، والإصحاح (١١)، الفقرة (١٩)، إنجيل مرقس، الإصحاح (٢)، الفقرة (١٠)، والإصحاح (٨)، الفقرة (٣١٢ - ٣٨)، والإصحاح (٩)، الفقرات (١٠، ١٢، ٣١)، والإصحاح (١٠)، الفقرة (٤٥، ٣٣).

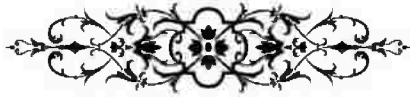
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٩).

ضرّاً؟^(١).

وقد ذكر هذا النص من اللاحقين الباجي زاده وعلق بقوله: «صدق بقوله -عليه السلام- لأنه زهد عن الدنيا وما فيها، وهذا النص من البراهين الدالة على أنه مخلوق لله تعالى»^(٢).

وإذا قارنا ما قاله الإمام القرافي بما قاله الجعفري والباجي يمكن القول: إن الإمام القرافي في استدلاله بالنص كان أكثر دقة؛ إذ إنها اعتمدا على جانب الزهد الذي هو من سمات البشر، أما هو فقد ذكر هذا الجانب، وأضاف إليه، ما هو قاطع لحجة النصارى، وهو التصريح من عيسى -عليه السلام- ببشريته.

والله أعلم



(١) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٥٢).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص ٥٤).

obeikandi.com

المسلك الثاني

عقيدة الصلب والفداء وموقف القرافي منها

وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الصلب والفداء عند النصارى.

الفرع الثاني: شبهة النصارى في إثبات الصلب وتفنيد الإمام القرافي لها.

الفرع الثالث: أدلة الإمام القرافي العقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة الإمام القرافي النقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الخامس: نفي النصارى اعتقاد المسلمين إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام ورد القرافي عليهم.

الفرع السادس: أدلة الإمام القرافي على وقوع شبهة عيسى عليه السلام على غيره.



obeikandi.com

الفرع الأول عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام مات على الصليب، ليفدي كل البشر من شرك الخطيئة التي وقع فيه أبوهم آدم.

وتمثل عقيدة الصلب والفداء أساس العقيدة النصرانية، وعليها انبنت كل عقائد النصارى، ولولاها عندهم ما عبدوا المسيح، ولا ماتوا في سبيل دعواه يقول صاحب كتاب مخلص العالم:

(إن عقيدة الصلب أساس الديانة المسيحية، وموضوع الإيمان المسيحي، والمحور المسيحي الذي تدور عليه جميع العقائد المسيحية، والدعامة التي يرتكز عليها الإيمان والنوع الذي تصدر عنه جميع الفضائل المسيحية، وهي مادة الإيمان الذي على كل مسيحي أن يعرفها، إذا لم يستطع معرفة الحقائق المسيحية كلها، ويؤيد هذا الإجماع المسيحي العام على هذه العقيدة مع اختلافهم في كثير من الآراء والتفاسير التي فرقتهم إلى شيع ومذاهب، إلا أن عقيدة صلب المسيح بقيت بينهم الرابطة الحقيقية التي ربطتهم معاً فلم يختلفوا فيها، ولا تشعبت آراؤهم عنها إذ الكل يعترفون بصوت واحد: أن المسيح مات لأجل خطايانا^(١) ويقول القمص شنودة السرياني: «إن الإيمان المسيحي بشخص الرب يسوع المسيح، وبعمله الفدائي الكفاري الخلاصي هو حجر الزاوية في التعليم المسيحي» وتجاهله أو إسقاطه، أو الإقلال من أهميته القصوى هو هدم للمسيحية في صميم جوهرها^(٢)).

(١) ينظر: مخلص العالم، للقمص لوقا الأنطوني: (ص ٦٦) وما بعدها، مكتبة المحبة، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص ٢١٨).

ويقول البروفسور جوردن مولتمان في كتابه: «الإله المصلوب»: «ومجمل القول هو أن انتفاء الصלב انتفاء للمسيحية»^(١).

عقيدة الصلب عند النصارى هي عصب كل العقيدة المسيحية، وأساس بنيانها في نظرهم.

وأصل اعتقادهم ذلك أنهم يقولون: لما عظمت المباحدة بين البشر وبين الله تعالى وحكم عليهم بالموت الأبدي، والعصيان السرمدى، جاء ابن الله عيسى - تعالى الله عنه - ذلك. ليقرب تلك المباحدة، وليرضي أباه - تنزه الله عن ذلك -، فمات على الصليب؛ إرضاءً لأبيه، وحباً في بني البشر وبذلك صالحهم مع الله تعالى، وبيان ذلك.

أنهم يقولون: إن الله خلق آدم مستقيماً؛ لأنه خلقه على صورته - أي في القداسة والطهارة كما يقولون - ولما وضعه في جنة عدن أوصاه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، منذراً إياه بأنه يوم يأكل منها، فإنه يموت موتاً، ولكنه خالف الوصية، بغواية الشيطان، وأكل، وبذلك صار خاطئاً، مستوجباً للموت. وإذا كان الإنسان يرث أمراضاً معينة من والديه، فهو يرث منهما أيضاً أمراضاً نفسية وروحية.

ولذلك أصبح جميع نسل آدم خاطئاً ومحكوماً عليه بالموت لكون النسل ولد من آدم الخاطئ المحكوم عليه بالموت، لأن هذا النسل كان في ظهر آدم يوم أخطأ، ويوم حكم عليه بالموت، والحكم صدر على كل ذرة كائنة في هيكل آدم،

(١) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للشيخ أحمد ديدات: (ص ١٠)، ترجمة: علي الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

فورث بنوه خطيئته^{(١)(٢)}.

وإذا كان الله قد حكم على الجنس البشري بالموت الروحي والجسدي؛ لأنهم أبناء الخطيئة، فإما أن يموت الجنس البشري موتاً أبدياً بالروح والجسد وإما أن يسامحهم الله، ويمنحهم الغفران.

ولئن سألناهم: هل تكفي الأعمال في غفران تلك الخطيئة؟ فإنهم يقولون: هذا الغفران لا يكون بالأعمال؛ لأن الطبيعة البشرية اختلت بالخطيئة، وفستت بالآثام، فصار كل ما يصدر عن البشر من الأعمال فاسداً^(٣).

ولذلك يقولون: إن الله الذي جمع بين صفتي العدل المطلق، والرحمة الكاملة تحرك قلبه شفقة على النفوس البشرية، التي باتت في قبضة إبليس وتحت سلطانه، فخلصها بطريقة تطابق رحمته، وتتفق مع عدله، بتجسيد كلمته الابن الأزلي تجسداً ظاهراً، وموته على الصليب - وهو غير مستوجب للموت لكي يفي بموته ما كان واجباً على الإنسان، وهو بذلك حقق عدل الله تعالى في حكمه بالموت على البشر، فمات هو على الصليب، وحقق رحمة الله تعالى إذا أخرج بموته

(١) لم يرد في أي شرع من الشرائع السماوية، أن يؤخذ الأبناء بأخطاء الآباء، ولا الأحفاد بأخطاء الأجداد، والنصارى إذ يعتقدون ذلك، فإنهم يخالفون ما جاء في الكتاب المقدس من أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، بل كل إنسان بخطيئته يقتل. سفر التثنية: الإصحاح: [٢٤] الفقرة: [١٦] وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقول الله تعالى حاكياً ما جاء في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨].

(٢) يراجع: مقالات لاهوتية وإيمانية، ليوحنا الدمشقي: (ص ١١٢) وما بعدها، تعليق: د/ ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، ط / ٢٠٠٤م، موسوعة علوم الدين للعلامة القبطي: (ص ٦٥)، تاريخ الأمة القبطية: (٢/ ٢٧)، مخلص العالم (ص ١٤).

(٣) مخلص العالم، لمكسي (ص ١٧، ١٨).

هذا آدم وذريته من شرك الخطيئة، وقضى بموته على الخطيئة إلى الأبد، وما فعل عيسى ذلك إلا محبة في البشر، ولم يكن في استطاعة إنسان أو ملاك أن يقوم بهذه الفدية؛ لأن الإنسان خاطئ، ولأن الملاك مخلوق^(١).

ولكن لماذا دم المسيح هو الذي فدى البشر ولم يكن دم أحدٍ سواه؟

يقولون: الخطيئة هي عصيان الله تعالى، وتعدّ على حقوقه، وعدم محبة له، والله غير محدود، إذن فالخطيئة غير محدودة؛ لأنها موجهة ضد الله غير المحدود، ومهما عمل الإنسان فإن أعماله غير محدودة، ولذلك لا تغفر الخطيئة إلا كفارة غير محدودة ولا يوجد غير محدود إلا الله، لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة الله الخطيئة سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت، ويكون موته كفارة غير محدودة، توفي عدل الله غير المحدود في الاقتصاص من الخطيئة غير المحدودة الموجهة ضد الله غير المحدود. فافتقدنا نعمة الله تعالى وخلصتنا بدم المسيح -غير المحدود- الذي به وحده الخلاص، والذي هو كاف لمغفرة خطايا العالم كله، ما دام آمن بصلب المسيح لأجل الخلاص^(٢).

فلو لم يكن عيسى عليه السلام -قد صلب- لما كان خلاص للبشرية في المسيحية.

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص ١١٦، ١١٧)، تاريخ الأمة القبطية: (٢/ ٢٧، ٢٨)، خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة، لحبيب جرجس (ص ٢٣) وما بعدها، مكتبة الهلال، الفجالة، ط/ التاسعة، ١٩٢٦م، الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل سي، وليمين الكبير (ص ٦٢)، مكتبة ومطبعة إيزيس، الإسكندرية، بدون تاريخ، يسوع المصلوب للقس منسي يوحنا (٣١، ٣٠)، مكتبة المحبة، بدون تاريخ، العصر الذي صلب فيه المسيح وقام لملاك لوقا (ص ٦٤) مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، للبابا شنودة الثالث: (١/ ١٩، ١٨) مكتبة المحبة، ط/ الثامنة، ١٩٩٣م.

تعقيب:

إن عقيدة صلب المسيح - عليه السلام - تكفيرًا عن خطيئة البشر يلزم عنها ما لا ترضاه العقول ولا تقره الشرائع، مثل:

١- إن جميع الأنبياء والرسل قبل عيسى عليه السلام وسائر المؤمنين، أهل عصيان وفسوق في الدنيا، وأصحاب جحيم في الآخرة، وقد صرح النصارى بذلك، ولم يخفوه، فقالوا: إن الدليل الأكبر على وراثة الجنس البشري لخطيئة آدم هو وقوع جميع الأنبياء في الخطايا الجسام^(١)؛ لأنه لو لم تكن خطيئة آدم قد سرت إلى عموم نسله، وأصبحت طبيعتهم فاسدة لما كان الأنبياء الذين حملوا إلى الناس وحي الله يسقطون في الخطيئة والإثم^(٢).

ويقول يوحنا الدمشقي: (نزل الفادي بلاهوته إلى قاع الجحيم بناءً على وعده القديم بخلاص الأنبياء وقديسي العهد القديم، وبعدما حرر المعتقلين المؤمنين من سجن الجحيم منذ عهد آدم، عاد ثانية من بين الأموات، وقام حيًا معلناً غلبة الموت وكسر شوكته)^(٣).

٢- أنه لا فائدة لبعث الله تعالى جميع الأنبياء والرسل، قبل عيسى عليه السلام ولا لما أنزل عليهم من الكتب ما دام الإيمان بهم لم يكن سببًا في مغفرة الخطايا، ويصرح النصارى بذلك أيضًا فيقولون: ماذا يفيد البشر من مجيء نبي تلو نبي، إذا كانت مهمة النبي الإنذار والتعليم، وإعلان غضب الله على الخطاة دون أن يكون في مقدور هذا النبي أن يخلص الناس من الخطيئة وعواقبها؟ وماذا

(١) يراجع: مبحث موقف الإمام القرافي من التوراة.

(٢) مخلص العالم: (ص ١٥).

(٣) مقالات لاهوتية: (ص ١٤٦).

نفيد من تعاليم الأنبياء إذا كانت الخطيئة غير مغفورة والآثام غير مكفر عنها، والضمير لا يزال مثقلًا بالذنوب، والإنسان رازح تحت حملها الثقيل؟^(١).

ولا ريب أن في ذلك وصفًا لله تعالى بأنه لا يعلم مصالح عباده، إذ أرسل إليهم ما لا ضرورة في إرساله وأنزل عليهم ما لا حاجة في إنزاله، والله تعالى منزّه عن ذلك.

٣- أنه لا قيمة للأعمال الصالحة، لا قبل عيسى، ولا بعده، أما قبل عيسى عليه السلام فلأن النصارى يحكمون بفسادها - وإن كانت صالحة - لأنها صدرت من جسد الخطيئة تجري في دمه، وأما بعد عيسى، فلم العمل ما دامت الخطيئة كفر عنها بموت عيسى، وما دام خلصهم من عواقبها؟

ثم إن كان النصارى يقولون: إن عيسى عليه السلام قضى على الخطيئة، فما بال العالم مليئًا بالشُرور والآثام؟ وإذا كان عيسى عليه السلام خلصهم من عواقب الخطايا فما فائدة سر الغفران، والاعتراف بالذنوب للمقدم عندهم حتى يغفر لهم؟ وكل النصارى الكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون ذلك ولا ينكرونه ثم إن النصارى في قولهم هذا يرمون الله تعالى بالظلم، إذ سوى بين من عمل صالحًا وغيره إذ الكل دخلوا الجحيم ولم يخلصوا إلا بصلب عيسى كما يقولون.

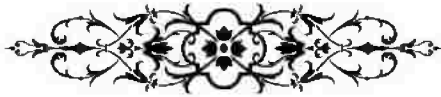
وأخيرًا: مما يجدر ذكره أن عقيدة الصلب للتكفير ليست من المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام في شيء، بل إنها وردت إلى المسيحية التي جاء بها بولس من عقائد أخرى، وبخاصة عقيدة الهنود البراهمة، فهي معتقد سائد عندهم قبل المسيح بمئات السنين، فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، تحرك حنوكي يخلص الأرض

(١) مخلص العالم: (ص ١١، ١٢).

من ثقل حملها، فأثاها وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ويصورونه مصلوبًا مثقوب
اليدين والرجلين، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتًا؛ لأنه
قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر والمعتنقون للديانة البوذية يرون أن بوذا تجسد في
الناسوت، وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ومن ثم يسمونه الابن
المخلص.

ويؤيد أن هذه الفكرة فكرة صلب المسيح تكفيرًا عن خطايا البشر واردة
على المسيحية، وليست من أصولها، أنها كانت سائدة قبل ميلاد المسيح بأزمنة
سحيقة، إذ وجدت في ديانة اليونان في أبولو، وديانة متراس التي جاءت إلى
الرومان من بلاد فارس^(١).

والله أعلم



(١) ينظر: المسيحية (ص ١٤٣)، النصرانية والإسلام (٥٥، ٥٦).

الفرع الثاني

شبهة النصارى في إثبات الصلب وتفنيده الإمام القرافي لها

أولاً: شبهة النصارى:

يقولون: اليهود والنصارى أمتان عظيمتان طبقوا مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، والإنجيل أيضًا يخبر عن الصلب^(١) فإن جوزتم كذب اليهود والنصارى، وقتلتم إنه يمكن تواطؤهم على الكذب، وجوزتم كذب الإنجيل، لزم المحال من وجوه:

أحدها: يتعذر عليكم كون القرآن متواتراً^(٢).

وثانيها: أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية، فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا.

وثالثها: أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة، فلا يسمع، فلو قال إنسان: الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب، لم يسمع ذلك منه، وعد خارجاً عن دائرة العقلاء، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق، وأن إخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل^(٣).

(١) يراجع: متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات: [٣٢-٥١]/ مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [٢٢-٣٨]، لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرات: [٢٦-٤٧]، يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [١٦-٣١].

(٢) يوضح هذا ابن حزم بقوله على لسان النصارى: (فإن جوزتم على هذه الكوفاً العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان والأجناس نقل الباطل فليس ذلك أولى من كافتكم التي نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/٥٧).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٠).

ثانيًا: تفنيد الإمام القرافي للشبهة:

يلاحظ أن شبهة النصارى تعتمد على جانبين:

الأول: أن مسألة الصلب نقلت نقلاً متواتراً.

والثاني: إخبار الأناجيل بذلك.

والإمام القرافي في تفنيده للشبهة، يبطل اعتمادهم على الجانبين، أما الجانب الأول: ادعاء النصارى تواتر الصلب، فيبين قبل الرد شروط التواتر، ثم يبين عليها رده على ادعائهم، فيقول في بيان شروط التواتر، التواتر له شروط:

الشرط الأول: أن يكون المخبر عنه أمراً محسوساً، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهي باطلة كأخبار المعطلة عن عدم الصانع، والمجسمة عن التجسيم، والفلاسفة عن قدم العالم وهم كثيرون ومع ذلك فتلك الأخبار باطلة.

والسبب في اعتبار هذا الشرط: أن الأخبار العقلية يكثر وقوع الخطأ فيها، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعي يعضد ذلك الخبر فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر، وأما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وإنما يقع الخلل من التواطىء على الكذب، فإن كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب حصل القطع بصحة الخبر^(١).

فالإمام القرافي يقول: إنما اشترط في التواتر أن يكون الأمر المخبر عنه محسوساً، لكثرة الأخطاء في الأخبار العقلية، فلا يحصل القطع بصدقها حتى

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٠، ٥١).

يحصل برهان من الحس يؤيد ما أخبر عنه، بخلاف الأمور المحسوسة بأداة من أدوات الحس، فإنه لا يشك أحد في حصولها ما دام أحسها، ولا يحصل كذب في خبرها إلا من طريق ناقلها، بأن يتواطأ المخبرون على الكذب.

والشرط الثاني: استواء الطرفين والواسطة، وبيان ذلك: أن المخبرين لنا إذا كانوا عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم، وإن لم يكن المخبرون لنا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس، بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك، فلا بد أن يكون غير المباشر عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فإن كان المخبر لنا عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس بل ينقل عن غيره أيضًا، فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فهذا معنى قولنا: استواء الطرفين والواسطة^(١).

أي أن الإمام القرافي يريد أن يقول: إنه يشترط أن يبلغ عدد الناقلين للخبر المحسوس عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب في جميع حلقات الخبر مهما كثرت وبعد أن بين الإمام القرافي حقيقة التواتر رد على شبهة النصارى بأمرين:

الأول: يبين لهم أن حادثة الصلب وإن كانت من الأمور المحسوسة في ذاتها فإن الحس لا يجزم بتحديد عين المصلوب، فقد يكون عيسى عليه السلام، وقد يكون غيره، والسبب في ذلك أن الحس لا يستطيع أن يميز بين الشيئين المتماثلين، وذلك قوله: (الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة، وأما أنه عيسى عليه السلام -نفسه أو غيره- فهذا لا يفيد الحس ألبتة؛ بل إنما يعلم

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ٥١).

بقرائن الأحوال، وبأخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً.

والذي يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات: أنا لو وضعنا في إناء رطلاً من الماء، أو الزيت أو نحو ذلك، وأريناه الإنسان ثم رفعنا ذلك المائع، ووضعنا فيه رطلاً آخر من ذلك المائع، ثم أريناه لذلك الإنسان، وقلنا له: هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله؟ فإنه إذا أنصف يقول: الذي أدركه بحسي أن هذا ماء بالضرورة، أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم لكون الحس لا يحيط بذلك، وكذلك كف من تراب، أو أوراق الأشجار، أو أنواع الحنطة ونحو ذلك^(١).

وبعد أن قرر الإمام القرافي أن الحس لا يميز بين الأمور المتماثلة، وأنه لا مدخل له في تمييز عين المصلوب هل هو عيسى عليه السلام أو غيره، يبين أنه لا مانع أن يخرق الله العادة لعيسى بإلقاء شبهه على غيره، ورفع صوته له عليه السلام، ولا غرابة في ذلك فهذا الأمر ليس أغرب من إحياء الموتى، وإذا جاز خرق العادة بإلقاء الشبه على غيره بقي القرآن صادقاً فيما أخبر من عدم الصلب، وذلك قوله:

(إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثيلين، فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهه، أو مثله ليس مدرّكاً بالحس، وإذا لم يكن مدرّكاً بالحس، جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام بخلق شبهه في غيره، كما أخرج العادة في إحياء الموتى وغيره، ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه، وهو اللائق بكريم آلائه في إحسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه، وإذا جوز العقل مثل هذا مع أن الحس لا مدخل له في ذلك بقي إخبار

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٢).

القرآن الكريم عن عدم الصلب سألماً عن كل معارض، مؤيداً بكل حجة وسقط السؤال بالكلية^(١).

والثاني: يسلم الإمام القرافي للنصارى أن الحس يفرق بين المثيلين فرضاً، لكن لا يسلم لهم أن العدد المباشر للصلب، بلغوا عدد التواتر، أما من ناحية النصارى، فلأنه لم يحضره أحد منهم، وأما من ناحية اليهود؛ فلأنه لم يقيم بالصلب إلا أعوان الملك، وهم في الغالب قلة، وذلك قوله: (سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثيلين، والتمييز بين الشبيهيين، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويدل على أنهم ليسوا كذلك: أن الحواريين فروا عنه^(٢)؛ لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، فخير النصارى عن أسلافهم لا يفيد علماً، بل هو حرز وتحمين لا عبرة به... وأما من جهة الملة اليهودية، فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم الوزعة^(٣)، وأعوان الولاة، وذلك في مجرى العادة يكون نفراً قليلاً كالثلاثة، ونحوها، يجوز عليهم الكذب، ولا يفيد خبرهم العلم. اهـ

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٢، ٥٣).

(٢) جاء في إنجيل متى: الأصحاح: [٢٦] [حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا] الفقرة: [٥٦] وفي إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] [فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرباناً] الفقرات: [٥٠-٥٢]، وفي إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرة [٥٤] أنه لم يتبعه إلا بطرس من بعيد، وفي إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [٨] [فإن كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون].

(٣) الوزعة: جمع وازع، والوازع: من يدبر أمور الجيش، ويرد من شذ منهم، وقيل: الوزعة: هم الولاة، المانعون من محارم الله، يراجع: القاموس المحيط: (ص ٩٩٥). مادة (وزع).

وقد يدعي النصارى أن العدد المباشر للصلب، بلغ حد التواتر، وهذا يجب عنه القرافي بأن ذلك يفتقر إلى نقل متواتر، وهو غير موجود عند النصارى، وذلك قوله: (وكون العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب يفتقر إلى نقل متواتر، فإنه لو وقع، ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالمصلب، فإن المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة العلم، لجواز كذب الناقل، فلا يكون عدد التواتر حاصلًا في نفس الأمر)^(١).

هذا ما أجاب به الإمام القرافي على الجانب الأول من شبهة النصارى وهو ادعائهم تواتر الصلب، وأما الجانب الثاني وهو قولهم: نصوص الإنجيل شاهدة بذلك فسيأتي رد الإمام القرافي عليه في مسلك أدلة الإمام القرافي النقلية على إبطال عقيدة الصلب إن شاء الله تعالى.

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإننا نجد الإمام ابن حزم بعد أن ذكر شروط التواتر بعبارة فيها إيجاز يقول: (نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح فوجدنا كواف عظيمة صادقة بلا شك في نقلها جيلاً بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه، فإن هنالك تبدلت الصفة، ورجعت إلى شرط مأمورين، مجتمعين، مضمون منهم الكذب، وقبول الرشوة على قول الباطل، والنصارى مقرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهائياً خوفاً العامة، وإنما أخذوه ليلاً عند افتراق الناس عن الفصح، وأنه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار، وأنه أنزل إثر ذلك، وأنه لم يصلب إلا في مكان نازح عن المدينة ليس موضعاً معروفاً بصلب من يصلب، ولا موقوفاً لذلك، وأنه بعد هذا كله رشى الشرط على أن يقولوا: إن أصحابه سرقوه، ففعلوا ذلك، فبطل أن يكون صلبه منقولاً

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٣).

بكافة، ثم ذكر ما كان من حال التلاميذ^(١).

أي أن ابن حزم يسلم للنصارى تواتر النقل إلى المشاهدين للحادثة، أما هم فلا يسلم بما قد يقال من أنهم بلغو عدد التواتر، ويستدل على ذلك بقرائن الأحوال، إذ إنه أخذه عدد من الشرط ليلاً بعد تفرق الناس خوفاً من انقلاب الناس عليهم، وصلبوه في مكان بعيد عن المدينة لا يعلمه إلا نفر قليل من الناس، ولم يبق على خشبة الصلب إلا ست ساعات فقط، ناهيك عن أن القائمين بعملية الصلب أهل رشوة، وأصحاب كذب، فلم لم يكونوا ارتشوا في أن يطلقوه ويقتلوا غيره، ما دام ارتشوا أن يقولوا إن أصحابه سرقوه؟

ونجد أبا البقاء الجعفري يسأل النصارى عن قتل المسيح وصلبه: أنقلوه تواتراً أم آحاداً؟ ثم يقول: (فإن زعموا أنهم ينقلونه نقل الآحاد، لم تقم بذلك حجة ولم يثبت العلم؛ إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فلا يحتج بهم في القطعيات ثم يذكر الزعم بنقل ذلك متواتراً، ويدفعه بما هو قريب مما ذكره الإمام القرافي في الأمر الثاني من أنه لم يحضر الصلب أحد من النصارى، ولم يحضره إلا قلة من اليهود ثم يصل من ذلك إلى أنه إذا لم يثبت تواتر النقل من قبل اليهود والنصارى، فليقدم ما هو متواتر في هذا الباب وهو خبر القرآن الكريم عن عدم الصلب، وذلك قوله: (وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد، واليهود الذين حضروا عصابة قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو والغلط واعتماد الكذب، فلا جرم قدم تواتر الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/٥٨، ٥٩).

شُبِّهَ هُمُ ﴿ [النساء: ١٥٧] ^(١).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فلا نجد أحدًا أشار إلى مسألة عدم تواتر الصلب غير نجم الدين الطوفي، فنجدته يتخذ من التنازع في الصلب دليلاً على عدم تواتره فيقول: (إن قتله إن لم يكن كولادته من غير ذكر فهو مثله في الشهرة، ولا بد ثم إن ولادته من غير ذكر لما كان لها وجود تواترت تواتراً لم يختلف فيه اثنان منا ومنكم، فلما اختلفنا في قتله دل على أنه لم يبلغ تلك المرتبة من التواتر، فلم يثبت بمجرد الدعاوي أو الحجج الضعيفة، ويؤكد ذلك من أن المسيح طبق ذكره الآفاق؛ لما ظهر على يديه من الخوارق وقتل مثل هذا لا يقبل بمثل هذا النزاع لما يجب له في مطرد العادات من الشهرة والغلبة، وإذا كان يحى وزكريا -عليهما السلام- دونه في الشهرة، ثم لم يختلف في قتلتهما فما الظن بالمسيح الذي أجمعنا على أنه أفضل أبناء إسرائيل، وأنتم تدعونها إلهاً؟ ^(٢)

ومن خلال ما سبق يتبين لنا: أن الإمام القرافي بيّن أن الحكم بالتواتر راجع إما إلى الحس، أو العدد، وكلا الصورتين غير متحقق في مسألة الصلب، أما الحس فلعجزه عن تميز عيسى عن غيره، وأما العدد فلعدم تحققه من قبل اليهود والنصارى، فالإمام القرافي بنى رده على شرطي التواتر، أما الإمام ابن حزم وأبو البقاء الجعفري فلم يُبين ردهما إلا على شرط واحد وهو بلوغ العدد حد التواتر، وإن كان يذكر لأبي البقاء إضافته أنه إذا انتفى التواتر من قبل اليهود والنصارى، فليقدم ما هو متواتر وهو خبر القرآن الكريم.

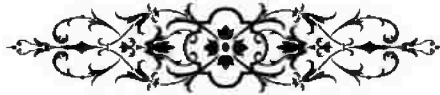
وأما نجم الدين الطوفي، فإنه بنى رده على أنه إذا تنازعنا وإياهم في الصلب

(١) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٣٣٧-٣٤٠).

(٢) ينظر: الانتصارات الإسلامية: (ص ١١١، ١١٢)، وينظر أيضاً في المسألة: الإعلام: (ص ٤١٦).

وعدمه دل ذلك على أن الصلب غير متواتر، وهذا ليس قوياً في نظري لإمكان عوده علينا؛ ولأنه ليس من شروط التواتر انتفاء المنازعة، ومن خلال هذا الكلام يتبين لنا أن رد الإمام القرافي أجمع وأشمل من رد غيره في هذه المسألة.

والله أعلم



الفرع الثالث أدلة الإمام القرافي العقلية على عدم الصلب لعيسى عليه السلام

لم يكتف الإمام القرافي بتفنيد شبهة النصارى التي تمسكوا بها في إثبات الصلب، بل ذكر أدلة عقلية تلزم النصارى بعدم الصلب، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول: يقول الإمام القرافي سائلاً النصارى: (آدم عليه السلام تاب وأنا ب أم لا؟ فإن قالوا نعم، بطل القول بالصلب، فإنهم يقولون: إن سر الصلب محو خطيئة آدم، وإن الله تعالى فداه بابنه كما فدا إسحاق بالكبش، فضرِب المسيح عليه السلام عوضاً عن رفاهية آدم، وإهانتة بدلاً من الأكل من الثمرة، وصلبه على الخشبة لتناوله الشجرة، وسمرت يده لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقي الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم عليه السلام حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية التي كان آدم عليه السلام يتوقعه.

وإن قالوا: لا، كذبتهم كتبهم فإنها مصرحة كلها بتوبة آدم عليه السلام^(١) والتوبة تنفي الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد^(٢).

فالإمام القرافي يلزمهم إما أن يقولوا بتوبة آدم عليه السلام، وساعتها فلا معنى للقول بالصلب؛ لأن الصلب كان تكفيراً عن معصية آدم عندهم أو يقولوا

(١) في التوراة أن آدم لما عصى الله تعالى اختبأ منه هو وحواء، وأن الله تعالى توعد حواء بآلام الحمل والوضع، وتوعد آدم بأنه لا يأكل إلا من تعب يده وأخرجه من الجنة إلى الأرض وليس فيها أن الله تاب عليه. يراجع: سفر التكوين: الإصحاح [٣] الفقرات: [٨-٢٤]، التوراة السامرية: سفر التكوين: الإصحاح [٣] الفقرات: [٨-٢٤]، لكن صرح القرآن الكريم بتوبة الله تعالى على آدم قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ أَجْتَبَنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٦).

بعدم توبته، وساعتها يلزمهم تكذيب كتبهم.

ثم يتعجب الإمام القرافي من أنه كيف يفدي الإله البشر بناءً على اعتقادهم ألوهية عيسى؟ وعلى القول بأن الفادي من البشر فالأولى أن يكون فداء آدم عليه السلام بولد من صلبه، لا بولد بينه وبين أبيه آدم قرون، وذلك قوله: (ثم الفداء بهابيل أولى؛ لأنه ولد الصلب وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من فداء البشر بإله قديم، وفي كتبهم: أن الله تعالى فدى إسحاق بكبش^(١) ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى)^(٢).

هذا: ولم يذكر هذا الدليل غير أبي البقاء الجعفري^(٣)، وذكر مثل ما ذكر الإمام القرافي من أنه إما أن يكون آدم قد تاب، وعليه فلا معنى للصلب، أو لم يتب، وعليه تكذبهم كتبهم، وأضاف أنهم قد يسلمون بالتوبة، ويقولون: لا بد من قتل المسيح، إذ التوبة وحدها لا تكفي، وهذا ما أجاب عنه بقوله: (فإن قالوا: إنه لا بد من قتل المسيح، فالتوبة لا أثر لها، بل حال التائب بعد التوبة النصوح كحالة قبل التوبة في ملابسة القبيح، فالقول بصحة التوبة ينفي القول بالقتل والصلب، والقول بالقتل والصلب ينفي صحة التوبة)^(٤).

الدليل الثاني: يسأل الإمام القرافي النصارى قائلاً: (هل كان الله تعالى قادراً على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح، أم لا؟)

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٢] الفقرة: [١٣].

(٢) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٦).

(٣) ذكر الإمام القرطبي جانباً من هذا الدليل في مقام إلزامات ذكرها على قول النصارى بالصلب، فقال: (ويلزمكم على ذلك أن يكون الله تعالى لم يتب على آدم عليه السلام إلا بعد أن صلب المسيح، وبذلك تكذيب كتب الأنبياء) الإعلام: (ص ٤١٧).

(٤) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٦٩، ٣٧٠).

فإن قالوا: لا كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب: وأكذبهم ما في كتبهم من أن الله على كل شيء قدير^(١)، وإن قالوا: يقدر، كفروا بنسبته تعالى إلى الحيف على يسوع عليه السلام. وإهانتة الخاصة بأيدي السفلة على قاعدتهم في التحسين والتقبيح^(٢)، وليس من العدل أن ينجي آدم فيفدي بابن الله تعالى^(٣).

فالإمام القرافي يلزمهم الكفر إما بنسبة الله تعالى إلى العجز، وإما بنسبته إلى الحيف والظلم، إذ كيف يكون قادرًا على خلاص آدم بدون دم المسيح، ويصر على قتله؛ ثم كيف يفدي آدم بولده على زعمهم؟ فذلك غاية الظلم إذ ترك المستوجب للعقوبة، وعاقب غيره، وليته آحاد الناس بل هو ولده لصلبه.

والذي جعل الإمام القرافي يلجأ إلى الحكم بالكفر في نسبة الله تعالى إلى الجور والظلم ليس عقيدة الإمام القرافي في الله تعالى من أنه لا يوصف بالظلم، بل ما يعتقد النصارى من أن الله تعالى لا يصدر عنه القبيح، فإذا كان لا يصدر عنه القبيح، فكيف صدر عنه الظلم وهو قبيح؟

الدليل الثالث: يسأل الإمام القرافي النصارى عن موت المسيح على الصليب، هل هو حكمة أو سفه؟ فإن قالوا: حكمة لزمهم الثناء على اليهود

(١) في إنجيل متى: الإصحاح [٧] الفقرات: [٧-١٣] إشارة إلى عموم قدرة الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام.

(٢) بين الإمام القرافي مذهب النصارى في التحسين والتقبيح فقال: (مذهب النصارى أن الخير من الله، والشر من الشيطان، ثم رد عليهم ذلك بأنه يلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعًا، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعًا وأنفد وأغلب لكون أكثر العالم كفارًا وضلالًا وشريرين، ويلزمهم أن يكون الشيطان أولى بالربوبية ثم بين عقيدة أهل السنة من أن الخير والشر، والضر والنفع كُلُّ بيد الله) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص ١٣٥).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٧)، وينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٧١).

بالخير لإعانتهم على الحكمة، وفعلهم لها مع أن النصارى يكرهون اليهود لصلبهم إلههم وقتلهم إياه وإن قالوا: سفه: نسبوا الرب تعالى إلى السفه، وهو كفر^(١).

الدليل الرابع: يذكر الإمام القرافي عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام من أنهم يقولون: إنه إله العالم، وخالقهم، ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم، ثم صلب، ودفن ثلاثة أيام^(٢) ثم يقول لهم: (يا سخفاء العقول، والجاهلين بالمعقول والمنقول، من كان يقوم برزق الأنعام والأنعام في تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟ ومن المدبر للسموات والأرض بالسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دفنت الكلمة بدفنه، وقتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟ فإن دفنت، فإن القبر الذي وسع الكلمة لقبر عظيم، وإن أسلمته وذهبت، فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟ وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه، وخذلان سائر أودائه^(٣)).

ثم إن كان صلبه برضاه، وهو قادر على دفعه عن نفسه فينبغي أن يترحموا على اليهود ويعظموهم؛ لتحصيلهم رضاه، وإن كان بغير رضاه، فاطلبوا إلهًا سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته^(٤) كيف يرجى منه دفع، أو يتوقع منه نفع؟^(٥)

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٨).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرة: [٦٣]، ولوقا: الإصحاح [٢٤] الفقرة [٧].

(٣) الأوداء: الأحباب، جاء في لسان العرب: [يقال: ودُّك ووديدك كما تقول: حبك وحبيبك وهما يتوادان وهم أوداء]. لسان العرب: (٣/ ٤٥٣) مادة [ودد].

(٤) الحشاشة: الروح قال في اللسان: [الحشاشة روح القلب، ورمق حياة النفس، والحشاشة، بقية الروح في المريض] لسان العرب: (٦/ ٢٨٣) مادة [حشش].

(٥) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٨، ١٠٩).

حقاً: إنه لأمر عجيب إذا كان الإله قد قتل وصلب، فمن دبر أحوال عباده في وقت صلبه ودفنه؟ وأي قبر وسع الإله الخالق للسموات والأرض، وكيف مكن أعداءه من صلبه؟ وهل المصلوب كلمة الله الابن - كما يقولون - أو جسد عيسى بدون اللاهوت كل هذه الأمور تسترعى كل صاحب عقل، فضلاً عن أن يكون من العلماء المهتمين بالدفاع عن دينه، ولذلك ألزمهم الإمام القرافي بالإلزامات السابقة.

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فلا نجد غير أبي عبيدة الخزرجي يذكر جانباً من هذا الدليل، وهذا قوله: «من كان الممسك للسموات والأرض، إذا كان الله كما تقولون مربوطاً في خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكتين؟ أم كان استخلف عليهما غيره وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟»^(١).

وأما اللاحقون للإمام القرافي فلا نجد إلا ابن القيم يذكر رد الإمام القرافي من أوله إلى تعجبه من قبر وسع إله السموات والأرض^(٢).

وإذا قورن دليل الإمام القرافي بما ذكره الخزرجي كان دليل الإمام القرافي أفصح عبارة، وأشفى بياناً، وأقوى إلزاماً؛ إذ إنه اشترك مع الخزرجي في مسألة: من دبر العالم؟ ولكن بعبارة أوضح وأشمل، وزاد عنه كيف مكن الإله خلقه من مكان صلبه، وهو مالك له؟ وهل فعل ذلك برضى نفس أم لا؟ فإن كان برضا نفس فاليهود أولى بالمدح، وإن لم يكن برضا نفس، فليطلبوا إلهاً غيره، إذ قد عجز الإله. أما ابن القيم فهو متأثر بالقرافي.

الدليل الخامس: يقول النصارى: إن قتل عيسى عليه السلام كان لأجل

(١) بين الإسلام والمسيحية: (ص ٢١٤).

(٢) ينظر: هداية الحيارى: (ص ١٩٢)، إغاثة اللهفان: (ص ٦١٨، ٦١٩).

الخلاص، والإمام القرافي يسألهم من أي شيء كان الخلاص؟ هل هو من محن الدنيا؟ فإن قالوا بذلك، فالإمام القرافي يجيبهم بأنهم مشاركون لسائر البشر في النفع والشر، أو من عهدة التكليف، فإن قالوا بذلك، أجابهم الإمام القرافي بأنهم ما بالهم يدأبون في الصلاة والصيام، وتكاليف كثيرة؟

أو هو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق فيه؟ فإن قالوا بذلك أجابهم الإمام القرافي بقوله: (أكذبكم الإنجيل بقوله: «إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين فعلتم خيرًا، فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شرًا فاذهبوا إلى الجحيم»)^(١) يقول الإمام القرافي فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بالحسنات، ويهلكون بالسيئات، وضاع الصلب في البين)^(٢).

الدليل السادس: يقول النصارى: إن صلب عيسى عليه السلام كان لأجل التطهير من الخطيئة، والإمام القرافي يسألهم ثم يلزمهم هل هو لتطهير من آمن به أو من كفر؟ فإن قالوا: من كفر، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها من صلب الإله، وإهانة الخالق الأكبر، وإن قالوا: من آمن، فكيف يكون فعل الكفار طهرًا للأبرار؟ وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف في التطهير، وإلا فلا عبرة به، وأي فساد زال من العالم بقتله؟ وأي صلاح حصل؟ بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح، ورفع وخفض، وإبرام ونقض، بل المصيبة التي حصلت بإهانة الرب على زعمهم لم يحصل في العالم مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان في غناء عن هذا التطهير^(٣).

(١) يراجع: إنجيل متى: الإصحاح: [٢٥] الفقرات: [٣١-٤٦].

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٩).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٣٦).

فالإمام القرافي يلزم النصارى في دليله هذا بالآتي:

١- أن يقولوا: إن الخطيئة كفر عنها بما هو أقبح منها، وذلك في حال كون التكفير عن الكفار.

٢- أو يقولوا: إن فعل اليهود الكافرين كان تطهيراً للأبرار المؤمنين، وذلك إذا كان التكفير عن المؤمنين.

٣- أو يسلموا بأنه لا قيمة للإيمان والعمل الصالح، ما دام الصلب تكفيراً عن الخطايا، وهي إلزامات، لا سبيل إلى دفعها من قبل النصارى.

والله أعلم



الفرع الرابع أدلة الإمام القرافي النقلية على عدم الصلب لعيسى عليه السلام

يقول الإمام القرافي: إن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متضاربة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصية^(١) وذلك من وجوه:

أحدها: قال لوقا: «صعد يسوع إلى جبل الجليل، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وابتضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران، وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلمت فوق النوم على الذين معه»^(٢).

يقول الإمام القرافي: فظهور الأنبياء عليهم السلام، وتظليل السحاب، ووقوع نوم على التلاميذ دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات^(٣).

وثانيها: ما في الأناجيل: أن المصلوب استقى اليهود فأعطوه خلاً مذاقاً بمر فذاقه، ولم يسغه، فنادى: إلهي إلهي لم خذلتنى^(٤)؟ والأناجيل مصرحة بأنه عليه

(١) يفهم من كلام الإمام القرافي أن المنازعة ليست في الصلب، وإنما هي في عين المصلوب فتحن المسلمين لا ننفي كون الصلب قد وقع، ولكن ننفي كون المصلوب هو عيسى عليه السلام.

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح: [٩] الفقرات: [٢٨-٣٥].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٤) وينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٤) متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات [٤٦-٤٩] مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرتان [٢٣، ٣٤]، يوحنا: الإصحاح: [١٩]، الفقرتان: [٢٨، ٢٩].

السلام كان يطوي أربعين يومًا وأربعين ليلة^(١)، يقول للتلاميذ: إن لي طعامًا لستم تعرفونه^(٢).

يقول الإمام القرافي: ومن يصبر أربعين يومًا على العطش والجوع، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه، وأعداء الله بسبب عطش يوم وليلة؟ فإنه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة، لإجماع الأناجيل على أن الصلب في الثالثة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه، ودفن ليلة السبت، وأقام يوم السبت كله مدفونًا، ثم طلب يوم الأحد بغلس فلم يوجد^(٣). ومنهم من قال: أقام ليلة الأحد^(٤).

يقول الإمام القرافي: إظهار الجوع والعطش والمهانة من شخص يواصل أربعين يومًا لا يفعله من هو من أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ فكيف بالرب تعالى عما يدعونه فيكون حينئذ المدعي للعطش وغيره غير عيسى عليه

(1) متى: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [١، ٢]، لوقا: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [١، ٢].

(2) يوحنا: الإصحاح: [٤] الفقرة [٣٢].

(3) إنجيل متى: الإصحاح [٢٧] الفقرات: [٤٥-٦٦] والإصحاح: [٨] الفقرة [١] وما بعدها، إنجيل مرقس: الإصحاح [١٥] الفقرات [٣٣- وما بعدها]، الإصحاح: [١٦] الفقرة [١- وما بعدها]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرات: [٤٤- وما بعدها] والإصحاح: [٢٤] الفقرة [١- وما بعدها]، يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [٣٨- وما بعدها] والإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١- وما بعدها].

(4) لا معنى لهذا الكلام؛ لأنه إذا طلب يوم الأحد فبدهي أنه أقام ليلة الأحد، إلا أن يكون الكلام ومنهم من قال: أقام يوم الأحد، وعليه يستقيم الكلام، ولكني قارنت ثلاث نسخ للأجوبة الفاخرة، منها نسخة محققة بتحقيق د/ بكر زكي عوض، فوجدت النص كما هو مذكور ليلة الأحد، وعلى فرض أنه يوم الأحد، فلم يوجد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى، فلعله في إنجيل آخر غيرها اطلع عليه الإمام القرافي.

السلام وهو المطلوب^(١).

فالإمام القرافي يسلم للنصارى مجازاً بالنصوص الدالة على أن عيسى عليه السلام كان يواصل الأيام الكثير مجارة لهم ويسلم لهم أن المصلوب طلب الماء فلم يسقوه، ولكنه وكل عاقل يرفض أن يكون الشخص الثاني المصلوب، عين الشخص الأول المواصل؛ لأنه لو كان عينه، فكيف لا يصبر على الجوع والعطش، وقد اعتاد على تركهما أربعين يوماً؟ فإنه لو كان من آحاد الناس لأنفت نفسه -والحالة هذه- من طلب الطعام والشراب، فكيف لو كان نبياً؟ وكيف لو كان رب الأرباب الذي هو منزّه عن الطعام والشراب؟

وإذا نظرنا إلى من تناول مسألة الصلب من السابقين واللاحقين للإمام القرافي فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي وأبا البقاء الجعفري من السابقين يذكران هذا الدليل، ويعقبان عليه بنحو ما علق عليه الإمام القرافي، إلا أن عبارتهما أوجز من عبارة الإمام القرافي، وبها إجمال مفصل عند الإمام القرافي^(٢).

ونجد الباجي زاده من اللاحقين بذكر هذا الدليل بعبارة تشير إلى أنه متأثر بالإمام القرافي ولكن عبارته مختصرة عن عبارة الإمام القرافي^(٣).

وثالثها: قوله: «إلهي إلهي لم خذلتني فتركتني».

يقول الإمام القرافي: هذا كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزّه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره،

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٤).

(٢) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ١٩٩)، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٣٤٩/١).

(٣) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢٨٧، ٢٨٨).

لاسيما وهم يقولون: إن المسيح عليه السلام، إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف يرون عنه أن تبرم بالإيثار، واستقال من العثار مع روايتهم في توراتهم أن إبراهيم^(١) وإسحاق^(٢)، ويعقوب^(٣)، وموسى^(٤) وهارون^(٥) عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، ثم لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا استقالوا مذاقه ولا عابوه، مع أنهم عبيده والمسيح بزعمهم ولد ورب؟ فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره وهو المطلوب^(٦).

يمكن حصر دليل الإمام القرافي في النقاط الآتية:

١- عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، لا يليق بعيسى عليه السلام أما على اعتقاد المسلمين، فلأنه نبي، والأنبياء أولى الناس بالرضا بالقضاء، وأما على قول النصارى، فلأنه إله من إله، والإله لا يجزع.

٢- صدور الجزع من عيسى عليه السلام ينافي ما ينادي به النصارى من أنه نزل ليؤثر العالم بنفسه، فكيف يجزع مما نزل لأجله؟

٣- صدور الجزع من عيسى عليه السلام ينافي أيضًا ما ذكروه مما هو سبيل الأنبياء من الرضا وعدم الجزع من الموت، فلو كان عيسى عليه السلام نبيًا، فهو

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٥] الفقرتان: [٧، ٨].

(٢) سفر التكوين: الإصحاح: [٤٩] الفقرة: [٣٢].

(٣) سفر التكوين: الإصحاح: [٤٩] الفقرة: [٣٣].

(٤) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٤] الفقرتان: [٥، ٦].

(٥) سفر العدد: الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [٢٥-٢٩].

(٦) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٤، ٥٥).

تشبيهه بغيره من الأنبياء وإلا فثقتهم بالله أقوى من ثقته، وهذا لا يرضاه النصارى، ولو كان إلهًا فهو أولى.

كل هذه الأمور جعلت الإمام القرافي يحكم بأن المصلوب غير عيسى عليه السلام. وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي، وأبا البقاء الجعفري يذكران هذا الدليل، ويستدلان بنحو ما استدل به الإمام القرافي^(١)، ونجد من اللاحقين الباجي زاده يذكر نص كلام الإمام القرافي أو قريباً منه^(٢).

الدليل الرابع: بعد أن ذكر الإمام القرافي الوجوه الثلاثة باعتبارها ثلاثة أدلة على أن عيسى عليه السلام لم يصلب، ذكر دليلاً رابعاً يبطل عقيدة الصلب رأساً مضمونه أن قولهم: إنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل عيسى عليه السلام، مخالف لما دلت عليه الكتب السماوية من أن الحوبة يمحوها التوبة، وذلك قوله: يقولون في أمانتهم^(٣) التي هي أصل دينهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده، وإنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام^(٤)

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ١٩٩، ٢٠٠)، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٤٩، ٣٥٠).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢٨٨).

(٣) أمانة النصارى هي المسماة عندهم بقانون الإيمان المسيحي، وهذه الأمانة هي ما اتفق عليه أساقفة النصارى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، فهي وليدة اتفاقهم. يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ١١٢) وما بعدها، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ١٩١) وما بعدها، هداية الحيارى: (ص ١٨٧)، الأمور المتيقنة عندنا (ص ١٠١، ١٠٩).

(٤) نص الأمانة: (ومن أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي)، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ١٩٦)، الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٨).

والتوراة والنبوات ترد عليهم.

ففي السفر الأول من التوراة يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل: (إن أحسنت يقبل منك وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك)^(١)، وفي بعض النبوات: (لا آخذ الولد بخطيئة الوالد، ولا الوالد بخطيئة الولد)^(٢)، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطيء عليه تكون)^(٣). يقول الإمام القرافي: وهذا تصريح بعدم تخطي الخطيئة محلها، كقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ثم ذكر نصاً آخر من المزمور الرابع يدل على أن الندم نافع صاحب الذنب، فقال: (وفي المزمور الرابع: يا بني البشر حتى متى أنتم ثقلو القلوب؟ لماذا تحبون الباطل وتتبعون الكذب، اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهتمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب)^(٤).

يقول الإمام القرافي: فأخبرهم أنهم إذا فعلوا وآمنوا فلا حاجة إلى صلب الرب، ولا إلى صلب ولده)^(٥).

فالنصوص السابقة تبطل عقيدة النصارى في الصلب، إذ لا معنى للصلب فداءً عن الخطيئة، ما دام الابن لا يؤخذ بعقوبة الأب، والأب لا يؤخذ بعقوبة

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [٦، ٧].

(٢) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٤] الفقرة [١٦]، سفر حزقيال: الإصحاح [١٨] الفقرة: [٢٠].

(٣) سفر اللاويين: الإصحاح: [٢٤] الفقرة [١٥]، وسفر الأمثال: الإصحاح [٥] الفقرة [٢٢].

(٤) المزمور الرابع: الفقرات [٢-٦].

(٥) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٧).

الابن، وما دام الطاهر مجازى بما له، والخاطئ معاقب بما عليه، وهذا ما تقر به الفطر السليمة، والنفوس المؤمنة، إذ كيف يكون غير الجاني معاقبًا بجريرة غيره؟ وإذا انظرنا في كلام السابقين واللاحقين للإمام القراني فإننا لا نجد غير أبي البقاء الجعفري من السابقين ذكر هذا الدليل، وزاد فيه: (والدليل على أن التوبة ماحية للخطيئة، قول الإنجيل: «إنه لما أسلم المعمداني للقتل خرج يسوع إلى الجليل، وجعل ينادي ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالبشرى»^(١)).

يقول: فقد شهد المسيح عليه السلام في هذا الكلام بأن التوبة تستقل بمحو الآثام فلا حاجة إلى محوها بأمر آخر^(٢).

والباجي زاده ذكر هذا الدليل وذكر فيه أن عقيدة الصلب تكفيرًا عن الخطيئة تناقض ما جاء في سفر حزقيال: (النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل ذنب الأب، والأب لا يحمل ذنب الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه)^(٣).

ثم بيّن أنه عند التسليم بهذه العقيدة، فإنه لا معنى لنبوة الأنبياء ماداموا متلبسين بالخطيئة، إذ كيف أصطفاهم الله تعالى، وقد جاء في المزمور الأول: (لا تقوم الأشرار في الدين)^(٤) فإذا كان الأنبياء من أهل الخطيئة لأنها عمت جميع أولاد آدم فكيف دخلوا جماعة الرب؟^(٥)

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [١] الفقرتان: [١٤، ١٥].

(٢) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١ / ٣٨١).

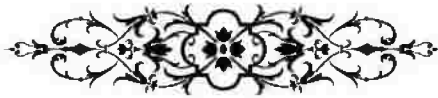
(٣) حزقيال: الإصحاح: [١٨] الفقرتان: [٢٠، ٢١].

(٤) المزمور الأول: الفقرة: [٥].

(٥) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢٩٠، ٢٩١).

ولا شك أن هذه زيادة لطيفة، توقع النصارى في مأزق إن أنصفوا من أنفسهم.

والله أعلم



الفرع الخامس نفي النصارى اعتقاد المسلمين إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام ورد القرآني عليهم

أولاً: شبهة النصارى:

تعدى النصارى طور الاستدلال على صحة عقيدة الصلب عندهم إلى طور التشكيك وإلقاء الشبه على ما نعتقده نحن المسلمين من أن الله تعالى نجى عيسى عليه السلام وألقى شبهه على غيره فصلب، فقالوا: القول بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام يفضي إلى السفسطة والوقوع في الجهالات، وما لا يليق بالعقلاء، وبيان ذلك:

أنا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم، ولا يسكن إليهم، ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان، يقطع بأن ابنه هو ابنه، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريب بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه، فلا يثق الإنسان بوطنه ولا بسكنه، ولا بشيء مما يعرفه ويألفه، بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ثم فتحها في الحال ينبغي له أن لا يقطع بأنه صديقه، لجواز أن يلقي شبهه على غيره. لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة، فلا يسمع كالقول بأن الواحد نصف العشرة^(١).

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٥).

ثانيًا: رد القرافي على الشبهة:

يرد القرافي على النصارى بما لا ينكره أحد من أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء وأنه على كل شيء قدير، وإذا كان كذلك أفلا يقدر على أن يلقي شبه عيسى على غيره. ولا سيما وهو أمر ممكن؟ وذلك مضمون قوله: (البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان، وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشيء حكم مثله فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلا هو قادر على خلق مثله؛ إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلًا، بل جملة العالم وهو محال بالضرورة، وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان، يمكن خلقها في محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام، فيحصل الشبه قطعًا، فالقول بإلقاء الشبه قول بأمر ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة).

ثم يذكر أن النصارى يسلمون بما هو أغرب من إلقاء الشبه، فليسلموا بإلقاء الشبه من باب أولى فيقول: (التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام^(١) وهو أعظم من الشبه، فإن جعل حيوان يشبه حيوانًا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانًا، وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار لإبراهيم بردًا وسلامًا^(٢) وعلى قلب

(١) لا يقول النصارى: إن العصا التي صارت حية هي عصا موسى عليه السلام، بل هي عصا هارون عليه السلام، والإمام القرافي ذكر أنها عصا موسى؛ لأنه هو الصواب، لإخبار القرآن الكريم بذلك، وأبيا كان الأمر فالحجة قائمة على النصارى. يراجع: سفر الخروج: الإصحاح: [٧] الفقرات: [٧-١١].

(٢) لم يرد ما جرى بين إبراهيم عليه السلام ونمرود في التوراة، ولا في الأنجيل، بل جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

لون يد موسى عليه السلام^(١) وعلى انقلاب الماء خمراً وزيتاً للأنبياء عليهم السلام^(٢) وإذا جوزوا مثل هذا، فليجوزوا إلقاء الشبه من غير استحالة^(٣).

فيتلخص دليل الإمام القرافي في:

١- أن الله تعالى هو الخالق لجملة أجزاء العالم بما في ذلك أعضاء الإنسان، والخالق للشيء ابتداء، لا شك أنه قادر على خلق مثله؛ لأنه إذا عجز عن خلق مثله كان على خلق الشيء الأصلي أعجز، وعليه يكون العالم كله، خلقه مستحيلاً. وإذا تقرر أن الله تعالى خالق الشيء ومثله بلا منازع، فلا محل لنزاع النصارى في أن الله تعالى خلق أمثال صفات عيسى عليه السلام في جسد آخر؛ لأنه لو عجز عن خلق مثل صفاته في جسد آخر، لكان عاجزاً عن خلق الصفات الأصلية ومن ثم لم يكن عيسى عليه السلام موجوداً، وهذا لم يقل به أحد.

٢- أن النصارى يسلمون بأن الله تعالى قلب العصا حية تسعى، وهو أغرب من إلقاء شبه عيسى على غيره؛ لأن جعل صفات الحي في الجهاد أغرب من جعل صفات الحي في مثله، وإذا أسلموا بذلك فلا محل لإنكار إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام فليسلموا به.

وإذا ما اتجهنا نحو السابقين واللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا ابن حزم وأبا عبيدة الخزرجي تعرضا لمسألة إلقاء الشبه، أما الخزرجي فذكر مثل ما ذكر الإمام القرافي^(٤).

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [٦، ٧].

(٢) جاء تحويل الماء خمراً في إنجيل يوحنا: الإصحاح: [٢] الفقرات: [١- ١١] وأما تحويل الماء زيتاً، فقد جاء في سفر الملوك الثاني: الإصحاح: [٤] الفقرات: [١- ٨].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٥، ٥٦).

(٤) بين الإسلام والمسيحية: (ص ٢٠٠، ٢٠١).

وأما ابن حزم فلا يرى أن شبه عيسى ألقى على غيره فصلب، كما يرى غيره من العلماء - بل يرى أن قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] معناه أن اليهود ما قتلوا عيسى ولا شبهه، بل قتلوا رجلاً غيره، وأخبروا الناس أنهم قتلوا عيسى عليه السلام^(١) وبذلك شبهوا على من لم يحضر الصلب، وعلى من لحق بهم من أجيال بقتل عيسى عليه السلام وصلبه، أي أوقعوهم في شبهة، وخلطوا عليهم الأمور، والذي دفع ابن حزم إلى هذا الرأي هو قوله: (ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها؛ إذ لعلها شبّهت على الحواس السليمة، ولو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها، ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس، وفيمن يجالس وفي هذا خروج إلى السخف)^(٢).

ولا شك أن كلام ابن حزم يكون مقبولاً إذا لم يكن مضافاً إلى قدرة الله تعالى الخالق أما إذا أضيف إلى قدرة الله تعالى فلا غرابة فيه، ولا يفضي إلى السخف لأن الله على كل شيء قدير، ولا يفعل ما فيه سخف، ولم لا يجوز أن يكون الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه غيره، ورفع له صوناً وتكريماً له عن أذى اليهود؟ والله أعلم

(١) والذي دفعهم إلى أن يقولوا ذلك خوفهم أن يؤمن الناس بدعوته، وذلك لأن الناس كانوا قد أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى عليه السلام، فلما دخلوه ولم يجدوا عيسى عليه السلام خاف رؤساء اليهود أن يكون ذلك سبباً لإيهان اليهود به، ففعلوا ما فعلوا، هذا: وقد ذهب إلى مثل رأي ابن حزم، أبو علي الجبائي من المعتزلة، ينظر تفسير الألوسي: (٣٠١ / ٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٥٩، ٦٠).

الفرع السادس

أدلة الإمام القرافي على وقوع شبهة عيسى عليه السلام على غيره

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في نفي إلقاء الشبيه، ذكر أدلة من الأناجيل، تثبت أن شبهة عيسى عليه السلام ألقى على غيره، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول: يقول الإمام القرافي: الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام نشأ بين أظهر اليهود، وكان في مواسمهم، وأعيادهم، وهياكلهم، يعظمهم، ويعلمهم، وينظرهم، ويعجبون من براعته، وكثرة تحصيله حتى يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟ أليس أمه مريم؟ أليس إخوته عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟^(١) وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فكيف نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليدلهم عليه^(٢)؟ فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان^(٣)، ومعه جماعة من اليهود، معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ. واسمه يهوذا: الرجل الذي أقبله هو مطلوبكم فأمسكوه، فلما جاء: قال: السلام عليك يا معلم الخير، ثم قبله، فقال له يسوع: ألهذا جئت يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه^(٤)، فتركه التلاميذ كلهم، وهربوا وتبعه

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٢-٤]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢] الفقرة: [٤٧].

(٢) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [١٤-١٧]. إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرتان: [١٠، ١١]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [٣-٧].

(٣) شهر نيسان هو الموافق لشهر إبريل في الأشهر الميلادية.

(٤) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [٤٧-٥١]، مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [٤٣-٤٧] لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرتان: [٤٧-٤٨].

بطرس من بعيد^(١)، فقال له رئيس الكهنة: بالله الحي أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذلك، وأنا أقول لكم: إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالساً عن يمين القوة، آتياً في سحب السماء^(٢).

يقول الإمام القرافي: فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة في المحاورات العظيمة، والمجادلات البالغة، أدل على وقوع الشبه قطعاً^(٣) فالإمام القرافي يستدل بخفاء أمر عيسى عليه السلام على اليهود رؤساء ومرؤوسين بعد معرفته الشائعة بين جميعهم، على أن المخفي عنهم ليس هو المعروف لديهم من قبل، وإلا فلا معنى لاستئجار رجل ليدهم عليه، وسؤال رئيس الكهنة له: هل أنت عيسى؟ ما دام مشهوراً لديهم إلا أن عيسى عليه السلام قد التبس عليهم بغيره، فلم يعودوا يعرفونه، وهذا دليل إلقاء الشبه.

وإذا نظرنا في كلام السابقين على الإمام القرافي فإننا نجد أبا البقاء الجعفري يذكر هذا الدليل ويعلق بقوله: (وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه فما حاجتهم إلى أن اکتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرفهم بشخصه لولا وقوع الشبه؟ ثم: كيف يقسم عليه رئيس الكهنة، بالله هل هو المسيح فلم يجبه؛ فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم، ولم يستجز أن يورّي في الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم المسيح إنما جاء لبث الحق، ونشر الظلم، فكيف تجشم شيء، ثم يكتمه؟

ثم قد يعترض النصارى بأنه لو كان المسئول غير عيسى لم يخف ذلك ولبينه،

(١) إنجيل متى: الإصحاح: ٢٦ [الفقرة ٥٨] إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرة: [٥٤].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرتان [٦٣، ٦٤]، مرقس: الإصحاح [١٤] الفقرتان: [٦٢، ٦٣].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٦).

ولقال: لست أنا المسيح بل أنا رجل سواه. وهذا ما يدفعه الجعفري بقوله: (قلنا: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعه من البيان والإفصاح عن حاله كما يجري للبشر، وهذا لا بعد فيه أن يأخذ الله على لسانه، ويسد عنه مادة الكلام صوناً لنبيه المسيح أن يفصح الرجل عن أمره.

والوجه الثاني: أن يكون الشبه لصديقيته أثر المسيح بنفسه، وفعل ذلك بعهد عهده إليه المسيح رغبة منه في الشهادة، ويؤيد هذا الوجه قول التلاميذ للمسيح: لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا^(١) ^(٢).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا الباجي زاده يذكر تعليق أبي البقاء الجعفري على سؤال رئيس الكهنة بدون أن يذكر اعتراض النصارى^(٣).

وإذا قارنا ما قاله الإمام القرافي وما قاله الجعفري، فإننا نجد ما قاله أبو البقاء أقوى وأشمل مما قاله القرافي؛ لاشتراكهما في الاستدلال بالالتباس بعد الشهرة ولكن زاد أبو البقاء: كيف يستحلف عيسى، ولم يجب، ويكتّم أمراً جاء لنشره؟ ثم فرع على ذلك ما يمكن أن يعترض به النصارى، وأجاب عنه بما هو شاف وكاف.

الدليل الثاني: يقول الإمام القرافي: في الإنجيل: (أنه أخذ في حندس من

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرة: [٣١].

(٢) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٣) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢٨٦)، وينظر: في هذا الدليل: بين الإسلام والمسيحية: (١/ ٢٠١، ٢٠٢).

الليل مظلم^(١) من بستان شوهت صورته، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب، وأنواع النكال^(٢).

يقول الإمام القرافي: (ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه فكيف بين الشيء وشبهه؟ فمن أين للنصارى أو اليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه؟ بل إنما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿٥٨﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]^(٣).

فالإمام القرافي يستدل بقرينة الحال من أخذه في ليل مظلم، مضروباً، مشوهة صورته بالسحب، ووضع الشوك على رأسه كما جاء في الأناجيل على أن النصارى لا يجزمون بأن الشخص المقبوض عليه هو عيسى، إذ كيف يجزمون والظلام مع التشويه يوقعان في اللبس بين الشيء والمباين عنه، فكيف بالمشابه له؟ وإذا لم يجزوا بذلك، بل كل ما عندهم إنما هو ظن، والظن لا يغني عن الحق شيئاً، صح قول الله عز وجل عنهم إنهم ما قتلوه وما صلبوه، وإنهم مختلفون في أمره وهو المطلوب.

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي، وأبا البقاء الجعفري يذكران هذا الدليل ويذكران نحو ما ذكر الإمام القرافي^(٤).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإننا نجد الباجي زاده يذكر كيفية

(1) إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [٣].

(2) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات: [٢٧-٣١]، إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [١٦-٢٠]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [٦٣-٦٦]، إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [١-٤].

(3) لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرة: [٧].

(4) بين الإسلام والمسيحية (ص ٢٠٢)، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٤٤).

القبض على المصلوب، وما جرى له من الإهانة والتشويه ثم يقول بعد أن ذكر أن هذه الأمور توجب تغيير الصورة والالتباس: (إن لوقا حكى في الإصحاح الأول أن جبرائيل بشر مريم والدة المسيح بأن الله يجلس ولدها على كرسي داود، ويملكه على بيت يعقوب إلى الأبد^(١))، ولا شك أن قول جبرائيل حق ووعد الله صدق، فلو قلنا: إن المهان المصلوب هو المسيح للزم منه بطلان تلك البشارة الصادقة، وهو محال، فبالضرورة يثبت أن المصلوب ليس هو ذات المسيح عليه السلام^(٢).

وما أجل هذه الزيادة التي ذكرها الباجي زاده من إنجيل متى لو صحت، لأنها غير صحيحة أما على اعتقاد المسلمين فلأننا نقول: إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام، ولم يملكه إلى الأبد وأما على اعتقاد النصارى فلقولهم بالصلب والقتل، فهم أهانوه ولم يملكوه، وعليه فلا معنى لزيادة الباجي زاده إلا في معرض تكاذب الأناجيل.

الدليل الثالث: يقول الإمام القرافي: في الإنجيل لمتى: أن يهوذا دل عليه بثلاثين درهماً دفعها إليه اليهود^(٣) وزاد مرقس: أنهم لما قبضوا عليه تخلّى عنه التلاميذ وهربوا، فاتبعه شاب عريان، وهو ملتف في رداءه فراموا قبضه فأسلم الرداء ونجا عرياناً^(٤) وزاد لوقا: أن بيلاطس القائد لما علم أنه من سلطنة هيردوس بعثه إليه^(٥) وزاد يوحنا: أن المسيح عليه السلام تقدم للجماعة، وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا: يسوع، فقال: أنا هو، وكان يهوذا الدال عليه واقفاً

(١) لوقا: الإصحاح: [١]، الفقرات: [٢٨-٣٣].

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢٨٧).

(٣) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [١٤-١٧].

(٤) مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [٥٠-٥٣].

(٥) لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرة: [٧].

معه، فلما قال لهم: أنا هو تقهقروا إلى خلف، فتساقطوا في الأرض ثم سألهم وقال: من تريدون؟ فقالوا: يسوع، فقال: قد قلت لكم: أنا هو، فإن كنتم إنما تريدونني فأطلقوا هؤلاء^(١).

وذكر لوقا أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعله به ندم ورد الدراهم جميعاً، وقال أخطأت إذ بعت دماً صالحاً، فقالوا له: ما علينا أنت بريء، فألقى الدراهم في البيت، وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه^(٢).

بعد أن ذكر الإمام القرافي هذه النصوص من الأناجيل، بين أنها ليست قاطعة في أن المصلوب هو عيسى عليه السلام، بل فيها احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يهوذا كذب في قوله: (هو هذا)، ويدل على وقوع ذلك ويقويه ظهور الندم بعد هذا، وقول المسيح له: يا صديق لم أقبلت؟^(٣) ولو كان مصرًا على الفساد لما سماه صديقاً؛ ولأن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة^(٤) وشهادته حق، والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الاثنى عشر، فيلزم، أما أن يهوذا ما دلّ، أو كون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق، أو أن كتابكم محرف، اختاروا واحدة من هذه الثلاثة^(٥).

فالإمام القرافي في هذا الاحتمال لا ينكر أن يكون يهوذا شرع في الدلالة على عيسى عليه السلام، بل ينكر أن يكون فعل ذلك، بل دله على غيره، ويستدل

(١) يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرات: [٤-٩].

(٢) النص ليس في لوقا، إنما هو في متى: الإصحاح: [٢٧]، الفقرات: [٣-٦].

(٣) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦]، الفقرة: [٥٠].

(٤) إنجيل لوقا: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٢٠-٢٤].

(٥) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٧، ٥٨).

على ذلك بأنه أظهر الندم على هذا الذنب؛ إذ دل على إنسان بريء، ويستدل أيضًا بما كان من عيسى عليه السلام إذ وصفه بالصدقية، وهذه لا تكون مع الخيانة، وبأن عيسى عليه السلام شهد لجميع الحواريين بالسعادة، وكيف تكون سعادة لمن خان إلهه على زعم النصارى؟ أو لمن خان نبيًا على اعتقاد المسلمين؟ ولا يقال: إن دلالة على الإنسان البريء تعد خيانة، تخرجه من الصدقية، ومن السعادة؛ لأن هذه إذا قيسَت بنجاة نبي لم تكن خيانة بل هي أمانة، ودليل صدق الإيمان؛ فلأن يموت آحاد الناس خير من أن يموت نبي، وأما ندمه على دلالة، فهذا شأن أصحاب الإيمان الصادق أنهم يندمون على الذنب ولو كان صغيرًا.

ويخلص الإمام القرافي من هذا الاحتمال بإلزام النصارى بواحد من ثلاثة إلزامات، لا يقرُّ بها النصارى.

إما أن يقولوا: إن يهوذا ما دل على عيسى عليه السلام بل دل على غيره.

أو يقولوا: إن عيسى عليه السلام ما تكلم بالصدق في وصف يهوذا بالصدقية وفي وعده التلاميذ جميعهم بالسعادة الأبدية.

أو يقولوا: إن إنجيلهم محرف فتارة يخبر بخيانة يهوذا، وتارة يخبر بصدقيته، وثالثة بسعادته، فهذه أمور متناقضة، والتناقض دليل التحريف.

الاحتمال الثاني: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام، وهذا ليس ببيع في أتباع الأنبياء عليهم السلام، لا سيما أتباع الإله على زعمهم^(١).

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٨).

فالإمام القرافي في هذا الاحتمال يبين أن أحد أتباع عيسى الصادقين، هو الذي أجابهم، حتى يفدي عيسى بنفسه، وأن عيسى عليه السلام هرب مع التلاميذ لحفاء أمره عليهم، فهم لا يعرفونه وكون بعض أتباع نبي يرضى أن يسجن ويهان فداءً لنيبه، ليس ببعيد فكيف لو كان المُفْدَى ربَّ الأرباب كما يزعم النصارى؟

الاحتمال الثالث: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره وأطلقوه، وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه، فقبول الأعوان الرشوة في طلاقه أقرب^(١).

فالإمام القرافي يقول: إنه غير بعيد من أعوان الولاة القائمين بالقبض على عيسى عليه السلام أن يكونوا أخذوا رشوة في سبيل أن يطلقوا عيسى عليه السلام ليهرب، ولا يتقول ذلك على الأعوان، بل حالهم يدل على ذلك، فهم أخذوا ثوب العريان في سبيل أن يهرب مع عُريه، ولا معنى لأخذ ثوب في هذه الحال إلا أنهم طمعوا فيه.

وحال كتب النصارى تؤيد ذلك، فهم قد نقلوا أن يهوذا التلميذ الصديق المشهود له بالسعادة من عيسى عليه السلام قبل رشوة ليدل على إلهه، فلا يبعد أن يقبل الأعوان رشوة لإطلاقه ولاسيما وأنهم ليسوا صديقين كيهوذا صاحب.

الاحتمال الرابع: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن الله صور لهم شيطاناً أو غيره بصورة عيسى عليه السلام فصلبوه، ورفع عيسى عليه السلام، ويستدل

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٨).

على ذلك بأنهم سألوه: أنت المسيح؟ فسكت^(١)، يقول القرافي: وفي تلك السكتة تغيبت تلك الصورة، أي صورة كون المصلوب غير عيسى عليه السلام^(٢).

ثم ذكر أبياتًا ملزمة للنصارى وهي:

عجبي للمسيح بين النصارى	وإلى أي والـدٍ نسبوه؟
أسلموه إلى اليهود وقالوا:	إنهم بعد قتلـه صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقًا	وصحيحًا فأين كان أبوه!
حين خلى ابنه رهين الأعداء	أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟
فلئن كان راضيًا بأذاهم	فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطًا فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه ^(٣)

(١) متى: الإصحاح (٢٦)، الفقرتان (٦٢، ٦٣)، مرقس: الإصحاح (١٤)، الفقرتان (٦٠، ٦١).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٨، ٥٩).

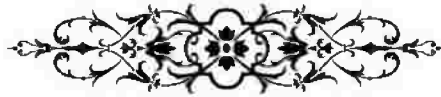
(٣) الأبيات لأبي العلاء المعري، ولكن ليست بنفس النص الذي ذكره القرافي يقول أبو العلاء:

عجبًا للمسيح بين أناس	وإلى أي والـدٍ نسبوه؟
أسلمته إلى اليهود النصارى	وأقروا بأنهم صلبوه
يشفق الحازم اللبيب على الطفل	هل إذا ما لداته ضربوه
وإذا كان ما يقولون في عيس	صحيحًا فأين كان أبوه؟
كيف خلى وليد للأعداء	أم يظنون أنهم غلبوه؟

ديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري: (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

هذا: ولم أجد أحداً من السابقين واللاحقين للإمام القرافي ذكر هذا الدليل غير أبا عبيدة الخزرجي^(١) والإمام القرطبي^(٢) وكلاهما ذكر الاحتمالات الأربعة التي ذكرها القرافي، إلا أن الإمام القرطبي ذهب إلى أن الشاب الذي أخذوا رداءه وتركوه هو عيسى عليه السلام، وذلك قوله: (وإذا جاز أن يأخذ يهوذا هو حواريه على قتله ثلاثين درهماً، جاز أن يأخذ الأعوان على إطلاقه رداء)^(٣).

والله أعلم



(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) يراجع: الإعلام: (ص ٤١٤) وما بعدها.

(٣) الإعلام: (ص ٤١٥).

obeikandi.com

المسلك الثالث

عقيدة التثليث وموقف القرايف منها

وفيه فروع:

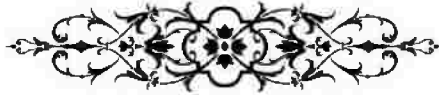
الفرع الأول: عقيدة التثليث عند النصارى.

الفرع الثاني: التثليث ليس من النصرانية في شيء.

الفرع الثالث: شبهة النصارى في إثبات عقيدة التثليث ورد القرايف عليهم.

الفرع الرابع: إبطال القرايف لعقيدة التثليث.

الفرع الخامس: قياس النصارى التثليث على الصفات الموهمة للتشبيه ورد القرايف عليهم.



obeikandi.com

الفرع الأول عقيدة التثليث عند النصارى

عقيدة التثليث من الأصول الجامعة بين جميع فرق النصارى، لا يختلف فيها اثنان منهم، يقول ابن كبر القبطي^(١): (الأصل المتفق عليه بين الطوائف المسيحية أن الله جوهر واحد، له ثلاث خواص، هي الأبوة، والبنوة والانبعاث^(٢) وكل واحد من الثلاثة هو الإله، ولكن ليس ثلاثة آلهة)^(٣).

وترجع أهمية هذه العقيدة عند النصارى أنها متصلة بذات الله تعالى فمعرفتها هي معرفة الله، يقول القس توفيق جيد: (إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها؛ لأنها تتصل بذات الله. فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها بجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله)^(٤).

كما أنه لا خلاص عندهم إلا بها.

يقول أثناسيوس^(٥) الملقب بحامي الإنجيل: (من يريد أن يخلص يجب عليه

(١) ابن كبر: أبو البركات شمس الدين بن الأسعد القبطي اليعقوبي المعروف بابن كبر كاتب السلطان بيبرس الداوداري ت/ ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م له. كشف الأسرار الخفية وأسباب المسيحية، البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، مصباح الظلمة وغيرها. معجم المؤلفين: (٤١/٣)، تاريخ الأمة القبطية: (ص ١٥٢).

(٢) الانبعاث، هو الانبثاق عند النصارى، ويعنون به أن الروح القدس صدر أو انبعث من الأب مثل انبعاث الحرارة من الشمس، والضوء من الشعاع، ينظر: التثليث والتوحيد، أمين باسيلي، وفوزي جرجس، (ص ١٤) مكتبة المحبة بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٣) ينظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ١٣).

(٤) الله واحد أم ثالث؟ محمد مجدي مرجان: (ص ١٢) دار النهضة العربية، القاهرة بدون تاريخ.

(٥) ولد بمدينة الإسكندرية سنة ٢٩٦م من ولدين مصريين وثنيين، وتوفي والده وهو صغير، دخل هو وأمه النصرانية على يد البطريك السكندروس تفوق في علوم

قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الجامع، وكل من لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله دون إفساد يهلك بلا شك هلاكًا أبديًا، والإيمان الجامع هو أن نعبد إلهًا واحدًا في ثالوث، وثالوثًا في وحدانية^(١).

بل الدخول في المسيحية لا يتم إلا بعقيدة التثليث، يقول القس توفيق جيد: (إن الدخول في المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس.. هذا الاسم اسم الأب والابن والروح القدس، ينبغي أن يوضع على كل من يلج باب الملكوت، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جبينه كل داخل إلى ملكوت السموات، سمة الثالوث الأقدس)^(٢).

مفهوم عقيدة التثليث عند النصارى:

يعتقد النصارى أن الله تعالى مكون من ثلاثة أقانيم^(٣) أقنوم الأب، وأقنوم الابن، أقنوم الروح القدس، وأن هذه الأقانيم الثلاثة ليست آلهة متعددة بل إله واحد، وهذه الأقانيم إن لم تكن متميزة بجوهرها فهي متميزة بصفاتها، فلكل منها صفة ذاتية مع جوهر اللاهوت، فالجوهر الإلهي واحد، والأقانيم ثلاثة:

=

الكنيسة، وتعمق في دراسة الكتاب المقدس مما جعل البطريرك السكندروس يختاره تلميذًا له، ثم قلد شماسًا لكنيسة الإسكندرية، ثم رئيسًا للشمامسة، ثم بطريركًا لكنيسة الإسكندرية ت ٣٧٣ م. له: الدفاع عن الإيمان الجامعي، تجسد الابن الكلمة وغير ذلك. يراجع ترجمته في: تاريخ أثناسيوس الرسول، لكامل صالح نخلة، (ص ١٢) وما بعدها، مكتبة المحبة، بدون تاريخ، تاريخ الكنيسة القبطية (١١٦) وما بعدها.

(١) تاريخ أثناسيوس الرسول (ص ١٣٦)، ويراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص ٢٤).

(٢) الله واحد أم ثالوث؟ (ص ٢٥).

(٣) الأقنوم: كلمة سريانية تعني: صفة ذاتية في الله مع جوهر اللاهوت وهي اسم مشترك، تارة يشار به إلى الأب، أو إلى الابن، أو إلى الروح القدس، يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة (ص ٨) التثليث والتوحيد: (ص ١٤).

أقنوم الأب هو جوهر اللاهوت مع صفة الأبوة.

أقنوم الابن هو جوهر اللاهوت مع صفة البنوة.

أقنوم الروح القدس هو جوهر اللاهوت مع صفة الحياة.

والأبوة عندهم غير البنوة، غير الحياة، والثلاثة في واحد، ويقولون: الله الأب موجود بذاته، ناطق بابنه -أي كلمته- حي بالروح القدس، والله الابن ناطق بذاته مولود من الأب ولادة غير طبيعية كولادة الحرارة من الشمس حي بالروح القدس.

والله الروح القدس حي بذاته، ناطق بالابن، منبعث من الأب، فالله هو الأب، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، والله واحد موجود حي ناطق^(١).

والأقانيم الثلاثة متحدة -عندهم- بدون اختلاط، ولا تركيب؛ لأن المركب يمكن أن ينقسم. وكل واحد من الأقانيم الثلاثة هو في الآخر، وهم إله واحد.

ويقسون ذلك على الشمس، فالشمس عندهم تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء: هي جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع والجرم، والكل شمس واحدة، ويقسونه على التفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة، وإن كانت التفاحة واحدة، فالرائحة غير الطعم والذات، والذات هي علة الطعم والرائحة، وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الأب بدون الابن والروح

(١) يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ٧)، التثليث والتوحيد: (ص ١٢، ١٣).

القدس^(١).

فالله عند النصارى واحد ذو ثلاث صفات، وهذا الكلام يمكن قبوله وإن كان فيه نكارة لإطلاقه لفظ الأقنوم على الله مع أنه لم يرد بذلك نص، ولا من كتب النصارى أنفسهم، كما أن فيه أيضًا حصر صفات الله تعالى في ثلاثة - لأن فيه رائحة التوحيد.

إلا أن النصارى ينقضون قولهم: الله واحد ذو ثلاث صفات بتوظيفهم لكل صفة أو أقنوم وظيفة خاصة به، لا يتعدها إلى غيرها، وهذا معناه أن الثلاثة ليست متحدة كما قالوا، بل كل واحد بذاته.

فالله الأب جعلوه مصدر العدل، والله الابن جعلوه مصدر الرحمة والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة، فمن يريد العدل فليتجه إلى الأب، ومن يرجو الرحمة فليتوسل إلى الابن، ومن يطلب النعمة فليتهل إلى الروح القدس.

والله الأب ينسب إليه الخلق والتبني، وأما الله الابن فينسب إليه فداء البشرية، وغفران الخطايا والذنوب، وأما الله الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثاني، والحياة الطاهرة للبشر، وتقديس النفوس.

ومعنى ذلك: أن الله الأب لا يستطيع غفران الذنوب، وأن الله الابن ليس من اختصاصه تقديس النفوس، وأن الروح القدس لا يملك الخلق يقول القس توفيق جيد: (إن عملية خلاص الإنسان التي هي قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان، تفترض حاكمًا وقاضيًا، وتتطلب مخلصًا وفاديًا، وتستلزم مقدسًا ومحيا،

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص ٢٥، ٣٠، ٣١)، خلاصة الأصول الإيمانية: (ص ١٠) وما بعدها، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: (٤/٥٩)، الله واحد أم ثلوث؟ (ص ١٦).

إنها تفترض حاكمًا وقاضيًا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطئ، ومن يكون ذلك الحاكم القاضي سوى الأَقنوم الأول في اللاهوت، (الله الأب؟).

وتتطلب مخلصًا وفاديًا يرفع الحكم عن الإنسان الشقي، ومن يكون ذلك المخلص الفادي سوى كائن إلهي مثله، ذلك الكائن هو الأَقنوم الثاني في اللاهوت (الله الابن؟)، ثم إن عملية الخلاص تستلزم مقدسًا ومحبيًا، محبيًا يخلق من الإنسان الخاطئ إنسانًا جديدًا في البر وقداسة الحق، ومقدسًا يعيد للإنسان الفاسد صورة القداسة المفقودة، ومن يكون ذلك المقدس المحيي سوى كائن إلهي قادر على كل شيء؟ هو الأَقنوم الثالث في اللاهوت أي روح القدس...

وتأسيسًا على هذا التقسيم لوظائف الألوهية وصفاتها بين هذا الثالوث الإلهي، ليتم التعاون بين الآلهية، ويساعد كل إله زميله في العمل، فلا يمس أحدهم تعب أو لغوب، قام المسيحيون بتقسيم الصلاة الربانية وهي التي يفتح بها المسيحيون صلاتهم اليومية قسموها إلى دعوات ثلاثية يبتهل بها المسيحي إلى الثالوث الإلهي ويختص كل أقنوم منها بابتهاال معين لا يقدمه إلى الأَقنومين الآخرين وذلك الآتي:

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك (توسل إلى الأب مصدر العدل).

ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة).

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة).

خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم^(١) (توسل إلى الأب)^(٢).

(١) إنجيل متى: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٩-١٢].

(٢) ينظر: الله واحد أم ثالث: (ص ٢٧-٣٠).

وإذا قيل لهم: لماذا كانت الأقانيم ثلاثة فقط ولم تكن أكثر من ذلك ولا أقل؟ فإنهم يقولون: (إن جميع المكونات في الدنيا: إما واحد كالشمس أو اثنان مثل الهيولي^(١) والنوع، وإما أقانيم كثيرة مثل الكواكب والبشر، ولو قيل: إن الله أقنوم واحد، لقيل: إن الشمس نظيره، أو أقنومان، لقيل: إن الهيولي والنوع نظيره، وسر الثالث ليس له شبيه)^(٢).

يقول النصارى ذلك وينسون أن الله ليس له نظير، وطردًا لكلامهم فالإنسان نظير الله - تعالى الله عن ذلك - عندهم لأنهم يقولون: إنه مكون من أقانيم ثلاثة: الذات، والكلمة، والحياة، حتى إنهم يستدلون على التثليث بمكونات الإنسان^(٣) والشمس نظير الله؛ لأن الشمس جرم واحد له ثلاث أقانيم كما سبق في كلامهم. وكذلك التفاحة.

والنصارى في تعليلهم هذا يجعلون عقولهم وراء ظهورهم؛ لأن الأقانيم عندهم صفات وليست ذواتًا، فالقول بوحدانية الله تعالى لا يوقع في المشابهة بالشمس؛ لأن الشمس ذات وليست صفة، والعجيب أنهم ينفون وحدانية الله حتى لا يشابه الشمس، ويقربون التثليث إلى العقول بالقياس على

(١) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية، والنوعية، ووجود هذا الجوهر إنما هو بالفعل، ويحصل بقبوله الصورة الجسمية، فهو كقوة قابلة للصورة، وليس له في ذاته صورة إلا بمعنى القوة. يراجع: الحدود للإمام الغزالي حقه ونشره د/ عبد الأمير الأعسم، وحقق معه مجموعة رسائل في الحدود الفلسفية ونشرها في كتاب سماه: المصطلح الفلسفي (ص ٢٩١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ٢٠٠٦ م. ويراجع: التعريفات: (ص ٣١٩)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٧٤٥).

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ٩).

(٣) يراجع: الله واحد أم ثالث؟ (ص ١٤).

الشمس فأين عقولهم؟

ثم إنهم في التعليل السابق يجعلون الموجودات ثلاثة أقسام، إما واحداً، وإما اثنين وإما ثلاثة. وكان سياق الكلام يقتضي: أن الله تعالى إن لم يكن واحداً، ولا اثنين، فأقانيم كثيرة.. وليست ثلاثة.

ويقول القس عوض سمعان ذاكراً تعليلاً آخر لكون الأقانيم ثلاثة: (إن العدد ثلاثة هو أول عدد فردي كامل بحيث لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة، ويستطرد قائلاً: إن الإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية، وكذلك الله مكون من ثلاثة أقانيم وفي الاستدلال على أهمية العدد يقول: إن الأمثال العامة تقول: الحبل المثلوث لا ينقطع، والمرة الثالثة ثابتة من أجل هذا يكون الله مكوناً من ثلاثة أجزاء^(١).

ولا ريب أن هذا التعليل يتوجه إليه النقد بالتعليل السابق إذ كيف يشبه الله عز وجل شيء من خلقه إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً؟ وكيف يستدل على عقيدة هي من أصول العقائد النصرانية بأمثال عامة؟ وهل كانت الأمثال طريقاً لإثبات العبادات فضلاً عن العقائد؟ وإذا سئل النصارى هل الله ثلاثة آلهة مستقلة أم هو إله واحد؟ فإنهم يقولون كلاماً غير مفهوم، يقول أثناسيوس: (الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً في ثلوث، وثلوثاً في وحدانية، لا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر، فإن للأب أقنوماً على حدة، وللابن أقنوماً على حدة، وللروح القدس أقنوماً آخر على حدة، ولكن لاهوت الأب والابن والروح القدس كله واحد، والمجد متساوٍ والجلال أبدي معاً.

(١) ينظر: الله واحد أم ثلوث؟ (ص ٣٤).

وكما هو الأب كذلك الابن وكذلك الروح القدس، فالأب غير مخلوق والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق، والأب غير محدود، والابن غير محدود والروح القدس غير محدود، ولكن ليس ثلاثة سرمديين بل سرمدي واحد، وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود، كذلك الأب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل، ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل بل واحد ضابط الكل.

فالأب إله والابن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة إلهة بل إله واحد، كذلك الأب رب والابن رب والروح القدس رب ولكن ليس ثلاثة أرباب بل رب واحد... الخ^(١).

ولا شك أن هذا الكلام لا تتقبله العقول، إذ كيف يكون الثلاثة غير مخلوقين، وليس غير مخلوق إلا واحد؟ وكيف يكونون غير محدودين الثلاثة وغير المحدود واحد؟ وكيف يكون الثلاثة آلهة وأرباباً غير محدودين وليس الإله الرب غير المحدود إلا واحداً؟ وكيف يكون الواحد في ثلاثة، والثلاثة في واحد؟ فبأي حساب حسب النصارى، لعل لهم قواعد حسابية خاصة بهم، فالقواعد الحسابية الأولية عند جميع الناس أن $١+١+١=٣$ أما عند النصارى فـ $١+١+١=١$!

ولعل عقولنا نحن قاصرة عن فهم هذا الكلام وعقيدة التثليث ككل، مما يجعلنا نضطر إلى مسألة النصارى هل تفهمون عقيدة التثليث، وكانت الرغبة في أن يجابوا بالإيجاب حتى يقربوا هذه العقيدة لعقولنا؛ ولكن الرغبة باءت بالخيبة، فوجدناهم يقولون إن هذه عقيدة صعب فهمها، وهي فوق العقول،

(١) تاريخ أثناسيوس الرسول: (ص ١٣٤، ١٣٥).

وهذه أقوال علمائهم:

يقول القس حبيب سعيد: (يجب أن نميز بين ما هو فوق طاقة العقل، وبين ما هو ضد العقل فعقيدة الثالوث ليست ضد العقل بل فوق العقل)^(١).

ويقول القس توفيق جيد: (إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه).

ويقول القمص باسيليوس إسحاق: (إن هذا التعليم عن الثالوث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله).

ويقول الأستاذ يس منصور الذي كان واعظاً للأقباط بالإسكندرية: (إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة).

ويقول القس عوض سمعان: (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك، ولكنه يتوافق مع كمال الله كل التوافق)^(٢).

وإذا كانت عقيدة التثليث فوق إدراك العقول، فكيف تعبد الله النصارى بها، والله تعالى لا يأمر باعتقاد ما لم يدرك بالعقول؟ والعقول هي مناط التكليف، فكيف يحاسب الله النصارى يوم القيامة على شيء لم تفهمه عقولهم، والله عز وجل رفع التكليف عن البهائم لعدم وجود عقل لها يميز أو يدرك حقائق الأمور؟ أفلا يرفع الله تكليف النصارى باعتقادهم التثليث؛ لأن العلة جامعة؟ أو يحاسب الله البهائم على ما يصدر عنهم من أفعال ما دام الله سيحاسب النصارى على ما لم تدركه عقولهم؟

(١) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس: (ص ٤٣٣).

(٢) الله واحد أم ثالوث؟ (ص ٧١، ٧٠).

وإنه لأمر عجيب أن لا يفهم علماء النصارى وأصحاب الدين عندهم حقيقة التثليث، فكيف بالعامّة، والبسطاء من الناس؟!

يقول محمد مجدي مرجان الذي كان شماساً فأسلم -في كتابه «الله واحد أم ثالث؟»: (وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فبماذا يا ترى يمكن إدراكها؟ هل يطلب منا دعاة الثالث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالث؟ وإذا كنا جميعاً نحن وهم لا ندرك هذا الثالث فكيف يمكن لأي منا أن يتبعه أو يسير عليه؟^(١))

ولكن: لماذا شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث، أو على الأقل يجتهد بعضهم في بيان أنه لا منافاة بينهما؟

لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم، وهي تصرح بالتوحيد وتدعو إليه، وتحث عليه، وتنهاي عن الشرك بكل شعبه، وكل أحواله، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا، وحيثما ثقفوا^(٢) ولذلك هم يجتهدون في استنباط نصوص من التوراة يحملونها الإشارة إلى التثليث^(٣)

(١) الله واحد أم ثالث؟ (ص ٧١)، وينظر: خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة: (ص ١١).

(٢) سفر الخروج: الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١-٥]، سفر اللاويين: الإصحاح: [١٩] الفقرتان: [٣، ٤]، والإصحاح: [٢٦] الفقرة: [١]، سفر التثنية: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٦-٩].

(٣) جاء في سفر التكوين في الإصحاح الأول الفقرة [٢٦]: [لنضع الإنسان على صورتنا كمثالنا] وجاء فيه أيضاً في الإصحاح الثالث الفقرة [٢٢]: [قال الرب هوذا آدم قد صار كواحد منا].

يقول مؤلف كتاب التثليث والتوحيد الأستاذ/ فوزي جرجس محاولاً الاستدلال بهذين النصين على عقيدة التثليث: (والتعبير بصيغة الجمع في [لنضع، كواحد منا] يدل على أن المتكلم أكثر من أقنوم ذلك لأن العهد القديم كتب باللغة العبرية، وهي لا تعرف فيها

ويحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوجدانية لتلتقي التوراة مع الإنجيل فهم يقربون التوراة إليهم بتحميل عبارتها ما لا تحتمل، ويقربون عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك^(١).

والله أعلم



صيغة الجمع إلا للجماعة، وليس للمتكلم المعظم نفسه كما في اللغة العربية: يراجع: (ص ٢٥، ٢٦) ويراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٥٥)، والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د/ عبد الكريم الخطيب، (ص ٢٧٠) وما بعدها، دار الكتب الحديثة، مصر، ط/ الأولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية: (ص ٩٥).

الفرع الثاني

التثليث ليس من النصرانية في شيء

إن اعتقاد كون الإله واحداً ذا ثلاثة أقانيم، وجد قبل المسيحية بأمدٍ بعيد فهو موجود عند المصريين القدماء، وعند الهنود، وعند اليونانيين، وعند غير هؤلاء، ولا ريب أن هؤلاء الأقوام لهم حضارات عريقة قبل قيام المسيحية.

وسوف أعرض إن شاء الله تعالى وجهة نظر كل من المصريين، والهنود، و اليونانيين في آلهتهم، وأدع العرض بين لنا هل ثم تشابه بين عقيدة هؤلاء الأقوام وبين تثليث النصارى أو لا، فإن وجد تشابه؛ فإن العقل السليم، والفكر المستقيم يشهدان أن تثليث النصارى مستقى من فكر هؤلاء الأقوام، والذي يدفعهما إلى هذه الشهادة، ما هو معروف من وجود السبق الزمني لهؤلاء الناس، ولا ريب أن السابق -عند اتحاد الفكر- استناد اللاحق في أغلب الأحيان.

الثالوث المصري:

تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تماماً للثالوث المسيحي، سواء في عدد الأقانيم، أم في خاصية كل أقنوم، ويتكون الثالوث المصري من ثلاثة أقانيم إلهية، وهي:

الإله أوسيري: ويسمى بـ«الآب أو الوالد».

الإله هور: ويسمى الابن أو النطق، أو الكلمة.

الإله إيس: وتسمى الأم أو الوالدة.

والإله أوسيري هو الإله الأكبر العظيم، علة ولادة الأَقنوم الثاني هور، وخالق كل المخلوقات، وحاكم الأزلية، ورب الأرباب.

والإله هور، هو ابن الإله أوسيري، وهو النور والشمس المشرقة، وهو إله

النطق والكلام ولد من نور اللاهوت، من عجلة بكر لم تلد سواه، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم، وهو غير الأقنومين الآخرين، تشبه وحده بإنسان ليكون قابلاً للموت، ولذلك شبهوه بالثور^(١).

وإن أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هو قولهم بلاهوت الكلمة وإن كل شيء صار بواسطتها، وإنها أي الكلمة منبثقة من الله، وإنها الله.

والإله إيس: هو الأقنوم الثالث، الذي ولد الأقنوم الابن هور، وقد رمزوا لهذا الإله بصورة طائر جميل يشبه العصفور، والمعروف عن الروح القدس أنه مصدر الحياة عند أصحاب الثالث.

هذا: وقد أكد العلامة جارسلاف كريني أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتابه: «ديانة قدماء المصريين» وجود التماثل والتطابق التام بين الثالث المسيحي والثالث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالث المسيحي مأخوذ عن الثالث الفرعوني^(٢).

الثالث الهندي: كانت عقيدة الهنود القدماء أن الإله واحد ذو ثلاثة أقانيم وقالوا عن هذا الإله: إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه ثم يهلكه، ويرده إليه ويطلقون على التثليث عندهم (ترى مورتى) أي الثلاث هيئات، أو الثلاثة أقانيم.

(١) جاء في إنجيل يوحنا تشبيه عيسى عليه السلام بالخروف الذي يحمل خطايا العالم. وهذا تشبيه بما جاء في الثالث المصري من تشبيه هور بالثور الذي يحمل خطايا العالم. يراجع: إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١] الفقرة: [٢٩].

(٢) ينظر: الله واحد أم ثالث؟ (ص ٧٨) وما بعدها، عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها، د/ فضلون محمد محمد مصطفى، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، بقنا، العدد السادس، (ص ٤٠٧) وما بعدها.

وقانون الإيمان الهندي أساسه التثليث، وهذا نصه: (نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد أي النار نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح الحي المنبثق من الآب، والابن، الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد^(١)).

وإذ ذكر قانون الإيمان المسيحي علم مدى تأثير المسيحية بالهنود، وقانون الإيمان المسيحي بإيجاز: (نؤمن بإله واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد، ويسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الابن يسجد له، ويمجد^(٢)).

ويبدو أن قانون الإيمان الهندي الذي ذكر هو قانون أكثر الهنود، لأن هناك طوائف في الهند أخرى تؤمن بثالوث آخر، وهو الإله براهما في صورة الخالق، والإله فشنو في صورة الحافظ، والإله سيفا في صورة الهادم^(٣).

الثالوث اليوناني:

لقد كان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح، يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع، ويعتقدون أن الحكماء قد صرحوا أن كل

(١) ينظر: الله واحد أم ثالوث؟ (ص ٨١)، عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها: (ص ٩).

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ١١٢)، الأمور المتيقنة عندنا: (ص ١٠١، ١٠٩).

(٣) يراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص ٨٢)، المسيحية: (ص ١١٩).

الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، ولهم اعتناء تام بالعدد ثلاثة في كافة أحوالهم الدينية، ويعتقدون أن كل الأشياء عملها الإله الواحد بمثلث الأقانيم^(١).

وبعد:

فقد استبان من هذا العرض أن ثالث النصارى موجود عند غيرهم من السابقين، وهذا يؤكد تسرب هذه العقيدة إلى النصارى من عند غيرهم.

ولكن، قد يعرض سؤال: كيف تسربت الوثنية إلى المسيحية وهي رسالة سماوية؟ وكيف أثرت فيها، وكان الأولى أن تؤثر المسيحية وقد نزلت من السماء في الوثنية فتمحوها؟

والجواب: أن سيدنا عيسى عليه السلام بعثه الله إلى بني إسرائيل داعياً إياهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من شرور وآثام، ورغم ما بذله عيسى عليه السلام من جهود في نشر دعوته بين اليهود، وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضاً خصبة، ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل، وأما معظم الشعب اليهودي فقد أنكروا نبوته ورسالته، بل تعدوا ذلك إلى الطعن في نسبه وشخصه، ورموه وأمه بأقبح الصفات، ثم دبوا مؤامرة لصلبه، لولا أن أحبط الله مؤامرتهم، وقد مضى عيسى عليه السلام إلى ربه غاضباً على شعبه الذي لم يؤمن برسالته، وبعد عيسى عليه السلام اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها.

ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب

(١) عقيدة التثليث عند النصارى: (ص ٤١١، ٤١٢).

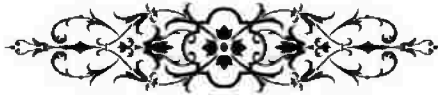
الوثنية، وخوفًا من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود اضطر المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات، والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية.

ولقد تحول فعلاً إلى المسيحية كثير من الوثنيين، ولكنهم نقلوا إليها أيضًا مزيدًا من العادات والشعائر الوثنية، واضطر الحواريون والمبشرون المسيحيون إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها، ولعلهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح.

ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث هو عكس ما توقعه هؤلاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية، وطمس جوهر الرسالة السماوية التي أتى بها عيسى عليه السلام.

ولكن تسرب عقائد الوثنيين إلى المسيحية مع المنتصرين من أهل العقائد الوثنية كان يمكن أن تقاومه العقيدة المسيحية، لولا ما فعله بولس من تحويل النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ولقد ساعده على ذلك ما كان من موروثات عند الوثنيين المنتصرين، وهم كثير^(١).

والله أعلم



(١) يراجع: الله واحد أم ثلاث؟ (ص ٨٢) وما بعدها، المسيحية (ص ١٢٠).

الفرع الثالث شبهة النصارى في إثبات عقيدة التثليث ورد القرافي عليها

أولاً: شبهة النصارى:

يقولون: لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا فإن مرادنا بالآب الذات، وبالابن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وبروح القدس الحياة، والثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون، ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى عليه السلام: «اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»^(١).

وفي أول القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم، فاقصر على هذه الثلاثة، الآب، والابن وروح القدس^(٢).

ونريد بقولنا: المسيح ابن الله: أنه مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله ناطقاً، ثم أرسل الله -تعالى- نطقه من غير مفارقة الآب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد

(١) متى: الإصحاح: [٢٨] الفقرة [١٩].

(٢) يوضح القمص إسحاق باسيلوس استدلال النصارى بالبسملة على التثليث فيقول: (إن البسملة الإسلامية تؤيد التثليث، فالله هو الآب، والرحمن هو الابن، والرحيم هو الروح القدس).

ومما يدفع هذا الاستدلال: أنه لو كانت كل صفة وصف بها الله تعالى في القرآن الكريم، يستدل بها على وجود أقنوم كما فعل هذا القمص، فإنه يمكن أن يستدل بالقرآن ليس فقط على التثليث، بل على التسبيع، وذلك بما ورد في أول سورة غافر: ﴿حَمْدُكَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١، ٣] يراجع: الله واحد أم ثلوث؟ (ص ٥٣).

له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له، فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم رضي الله عنها، وولد منها بالطبيعة البشرية، لا بالإلهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله لا نريد بنوة بشرية، وأن له والدًا من صاحبة.

وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق، كقوله تعالى: ﴿وَوَالِدًا وَلَدًا﴾ [البلد: ٣] وكذلك سمي القرآن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته واسمه عيسى^(١) فيكون الخالق واحدًا وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطة الثوب، ولا يلزم أن يكون خيط الثوب خياطان، بل خياط واحد، كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة كما لا يلزم إذا قلنا: عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي^(٢).

يلاحظ في هذه الشبهة ما يلي:

١- اعتماد النصارى على مسلمة المسلمين في إقناعنا بعقائدهم، فهم يقولون: كما أن المسلمين يعتقدون أن الله واحد، له صفة الكلام وصفة الحياة، فكذلك نحن -أي النصارى- نعتقد أن الله واحد -ناطق، حي، فإن قلتم بالتثليث قلنا به، وإن قلتم بالتوحيد قلنا به، فكما أنكم أيها المسلمون لا تقولون بثلاثة آلهة، فكذلك نحن -النصارى- نقول هو واحد ذو صفتين أو أقنومين.

وغاب عن النصارى أو تناسوا أن المسلمين لا يقولون: إن الحياة،

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٣، ٣٤).

والكلام أقنومان قائمان بذات الله كما يقول النصارى: وأيضًا لا يحصر المسلمون الصفات في صفتي الحياة والكلام كما فعل النصارى، ومن هنا لا يصح قياسهم عقيدتهم على عقيدة المسلمين.

٢- كما أنه يلاحظ في الشبهة محاولة لي نصوص القرآن الكريم في استدلالهم على عقيدتهم، وهم ييغون بذلك فضلًا عن الاستدلال على عقيدة التثليث جذب عدد من المسلمين ضعيفي الإيمان إلى ضلالهم.

٣- يلاحظ أيضًا أنهم يأخذون من نصوص القرآن الكريم ما يلائم غرضهم، ويتركون الحق الواضح الذي يدفع ما يقولون، وإن كان في نفس النص الذي يستدلون به. فهم يستدلون على التثليث بتسمية عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه وينسون ما صرحت به الآية من التصريح برسالته.

٤- ويلاحظ أنهم يقولون: إن ولادة الابن من الآب إنما هي من غير مفارقة كولدادة شعاع الشمس من الشمس من غير مفارقة القرص، وكولدادة الكلام من العقل من غير مفارقة الكلام له، ونسوا أنهم يقولون: إنه اتحد بمريم عليها السلام، فكيف يكون اتحد بمريم من غير مفارقة الآب له، والآب في السماء ومريم في الأرض؟

وإذا لم يفارق الآب فهذا يعني أن الآب كان متحدًا بمريم مع الابن مع أن النصارى لا يقولون بذلك.

٥- ويلاحظ أيضًا: أنهم يستدلون على نفي تعدد الآلهة بالخياط الذي يحيك الثوب بيده، فكما أنه لم يقل أحد: إن الخياط أخاط، وإن اليد أخاطت: إذن هما خياطان، فكذلك لا يصح أن يقال: الله إله، والابن إله، والروح القدس إله فهو كالخياط.

وقد غاب عن النصارى أنهم يقولون في قانون الإيمان المسيحي: الآب إله

تام، والابن إله تام، والروح القدس إله تام، فكيف يكون كل واحد إلهًا تامًا ويقال: هم واحد كحال الحياط؟

ثانيًا: رد الإمام القرافي:

١ - يرد الإمام القرافي على قول النصارى: (مرادنا بالآب الذات، وبالابن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وبروح القدس: الحياة، والثلاثة إله واحد) بأنه لو كان المعنى كما تقولون، فإننا لا ننازع في هذا المعنى، وإنما المنازعة بيننا وبينكم في إطلاق هذه الألفاظ على الله تعالى، فإن هذا الإطلاق منكر؛ لأنه لم يأت به دليل عن الله تعالى وذلك قوله: (أما قولهم: نريد بالآب: الذات، وبالابن: النطق، وبروح القدس: الحياة فلا كفر فيه، وإنما الإطلاق منكر)^(١).

وإذا نظرنا في كلام السابقين فلا نجد إلا ابن حزم ينازع النصارى في هذا الإطلاق مبينًا لهم أنه لأي سبب سمي الله أبًا، وعيسى ابنًا، ما دام النصارى يقولون بأولية كل، إذا النصارى رجحوا بدون مرجح؛ لأن جعل الله أبًا، فهذا معناه أنه أعلى رتبة من الابن، فكيف يكون ذلك وهما أزيان عند النصارى؟ وذلك قوله: (أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبًا، والثاني يسمى ابنًا، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وإن كل واحد منها هو الآخر فالآب هو الابن، والابن هو الآب وهذا عين التخليط)^(٢).

وإذا جئنا إلى اللاحقين، فنجد الإمام ابن تيمية لا يرضى بتسمية حياة الله روحًا فيقول: (إن تسمية حياة الله روحًا) أمر لم ينطق به شيء من كتب الله

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٥٠).

المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم^(١).

ونجد الألوسي لا يرد عليهم معنى قولهم بالأب والابن والروح القدس ما دام واحداً ثلاث صفات، وإنما ينازعهم من جهة الإطلاق اللفظي سمعاً، فهو لم يرد به نص من جهة الشرع، ولذلك لا يصح إطلاقه^(٢).

٢- أما ما اعتمدوا عليه من الإنجيل، فأجاب عنه الإمام القرافي أنه قد بين لهم أن إنجيلهم ليس شيئاً يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق بشيء منه في الدين، فلا يكون حجة^(٣).

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإننا نجد الإمام القرطبي يجب عن استدلالهم بالإنجيل بقوله: (يجب علينا أن نتوقف في أخباركم، ولا نقطع بتصديقكم، ولا بأكذابكم بل نقول ما أمرنا به الرسول، وبلغنا على السنة النقلة العدول: «آمنا بالله ورسله»^(٤) فإن صدقتم لم تكذبكم، وإن كذبتم لم نصدقكم، ثم بين أنه في حالة التسليم بذلك، فإن هذا يفهم منه أن رسالة عيسى عليه السلام لجميع الأمم وليس الأمر كذلك^(٥).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٩٤ / ٢).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح: (٨٢ / ١).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٤).

(٤) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه عن أبي أنملة الأنصاري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله ورسوله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه، وإن كان حقاً لم تكذبوه» سنن أبي داود: ك العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، حديث رقم (٣٦٤٤) (٢ / ٣٤٤).

(٥) لم يبعث عيسى عليه السلام - بنص الإنجيل - إلا لبني إسرائيل، فقد جاء في إنجيل متى لما أرسل تلاميذه الاثنى عشر أوصاهم قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» متى: الإصحاح [١٠] الفقرتان: [٥، ٦].

- ثم بين أن هذا النص (باسم الأب والابن والروح القدس) يحتمل وجوهًا:
- ١- إما أن يكون المعنى على حذف مضاف، كما نقول: امش على اسم الله، أي على بركة اسم الله، وعليه فالمضاف المحذوف من مادة (ترك) أي عمدوهم على تركهم هذا القول.
 - ٢- وإما أن يكون أراد بالآب: الملك الذي نفخ في أمه مريم، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن نفسه -عيسى عليه السلام-؛ إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له مثابة النطفة في حق غيره.
 - ٣- أو يحتمل -إن صح عن عيسى عليه السلام- أنه كان يطلق على عيسى لفظ الابن، أن يكون مراده: أنه ذو حفظ له وذو رحمة وحنان عليه وعلى عباده الصالحين فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار.
 - ٤- ويحتمل أن يكون تجوز بإطلاق هذا اللفظ على الله تعالى؛ لأنه معلمه وهاديه ومرشده كما يقال: المعلم أبو المتعلم.
- ثم بين أنه إذا احتمل النص هذه التأويلات كان من التشابهات، وإذا كان من التشابهات فلا ينبغي أن يصار إليه في الاحتجاجات وخصوصًا في الاعتقادات^(١).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا الألوسي والباجي زاده، يتناولان نص النصارى المستدل به بالنقد، أما الألوسي فقد بين في نقده أن هذا نص به احتمالات كثيرة وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل سقط به الاستدلال فيحتمل -على تقدير صحة الرواية- أن يراد بالأب: المبدأ فإن القدماء كانوا

(١) يراجع: الإعلام: (ص ٦٤-٦٧).

يسمون الباري بالآباء، ومن الابن: الرسول، وسمى بذلك تشريفاً وتكريماً أو سمي ابناً باعتبار أنهم يسمون الآثار أبناء، أو سمي ابناً لأنه حبيب الله تعالى، ويحتمل أن يراد بروح القدس جبرائيل عليه السلام وعليه يكون المعنى: عمدوا ببركة الله تعالى ورسوله والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم^(١).

وأما الإمام الباجي زاده فقد بين أنه قد جاء عن عيسى عليه السلام أنه أخبر بأن الله واحد ولم يقل أنه ثلاثة^(٢) وهذا يناقض ما يستدل به النصارى، ويبين أيضاً أنه لو صح هذا النص لزم عنه أن عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء ماتوا كافرين، لأنهم كلهم موحدون ولم يؤمنوا بالتثليث، ويؤيد هذا في حق عيسى ما جاء عنه من التصريح بوحدانية الله تعالى.

ثم بين أن وجود هذا النص في إنجيل متى، دليل على أن هذه الأناجيل مصطنعة وذلك قوله: (على أن وصية التعميد بالتثليث وحدها تكفيها بأن هذه الأناجيل مصطنعة، لأن يحيى عليه السلام صرح بأن عيسى عليه السلام سيعمد بروح القدس^(٣) وكذلك متى ومرقس ولوقا ويوحنا اتفقوا وصرحوا في أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط^(٤) والمترجم المختلس لإنجيل متى افترى وذيل ترجمته وقال في آخرها: إن

(١) ينظر: الجواب الفسيح: (١/ ٩٧).

(٢) جاء في إنجيل متى: الإصحاح [٢٣] الفقرة [١٠] قول عيسى عليه السلام: (ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات)، وفي الإصحاح: [١٢] الفقرة [٢٩] من إنجيل مرقس: [إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد].

(٣) متى: الإصحاح: [٣] الفقرة: [١١]، إنجيل يوحنا الإصحاح: [١] الفقرة [٣٤].

(٤) لم أجد في الأناجيل الثلاثة الأول التعميد من التلاميذ بروح القدس فقط، بل جاء في إنجيل متى التعميد اسم الأب والابن والروح القدس، الإصحاح [٢٨]، الفقرة [١٩]

المسيح قبل الرفع أوصى التلاميذ بأن يعمدوا باسم (الأب والابن وروح القدس) فتبين ببديهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية من المترجم وإلا فلا يتصور أن متى يروي روايتين مخالفتين بإنجيله بأن واحد^(١).

٣- وأما استدلالهم بالبسملة على التثليث فقد أجاب عنه الإمام القرافي بأنه قياس مع الفارق فلا يصح؛ لأن النصارى يقولون: إن أقنوم الابن صادر عن الذات، وأقنوم الروح القدس منبثق من الذات بخلاف المسلمين، فإننا نعتقد أن الله تعالى له صفات الكمال، والتي منها صفة القدرة، اللازم عنها صفتا الرحمن الرحيم، فهما صفتان صادرتان عن صفة القدرة التي هي صفة أزلية وليستا صادرتين عن الذات مباشرة، وبذلك كان الفرق بين قولنا وقولهم، وهذا ما ذكره القرافي في قوله: «وأما ما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم، فتفسيركم له غلط وتحريف كما فعلتم في الإنجيل؛ لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم بل هو تحريف منكم للقرآن».

ثم بيّن الإمام القرافي أنه إذا لم يصح اعتمادهم على إنجيلهم، ولا على قرآننا،

ولم يذكر مرقس بأي شيء يكون التعميد [مرقس الإصحاح: ١٦] الفقرة [٦] ولم يذكر لوقا التعميد أصلاً [لوقا: الإصحاح [٢٤] الفقرات [٤٤-٥٠]] وجاء في إنجيل يوحنا: [فقال لهم يسوع أيضًا: سلام لكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا اقبلوا الروح القدس] يوحنا: الإصحاح [٢٠] الفقرتان: [٢١-٢٢] وليس في نص يوحنا تصريح بأمر عيسى التلاميذ بأن يعمدوا بالروح القدس فقط، فلعل الباجي اطلع على نسخ أخرى فيها تصريح بذلك.

(١) يراجع: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٥٦).

فإنه حينئذ يكون ما أطلقوه على الله تعالى حراماً حيث إنهم أطلقوا على الله تعالى ما لم يرد به نص، وذلك قوله: «وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق، فإن إطلاق الموهومات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم، فكتبت عصاة بهذا الإطلاق»^(١).

هذا: ولم نجد ردّاً على استدلالهم بالبسملة على التثليث لأحد من السابقين أو اللاحقين - على ما تحت يدي من كتب - إلا عند الألوسي، وقد ذكر نفس تفنيد الإمام القرافي^(٢).

٤ - أما قولهم: (المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وإنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً) فقد أجاب عنه القرافي: بأنه كلام غير معقول ولا مسلم به، وعلى فرص التسليم به، فإن فيه قلباً للحقائق، أو إبطالاً لاعتقاد النصارى ببنوة عيسى عليه السلام التي هي واحد الثالوث، ذلك لأن النطق صفة من الصفات ومعانٍ فلو قال النصارى: إن النطق الذي هو معنى، هو ابن الله تعالى الذي هو عيسى، فقد قلبوا الحقائق، وأتوا بما ليس مقبول، لأنه يلزم على ذلك أن يكون المعنى صار جسداً وصلب وقتل وهذا لا يعقل.

وإن قالوا: إن المراد بكونه نطقاً أن الله أخبر عن وجود عيسى عليه السلام في الأزل عن طريق نطقه فقد شارك عيسى في هذه الخاصية سائر الخلائق وعليه فتكون سائر الخلائق أبناء الله تعالى، ولا متمسك للنصارى حاليئذ في قولهم ببنوة المسيح، وإن قصدوا معنى ثالثاً فليقولوه، وهذا قول القرافي: «هذا كلام غير

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٤، ٣٥).

(٢) يراجع: الجواب المسيحي (١/ ١٥٨).

معقول أصلاً إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر، وتقديره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى - وقد سلمتم ذلك - فهو من المعاني لا من الأجسام بل هو كالعلم والحياة والإرادة، فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان، وكما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعاماً، والرائحة تكون لوناً، كذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً، وإن أردتم أنه لم يزل نطقاً أي لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام في أزله فهو صحيح مقصود؛ لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودة والمعدومات، الماضيات والحاضرات والمستقبلات، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود؛ فإن خبر الله كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود وكل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقاً بهذا التفسير، فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى، ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود في ذلك، بل ولا على شيء من الحشرات، وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه، فظهر أن أحد الأمرين لازم، وهو إما إبطال مذهب النصارى أو يكون كلامهم غير معقول».

وذكر القرافي احتمالاً آخر فقال: «وإن أردتم أن الله تعالى خلق في المسيح نطقاً بما طلبه الله من العباد وأرادهم منهم، فيقال: كذلك سائر الأنبياء عليهم السلام خلق الله في نفوسهم الإخبار عن أحكامه سبحانه، بل العلماء كذلك وليس أحد منهم صار ابناً لله بذلك»^(١).

ولم أجد أحداً من السابقين واللاحقين تناول هذه الجزئية غير الألوسي رحمه

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٥، ٣٦).

الله وذكر نفس رد الإمام القرافي^(١).

٥- أما قولهم: (ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له كما ترسل الشمس ضوئها من غير مفارقة القرص الوالد له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له)، فقد رده الإمام القرافي بأن إرسال الله تعالى نطقه من غير مفارقة، كلام غير مقبول؛ لأن الصفات لا تفارق موصوفها إلى غيره بذاتها، فكيف ترسل صفة النطق بدون محلها؟ ولا يصح أن يقال: إنها انتقلت مع محلها؛ لأن محلها يستحيل عليه الانتقال.

وأما قياسهم ذلك على الشمس فقد بين الإمام القرافي بأنه غير صحيح؛ لأن الضوء الموجود في الهواء ليس هو الموجود في قرص الشمس، فالله تعالى يخلق الأضواء والأنوار في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس^(٢).

وأما قياسهم ذلك على إرسال الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل، فقد بين الإمام القرافي أن هذا قياس غير صحيح؛ لأن كلام الإنسان أصوات نابعة من قسبة الرئة، والأصوات والرئة من خواص الأجسام، والله تعالى غير جسم، وكلامه نفسي ليس بصوت، فلا يصح القياس على الإنسان، ولا عن كلامه الصوتي؛ لأنه إن صح إرسال الكلام الصوتي، فلا يصح القول بإرسال الكلام النفسي.

(١) الجواب الفسيح: (١٥٩/١).

(٢) وعلى ما ذكره الإمام القرافي يكون الضوء الحاصل في أجزاء الهواء موجوداً في كل الأوقات، ويكون ضوء الشمس مظهرًا.

ثم بيّن صور إرسال الكلام إلى الغير بأنها إما أن تكون عن طريق الكتابة وحينئذ المرسل أجسام ورقوم سود في أجسام بيض، ونطق الإنسان القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه وهو الكتابة.

وإما أن يكون الإرسال عن طريق أن يوصي من يخبره بمقاصده مشافهة وساعتئذ فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله، فقال هذا الرسول أصواتاً لذلك الغير، والأصوات من خواص الإنسان، وقصبة الرئة لا تكون إلا في الأجسام والأجسام محالة على الله تعالى؛ لأنه ليس بجسم، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسي الذي ليس بأصوات، والأصوات دالة عليه، وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسي ولا الصوتي، بل النفسي قائم بنفسه، والصوتي بسمعه رسوله، وعدم لحينه، لم يأخذه الرسول معه^(١).

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فلا نجد إلا المهتدي نصر بن يحيى يجيب عن قولهم تولد الابن من الأب كتولد الشعاع من الشمس بقوله: (وإذا جاز أن يتولد عن الأب ذات فيما لم يزل مثل تولد ضياء الشمس عن الشمس، ولا يكون متقدماً عنه بزمان، جاز أن يكون العالم بأسره متولداً عن الأب على هذه الجهة، وفي ذلك قدم العالم، والاستغناء عن تولد ابن ليخلق العالم كما قالوا: في تسبيحه إيمانهم الذي بيده اتقنت العالم كلها وليس بمصنوع إله

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (٣٦، ٣٧). بقيت صورة لم يذكرها الإمام القرافي، وهي: إرسال الكلام من غير واسطة بأن يسمعه إياه بنفسه، وهذه الصورة يسمى فيها الإنسان مرسلًا تجوزاً؛ لأن الكلام معنى من المعاني لم يرسل إلى الغير، بل سمعه الغير بسبب حصوله في مخارجه.

ويجاب عن هذه الصورة: بأن الإنسان أرسل أصواتاً، فلا يصح قياس إرسال كلام الله على ذلك، لأن كلام الله ليس بصوت والله أعلم.

حق، من إله حق، من جوهر أبيه^(١).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي وجدنا ابن تيمية يقول: إن قياسهم تولد الابن من الأب على تولد شعاع الشمس من الشمس: قياس فاسد، لأنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس، فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها ولم تتحد به.

وإن أرادوا ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها كالشعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة القائمة بذلك، كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه:

أحدها: أن هذه أعراض منفصلة بئنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيء من اللاهوت وإنما فيه آثار كلمته وقدرته.

وثانيها: أن الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران أعراض قائمة بغير الشمس والكلمة وروح القدس عندهم جوهران.

وثالثها: أن هذا ليس هو الشمس، ولا صفة من صفات الشمس، وإنما هو أثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس، ومثل هذا لا ينكر قيامه بالأنبياء والصالحين، ولكن ليس للمسيح عليه السلام بذلك اختصاص، فما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين، وما لم يحل بغيره لم يحل به، فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلهاً دون غيره من المرسلين، ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت كما لم تتحد الشمس ولا صفاتها القائمة بها بالهواء والأرض التي حصل بها الشعاع والحرارة^(٢).

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمهتدي نصر بن يحيى: (ص ٦٤) ت د / محمد عبد الله الشرقاوي - دار الصحوة، القاهرة، ط / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) ينظر: الجواب الصحيح: (٢ / ٩٨، ٩٩).

ونجد الألوسي يجيب عن قياسهم تولد الابن من الأب على تولد الشعاع من الشمس وتولد النطق من العقل بنفس ما ذكر القرافي، بل بلفظه، ويزيد في مسألة الشمس: والعجب تنظيرهم لما ادعوه بالشمس فإن ضياء الشمس أو حرارتها إذا أثرا في محل لا يقال لذلك المؤثر فيه: إنه صار شمساً أو حلت فيه الشمس أو اتحدت به كما هو ظاهر. فلم قالوا: إن جسم المسيح صار إلهاً، وهو الآن إله تام جالس عن يمين أبيه؟^(١)

٦- وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته، فقد أجاب عنه القرافي بوجه:

الأول: بيّن فيه أنه كيف يليق بسيدنا محمد ﷺ أن ينص كتابه على عقيدة النصارى ثم يكفرهم بها، ويقاثلهم عليها؟ فلو كان الأمر كذلك لكان في ذلك وصف له ﷺ بالظلم وهذا خلاف ما شهدت به الملل كلها من أنه ﷺ أكمل الناس خلقاً وخلقاً، وهذا يؤكد أن المراد غير ما يقصده النصارى، يقول الإمام القرافي: «من المحال أن يكون المراد بالروح والكلمة ما تدعيه النصارى وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى عليه السلام بصفة وينادي بها على رؤوس الأشهاد، ويطبق بها الآفاق، ثم يكفر من اعتقد تلك الصفة في عيسى عليه السلام ويأمر بقتلهم وقتلهم وسفك دمائهم وسبي ذرائعهم وسلب أموالهم؟! بل هو بالكفر أولى؛ لأنه يعتقد ذلك مضافاً إلى تكفير غيره والسعي في وجوه ضرره، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه عليه السلام من أكمل الناس في الصفات البشرية خلقاً وخلقاً وعقلاً ورأيًا، فإنها أمور محسوسة، إنما النزاع في الرسالة الربانية، فكيف يليق به عليه السلام أن يأتي بكلام هذا

(١) الجواب الفسيح: (١/ ١٦٠).

معناه ثم يقاتل معتقده ويكفره، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم، والفضلاء من الخلفاء من بعده، وهذا برهان قاطع على أن المراد غير ما تعتقده النصارى»^(١).

والثاني: بيّن فيه أن النصارى متحكمون في دينهم، إذ إنه لم يرد في لغة العرب أن يراد بالروح ما تقصده النصارى، ولا بالكلمة ما يعتقدونه فيها، فكيف صاروا إلى هذا الاعتقاد، وذلك قوله: «الروح اسم للريح الذي بين الحافقين»^(٢).

واسم لجبريل عليه السلام وهو المسمى بروح القدس، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني.

والكلمة اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفسائي ولذلك يقال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٣)
وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات، ولهذا يقال:
هذه الكلمة خط حسن، ومكتوبة بالخبر.

وإذا كانت الروح والكلمة لهما معان عديدة، فعلى أيها يحمل هذا اللفظ؟
وحمل النصارى اللفظ على معتقده تحكم بمجرد الهوى المحض^(٤).

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٤).

(٢) الخافقان: أفق المشرق والمغرب، سميا بذلك تغليباً؛ لأن المغرب يقال له: الخافق أي الغائب، فغلبوا المغرب على المشرق وقالوا: الخافقان، يراجع: لسان العرب (١٠ / ٨٠) مادة (خفق).

(٣) البيت منسوب للأخطل، وليس في ديوانه، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام (ص ٣٥)، ت/ عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط/ الأولى، ١٩٨٤ م.

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٤).

والثالث: يَبَيِّنُ فيه أن المراد بالروح والكلمة الواردين في القرآن الكريم ليس ما يعتقده النصارى من أن صفة من صفات الله تعالى حلت في ناسوت عيسى عليه السلام؛ لأن العقل لا يقر أن تفارق الصفة موصوفها، بل المراد بالروح المذكورة في حق عيسى عليه السلام هو الروح بمعنى النفس المقوم للبدن، ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحاً نفخها فيه. والمراد بالكلمة الواردة في حق عيسى عليه السلام أنه قد وجد بقوله تعالى: {كن} لأن الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له: كن فيكون.

وإذا كان الأمر كذلك فلا مزية لعيسى على غيره من الناس؛ لأن جميع أرواح الناس يصدق عليها أنها روح الله تعالى -بالمعنى الذي بينه القرافي- وروح أي حيوان يصدق عليها أنها روح الله تعالى.

وكذلك لا مزية لعيسى عليه السلام على أي موجود؛ لأنه ما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن.

ولعل سائلاً يقول: وإذا كان الأمر كذلك، فلم خص عيسى عليه السلام بهذين الوصفين؟ وهذا ما يجب عنه القرافي بأن ذلك تنبيه على شرف عيسى عليه السلام وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الأنفال: ٤١] و ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] الجميع عبيده، وإنما التخصيص لبيان منزلة المخصَّص^(١).

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإننا نجد أبا البقاء الجعفري يذكر أن كلمة الروح ترد على معان شتى منها:

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥).

أن ترد ويراد بها الوحي كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وترد ويراد بها جبريل عليه السلام، وترد ويراد بها ملك كبير يقوم يوم القيامة صفًا وحده، والملائكة كلها صفًا آخر، وتراد ويراد بها أرواح الأشخاص كقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] ثم يقول: (وإذا كان اللفظ مترددًا بين معان كثيرة فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقترانه بما يفسره، وكل مفتقر للتفسير فلا وجه للاستدلال بظاهره).

ثم رجع أن عيسى عليه السلام سمي روحًا لتسمية جبريل عليه السلام روحًا؛ لأن الله تعالى نفخ في مريم بواسطة جبريل عليه السلام، والشيء يسمى بما يلزمه، ثم بيّن أن كثيرين غير عيسى عليه السلام سموا روح القدس كما نصت على ذلك كتبهم ففي التوراة: أن بصلئيل رجل من سبط يهوذا، ورجل آخر من سبط دان قد ملأتهما روح القدس^(١)، وفيها أن يوشع امتلأ من روح القدس^(٢)، وفي الإنجيل أن يوحنا المعمدان امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه^(٣) ثم قال بعد أن ذكر أمثلة أخرى: (وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء في حلول هذه الروح، التي هي إما الملك أو العلم والحكمة)^(٤).

ويذكر في كون عيسى عليه السلام كلمة معنى قريبًا مما ذكره الإمام القرافي مع اختلاف العبارتين إلا أنه يرجح أن المقصود من كون عيسى عليه السلام

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٣١] الفقرات: [١-٧].

(٢) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٤] الفقرة: [٩].

(٣) إنجيل لوقا: الإصحاح: [١] الفقرة: [٤١].

(٤) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٤٠٦/١) وما بعدها.

كلمة لله أنه آية من آيات الله تعالى كما يدل سياق كلامه^(١).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإننا نجد ابن تيمية يبيّن أن الروح يطلق ويراد به الوحي، وأن روح القدس ليس وصفًا خاصًا بعيسى عليه السلام بل وصف به كثيرون غيره، فما يقوله النصارى في عيسى عليه السلام يقال في غيره.

وبين أيضًا أن عيسى عليه السلام سمي بروح القدس، تسمية باسم جبريل عليه السلام، لأن الله أصطفاه لنفخ الروح في مريم، ووصف عيسى بكونه كلمة الله لكونه صدر عن قوله تعالى: {كن}^(٢).

ونجد الإمام الألوسي يبين أن الوصف بالروح سمي به عيسى عليه السلام، إما لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بامرّه سبحانه، وإما لأن الناس يحيون به كما يحيون بالأرواح.

أو سمي بذلك؛ لأن العادة جرت بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة، قالوا: إنه روح الله، وعيسى عليه السلام لظهارته سمي بذلك، أو سمي بذلك لأن الروح يعني السر، وعيسى عليه السلام سر من أسرار الله تعالى، وآية من آياته، وقيل إن أصل الكلمة: ذو الروح، أي صاحب روح الله تعالى، وكل من به حياة شارك عيسى عليه السلام في تلك الصفة.

وقال في كونه كلمة الله: سمي بذلك؛ لكونه كان بكلمة الله تعالى {كن} وقيل سمي بذلك؛ لأن الله تعالى يهدي بكلمته، وعيسى عليه السلام كان سببًا

(١) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٤٠٤، ٤٠٥).

(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (٢/٨٠، ٨١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥).

لهداية الكثيرين^(١).

٧- وأما قول النصارى: (الله وكلمته وروحه إله واحد، ولا يلزمنا القول بثلاثة آلهة كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة، وهو إنسان واحد).

فقد أجاب عنه القرافي بأن التثليث لازم لهم؛ لأنهم يقولون: إن الله تعالى مستحق للعبادة بذاته، وعيسى عليه السلام استحق العبادة لانتقال الكلمة إليه، وروح القدس يستحق العبادة أيضًا لمساواته الإله الأب، وهذا تثليث وليس توحيدًا، ونظير ذلك من واقع الإنسان أن يعتقد أن عقل الإنسان انتقل إلى جمل مثلاً فاستحق الجمل لأجل ما انتقل إليه تعظيمًا كتعظيم الإنسان، وروح هذا الإنسان تستحق تعظيم الإنسانية، والإنسان في نفسه يستحق تعظيم الإنسانية، فلا يمكن أن يقال: إن الجمل والإنسان وروحه واحد، بل هو ثلاثة.

وأما ما قاس عليه النصارى قولهم بالتوحيد في تثليثهم فقد أجاب عنه القرافي بأن الإنسان إنما كان واحدًا؛ لأن صفاته لم تتعداه، ولم تعدل صفة من صفاته ذاته في التعظيم، بل المعظم واحد وهو الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل، وجميل الصفات^(٢). ولم أجد أحدًا من السابقين تناول هذه الجزئية، ولم يتناولها أحد من اللاحقين سوى ابن تيمية والإمام الألوسي.

أما ابن تيمية: فإنه خاطبهم بأن قولهم لا يلزمنا ثلاثة آلهة كلام باطل؛ لأنهم صرحوا بذلك في عقيدة إيمانهم، فليس ذلك شيئًا ألزمهم الناس به، بل هم صرحوا به في قانون إيمانهم فهم يقولون: (نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع وبروح القدس الرب المحي المنبثق من

(١) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٧٥) وما بعدها.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٣٩، ٤٠).

الأب) ثم ناقشهم في قياسهم ذلك على الإنسان فقال: (وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونطقه، فإن أرادوا بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا بالروح التي تفارق بدنه بالموت، وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليست عرضاً من أعراضه، وحينئذ فيلزم أن تكون روح الله جوهرًا قائمًا بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان، ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبًا من بدن وروح كالإنسان، وليس هذا قول أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هو كفر عندهم فتبين أن تمثيلهم بالثلاثة باطل)^(١).

وأما الألوسي فذكر رد الإمام القرافي رحمه الله تعالى^(٢).

تعقيب:

١- يلاحظ في رد الإمام القرافي على مراد النصارى بالأب والابن وروح القدس أنه نازعهم في الإطلاق من جهة الشرع حيث لم يرد به نص، وشاركه في ذلك ابن تيمية والألوسي، أما ابن حزم فقد انفرد بمنازعتهم في إطلاق الأب والابن ليس من جهة الشرع، وإنما من جهة ذات اللفظ، فلفظ الأب يشعر بأنه أعظم من الابن لأن الأب مكانته أعلى من مكانة الابن.

ومن خلال هذا الكلام يتبين أن جواب ابن حزم على هذه الجزئية أقوى من رد القرافي وغيره، لأنه بين أن الألفاظ نفسها منقصة، فكأنه اعتبر الإطلاق الشرعي أمرًا مسلمًا، ولذلك عدل إلى الإطلاق اللفظي.

٢- أما في رد الإمام القرافي على تمسكهم بالإنجيل، فإنه يلاحظ أنه اكتفى ببيان ما ذكره قبلاً من انقطاع سند الأناجيل، وتناقضها الذين يوجبان عدم

(١) ينظر: الجواب الصحيح: (٢/٢٠٦، ٢١١).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/١٦٦، ١٦٧).

الوثوق بشيء منهما، بخلاف القرطبي، فإنه يبين أن النص المعتمد عليه من الإنجيل يحتمل وجوهاً عدة -ذكرها- مبيناً أنه بهذه الاحتمالات صار النص من المتشابهات والمتشابهات لا يتمسك بها في الاعتقادات.

وصنع الألوسي قريباً من صنيع القرطبي إذ بين أن الدليل به احتمالات، وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل فإنه يسقط به الاستدلال.

وأما الباجي زاده فقد بين أن هذا النص المتمسك به مخالف لما صرح به عيسى عليه السلام من الوجدانية فضلاً عن أنه يلزم عنه أن يكون عيسى عليه السلام والأنبياء قبله عليهم السلام ماتوا كفاراً لعدم إيمانهم بالتثليث ثم بين أن النص المتمسك به يدل على تحريف الأناجيل، لانفراد متى به دون غيره، ولتناقضه مع ما جاء في إنجيل متى نفسه.

ومن خلال ما ذكر يتبين أن الإمام القرافي كان الأولى به ألا يكتفي بما ذكره من عدم الوثوق بالأناجيل، بل كان عليه أن يذكر نص الإنجيل المتمسك به النصارى ويتناوله بالنقد والتفنيد كما فعل غيره من السابقين واللاحقين.

٣- وأما ما استدل به النصارى من البسمة فقد انفرد القرافي في الرد عليه بفضيلة سبق حيث لم يتناول هذه الفقرة أحد من السابقين، ولم يتناولها من اللاحقين سوى الألوسي متأثراً بالقرافي.

٤- وأما قول النصارى: المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث.. إلخ.

فيلاحظ أن الإمام القرافي في مناقشته ألزمهم إما قلب الحقائق إن قالوا: إن النطق الذي هو معنى هو ابن الله، إ كيف يكون المعنى إنساناً يصلب ويقتل؟ وإما أن يقولوا: إن المراد بالنطق أن الله تعالى أخبر عن وجود عيسى في الأزل، وهذا لا يبقى لاعتقاد النصارى في المسيح أثراً لمشاركة جميع الخلائق لعيسى في

هذه الخاصية، وأما أن يقول معنى ثالثاً، فطالبهم الإمام القرافي به.

هذا: وانفرد القرافي بأنه حاز قصب السبق في هذه الجزئية أيضاً.

٥- وأما قول النصارى: إن الله تعالى أرسل نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له... الخ، فيلاحظ: أن الإمام القرافي خاطبهم ببداية العقول، إذ الصفات لا تفارق موصوفها، ثم يبين عدم فهم النصارى لأمر الكون قبل أن يقيسوا عليها، لأن شعاع الشمس وضوءها الموجودين في الشمس ليسا هما الموجودان في الهواء، ثم أبطل قياسهم ذلك على الإنسان ونطقه وعقله، بأن هذا القياس لا يصح لما في الإنسان من أدوات الكلام بخلاف الباري سبحانه وتعالى، فإن كلامه بدون أدوات يتكلم بها.

وأما المهتدي نصر بن يحيى فإنه ألزم النصارى القول بقدم العالم لإمكان أن يصدر عن الله تعالى بطريق صدور الابن عن الوالد، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يخالف اعتقاد النصارى أن الإله الابن هو خالق كل العالم.

وأما ابن تيمية فقد بين أن الضوء والحرارة قائمان بذات الشمس لم يحلا بغيرها ولم يتحدا به، وإن قال النصارى إنها بائنان عن الشمس فهذا يفسد قياسهم لأنهما إن بانا عن الشمس فيكيف يقاس عليهما أن الإله الابن لم يفارق الإله الأب كحال الشعاع والحرارة، والصورة مختلفة؟ هذا فضلاً على أن الشعاع والضوء.

في حالة الإبانة لا يكونان صفة من صفات الشمس، وإنما هما حاصلان في غير الشمس بسبب الشمس، وهو بهذا اقترب من قول القرافي حيث بين أن هذه أمور في الهواء الحاصل بين السماء والأرض.

وأما الألوسي فقد سار وراء القرافي.

ومن خلال ما سبق نقول: إن رد القرافي على هذه الجزئية أقوى من رد غيره من السابقين واللاحقين؛ لأنه ألزمهم.

- مناقضة العقول.

- عدم فهم حقائق الأمور.

- القول بالتجسيم عند صحة القياس.

وقد شاركه ابن تيمية في الأول والثاني، وانفرد القرافي بالأمر الثالث، وأما ما ذكره المهتدي نصر بن يحيى فهو إذا قورن بما ذكره القرافي كان ما ذكره القرافي أجمع وأشمل.

٦- وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى روحًا وكلمة فيلاحظ في الرد انفراد القرافي بما ذكره في الوجه الأول. ومشاركة غيره له في الوجهين الآخرين ولذلك كان رده أجمع، ناهيك عن أنه انفرد في الوجه الثالث ببيان اختصاص عيسى عليه السلام بكونه روحًا وكلمة.

٧- وأما ما قاله النصارى من عدم لزوم التثليث لهم، فقد حاز القرافي فضيلة السبق في رده، حيث لم يوجد هذا الرد ولا تلك الجزئية عند أحد من السابقين.

هذا: وتفنيد القرافي لتلك الشبهة يبين لنا سعة أفق الإمام القرافي، كما أنه يتضح طول النفس في المناقشة، مما يوضح أن الإمام القرافي لم يكن مجادلًا عاديًا يعرض للفكرة هامشيًا، بل يعرض الشبهة ويفندھا تفنيديًا مستفيضًا بما لا يدع مجالاً لأحد أن يعترض.

والله أعلم

الفرع الرابع إبطال القراية لعقيدة التثليث

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في إثبات التثليث، ناقشهم في عقيدتهم ليبين لهم أنها عقيدة باطلة.

فيسألهم أولاً: هل الله تعالى الأزلي الخالق للعالم، النافع للروح في آدم واحد أم لا؟ ولا يخلو أن يجيب النصارى إما بالنفي، وإما بالإثبات، فإن قالوا: لا، بين القرافي لهم أنهم بذلك كفروا لمخالفتهم كتبهم: التوراة والإنجيل، ففي التوراة: قال الله لموسى عليه السلام: أنا إلهك فلا يكن لك إله غيري^(١) وفيها: اعلم أنني أنا الله وحدي وليس معي غيري أنا أُميت وأُحيي، وأُسقم وأُبرئ، ولا ينجو أحد من يدي^(٢).

وفي إنجيل متى: (لا صالح إلا الله الواحد)^(٣) وفي إنجيل يوحنا: قال المسيح وقد رفع بصره إلى فوق: إلهي: إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح^(٤).

وإن قالوا: نعم: بين الإمام القرافي أنهم بذلك كفروا لمخالفتهم الأمانة لأن فيها إثبات ثلاثة آلهة، ففيها: (نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الخلق، ونؤمن بروح القدس الواحد الحي)^(٥).

(1) سفر الخروج: الإصحاح: [٢٠] الفقرتان: [٢، ٣].

(2) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٢] الفقرة: [٣٩].

(3) الإصحاح: [١٩] الفقرة: [١٧].

(4) الإصحاح: [١٧] الفقرة: [٣].

(5) ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ١٩٦)، التوحيد والتثليث: (ص ٧)، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية: (ص ٦٨، ٦٩).

كما أنهم كفروا لمخالفة صلواتهم التي تثبت التثليث، فهم يقرؤون في صلاة النوم^(١): (الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة أيها الأب، لأنك لم تزل، وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة ثالث واحد).

يقوم الإمام القرافي: فقد صرحوا بثلاثة أزلية، وإنسان من بني آدم يسمى يسوع، فهم بذلك يقولون بأربعة آلهة وهم لا يشعرون^(٢).

فهم كفر على التقديرين، على قولهم بإثبات التثليث، وعلى القول بنفيه، إما كفر بكتبهم، وإما كفر بصلواتهم وأمانتهم. ثم يحصر الإمام القرافي تثليث النصارى في احتمالات ثلاث:

١- إما أن يقولوا: إن الإله واحد، والزائد صفتان، فإن قالوا ذلك، يقول القرافي: فهو كقول المسلمين: إن الله واحد، وله صفات سبع (العلم، الحياة، الإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر).

ثم يلزمهم بذلك مخالفة قول مشايخ الأمانة: الأب إله واحد، والابن يسوع إله واحد، والروح القدس إله ثالث: كما أنه ألزمهم مخالفة صلواتهم التي فيها إثبات التثليث.

٢- وإما أن يقولوا: الجميع إله واحد، ولا يستقل واحد منهم بالإلهية وهنا يبين لهم القرافي مخالفتهم أمانتهم التي تثبت أن كل واحد من الثلاثة إله مستقل.

٣- وإما أن يقولوا: إن كل واحد من الثلاثة إله، ومجموعها إله واحد، وفي

(١) تكون في الساعة الثانية عشر ليلاً، والغرض منها، ذكر دفن المسيح، والطلب منه أن يمكث معهم طوال الليل. ينظر: الصلاة لملاك لوقا (ص ٧١)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٤، ١٠٥).

هذه الصورة يسألهم القرافي قائلاً: الإله عندكم يتصور بدون صفات الكمال من الحياة والكلام أم لا؟

فإن قالوا: نعم، فيلزمهم القرافي بأن كل جماد في العالم إله، ما دام المطلوب لتصوير الإله مجرد وجود الذات، وذلك قوله: (فإن زعموا تصور ذلك فكل جماد في العالم أو نبات، أو حيوان هو إله مستقل لاقتصارهم على مجرد ذات المفهوم من الإله فيكون حمار الأسقف إلهًا له، وكذلك جميع حشرات بيته، بل نعله الذي في رجله.

وإن قالوا: لا بد في مفهوم الإله من كونه حيًا متكلمًا، ألزمهم الإمام القرافي أن يقولوا بتسعة آلهة، وبيان ذلك أنهم يقولون: إن كل واحد من الثلاثة إله مستقل، ثم إنه يشترط لكونه إلهًا مستقلاً أن يكون ذا حياة وكلام، فيكون الإله الأب له حياة وكلام، ويكون الإله الابن له حياة وكلام ويكون الإله الروح القدس له حياة وكلام، وحاصل هذه تسعة آلهة ثم يلزمهم القول بوجود آلهة متناهية؛ لأن كل واحد من الآلهة التسعة لا بد لكونه إلهًا أن يكون ذا حياة وكلام، وهذا هو قول القرافي: «وإن قالوا: لا بد من هذه الصفات في مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من الثلاث علم وحياة وكلام التي هي عندهم: الأقانيم الثلاث، فيصير التثليث تسيعًا، ويلزمهم أن يكون كل واحد من التسع إلهًا؛ لأن كل واحد منها مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاث؛ لأنه حينئذ إله، فيلزم التسلسل، وآلهة غير متناهية وموجودات ليس لها غاية وهذا محال كله»^(١).

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإننا نجد الحسن ابن أيوب، وتبعه المهدي نصر

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١١).

بن يحيى يذكران صورة واحدة من الاحتمالات الثلاث التي ذكرها الإمام القرافي، وهي أن القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة إلهًا يستلزم آلهة غير متناهية وذلك قولهما: (وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته، فلا بد من أن تعترفوا ضرورة بأن كل أقنوم منها حي سميع بصير عالم حكيم منفرد بذاته وإذا كان الأمر كذلك، فقد جعلتم الله أقانيم له صفة الحياة والحكمة وسائر الصفات، ولكل واحد من أقنومي الحياة، والحكمة، له مثل الذي له، وما فيها أقنوم له صفة إلا ويحتمل على قياس قولكم -لأنهم جعلوا الابن مثل الأب، والروح القدس كذلك- أن تكون صفته مثله، فإذا كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إله، وهي من جوهره، فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلهًا مثله، إذ كان من جوهره فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية^(١).

ونجد الإمام القرطبي يذكر احتمالات ثلاثة، وهي: إما أن يكون كل واحد من الثلاثة أقانيم إلهًا، أو جزء إله، أو يكون مجموعها إلهًا واحدًا، فإن كان جزء إله فإنه يلزمهم أن يكون الإله متركبًا متبعضًا، وإن كان كل واحد منها إلهًا بانفراده، فإنه يلزمهم:

- أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم حيًا عالمًا مريدًا قادرًا موصوفًا بصفات الكمال لأن الإله هو الموصوف بصفات الكمال، وإذا أقر النصارى بذلك لزمهم أن تقوم الصفة بالصفة، وقيام الصفة بالصفة باطل.

- وإذا جاز قيام الصفة بالصفة، جاز أن يقوم بالصفة صفة، وبتلك الصفة

(١) ينظر: رسالة الحسن بن أيوب ضمن كتاب ابن تيمية: الجواب الصحيح: (٢/٢٩٣، ٢٩٤)، والنصيحة الإيمانية: (ص ١٢٦، ١٢٧).

صفة، ويتسلسل الأمر، وإذا تسلسل الأمر -يلزم مع بطلان التسلسل- أن تكون الأقانيم لا نهاية لها.

وإن لم يعترف النصارى أن هذه الأقانيم موصوفة بصفات الكمال، فلا تكون هذه الأقانيم آلهة، وقد أطبق النصارى على أنها آلهة، ويلزمهم إن لم تكن هذه الأقانيم موصوفة بهذه الصفات وصفها بأضدادها، أو الانفكاك عنها، فإن لم يوصف بحياة وصف بالانفكاك عنها، والمنفك عن الحياة ميت فيلزمهم أن يقولوا بآلهة أموات، وذلك يلزم في سائر الصفات.

وأما الاحتمال الثالث فلم يجب عنه القرطبي^(١).

ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر السؤال الذي سأل به الإمام القرافي، بدون أن يلزمهم القول بأربعة آلهة كما فعل القرافي، ويذكر الاحتمالات الثلاثة التي ذكرها القرافي مع توسع في المناقشة والتمثيل، ولكن المضمون واحد، إلا أنه في الاحتمال الثالث الذي ذكره القرافي -قول: إن كل واحد من الثلاثة إله- ذكر صورتين، إما أن يقول النصارى: كل واحد من الثلاثة إله على سبيل الحقيقة، أو على سبيل التجوز والتوسع، فإن قالوا بالأول فإنه يسألهم كما سألهم القرافي هل يجوز خلو الإله من العلم والحياة أم لا؟

فإن قالوا: نعم، فإنه يلزمهم أنه لا حاجة إلى الأقانيم مادام الإله مستغنياً عنها. وإن قالوا: لا، فالجواب كما ذكره القرافي.

وإن قالوا بالثاني، فالجواب: أن هذا ترك للتثليث، وإثبات للواحدانية، وأيضاً فيه تسمية صفات الله تعالى آلهة تحكماً وتخرباً من غير توقيف ولا دلالة، بل فيه مخالفة لما في الأمانة من أن المسيح إله أتقن العوالم بيده، ولا يصح ما جاء

(١) يراجع: الإعلام: (ص ٨٦) وما بعدها.

في الأمانة على القول بأن الابن إله على سبيل التجوز والتوسع^(١).

وإذا جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فلا نجد إلا الألوسي اختصر ما ذكره أبو البقاء الجعفري، من الاحتمالات الثلاثة، وقد صرح الألوسي بذلك قبل ذكر كلام أبي البقاء الجعفري^(٢).

تعقيب:

يلاحظ أن الإمام القرافي في مناقشته للنصارى في هذا المسلك يلزم النصارى الكفر - في سؤاله الذي يسأله لهم - لمخالفة كتبهم، أو مخالفة الأمانة والصلوات، وفي الاحتمالات الثلاثة التي ذكرها يلزمهم مخالفة كتبهم إن قالوا: الإله واحد والزائد صفات، وكذا إن قالوا: الجميع إله واحد، أو يلزمهم وجود آلهة لا تتصف بصفات الكمال إن قالوا بعدم اشتراط ذلك في الإله، أو يلزمهم القول بتعدد آلهة إلى ما لا نهاية لها، إن قالوا: إنه يشترط في الإله أن يتصف بصفات الكمال من الحياة والكلام.

والإمام القرافي في رده هذا يسير وراء أبي البقاء الجعفري مع الاحتفاظ بشخصيته، لأنه في السؤال الذي سألته للنصارى ألزمهم القول بأربعة آلهة، وهذا لم يذكره أبو البقاء الجعفري، وإن ذكر نفس السؤال.

كما أن القرافي في الاحتمال الثالث ألزم النصارى القول بوجود آلهة غير متناهية لا تتصف بصفات الكمال، وأبو البقاء الجعفري لم يأت بهذا الإلزام مع أنه ذكر نفس الاحتمال.

وإذا ما قورن ما ذكره الحسن بن أيوب والمهتدي نصر بن يحيى بما ذكره

(١) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/٣٥٧، ٤٩٤) وما بعدها.

(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/١٥٥) وما بعدها.

القرافي، كان رد القرافي أقوى وأشمل لاشتراكه معها في نفس الجزئية، وزيادة ما لم يذكره، وعند المقارنة بينهما وبين القرافي في الجزئية المشتركة، كانت عبارة القرافي أوضح وأشفى بياناً.

أما ما ذكره القرطبي فزيادة تحسب له، ولكن يؤخذ عليه أن صورة من الاحتمالات غائبة وهي أن يكون واحد من الأقانيم إلهًا، والباقي صفات له، كما يؤخذ عليه أنه ذكر ثلاث صور ولم يجب عن صورة منها.

والله أعلم



الفرع الخامس قياس النصارى التثليث على الصفات الموهمة للتشبيه ورد القراي في عليهم

أولاً: قياس النصارى:

لما كان تثليث النصارى فيه تعدد للآلهة، وفيه قول بتركيب ثلاثة آلهة في إله واحد، كما أن فيه ولادة مباضعة (ولادة الإله الابن من الأب عن طريق التناسل)، لما كان كل ذلك في تثليث النصارى، فروا من ذلك بقولهم: نحن لا نعتقد ذلك، وقاسوا ذلك على مسلميات للمسلمين، وهي ألفاظ وردت في كتابنا توههم أن الله تعالى جسم، كلفظ اليد والعين وغيرهما، ومع ذلك لا يعتقد المسلمون.

فكأنهم يقولون: كما أنكم لا تعتقدون في هذه الألفاظ التجسيم فكذلك نحن لا نعتقد في التثليث تعدد الآلهة، ولا التركيب ولا ينوه المباضعة، وهذا نص كلامهم: (إذا قال المسلمون: لم أطلقتم لفظ الابن والروح والأقانيم، مع أن ذلك يوههم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة، وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة، قلنا للمسلمين: هذا كإطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد والعين، ونحوهما مما يوههم التجسيم، وأنتم لا تعتقدونه)^(١).

ثانياً: رد الإمام القرافي:

أجاب الإمام القرافي على هذا الكلام، بأنه لو سلم بما تقولون من عدم اعتقادكم ذلك، فإن أصل العقيدة عندكم غير ثابت، وغير مسلم به، بخلاف

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٤١)، وهذه الشبهة ذكرها ابن تيمية بتفصيل عما ذكره القرافي، ينظر: الجواب الصحيح (٣/ ١١٠) وذكرها عبد المسيح، ورد عليه الألوسي: ينظر: الجواب الفسيح (١/ ١٦٧).

إطلاق المسلمين المتشابه على الله تعالى، فإنهم يطلقون المتشابه، بعد ثبوته نقلاً متواتراً يقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته.

أما أنتم فليس عندكم نقل متواتر للأناجيل، حتى نسلم بصحة العقيدة، ونقول بعدها: إنكم لا تعتقدون التعدد، ولا التركيب والمباذعة، بل إنكم تنقلون أصول دينكم عن امرأة^(١)، بل لو طولبوا برواية الأناجيل لعجزوا. ثم يطالبهم القرافي بدليل من كتبهم فيه إطلاق الأقانيم التي أطلقوها على الله، وفيه تسمية الله بالجوهر، فلا يجدون، وإذا انتفى الدليل ثبت أنهم عصاة؛ حيث أطلقوا على الله تعالى ما لم يثبت عندهم بالنقل^(٢).

ولم أجد أحداً ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها قبل القرافي، وأما المتأخرون عن الإمام القرافي، فنجد ابن تيمية ذكر هذا القياس، وأطال النفس جداً في الجواب عليه، نذكر أهم ما ذكره من وجوه، وهي:

١- أن ما جاء عند المسلمين مما يوهم التجسيم، وُصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام، وأما ما جاء به النصارى، فليس في كلام الأنبياء - لا المسيح ولا غيره - ذكر أقانيم لله ثلاثة، ولا أكثر، ولا إثبات ثلاثة صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله تعالى ابناً، ولا أباً، ولا تسمية حياته روحاً، بل كل ذلك ابتدعوه بعد عيسى عليه السلام. وهذا هو سر إنكار المسلمين عليهم أنهم ابتدعوا ما لم تأت به الرسل، ولم تشهد به

(١) يشير القرافي إلى ما جاء من الأناجيل منقولاً عن مريم المجدلية من أن المسيح قام من بين الأموات، وأمرها أن تذهب إلى التلاميذ وتخبرهم عن صعوده إلى أبيه - كما يقولون - في السماء. إنجيل لوقا: الإصحاح: [١٦] الفقرات: [٩-١١]، إنجيل يوحنا: الإصحاح: [٢٠]، الفقرات: [١١-١٨].

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٤١، ٤٢).

الكتب^(١).

٢- ما ذكره المسلمون من ألفاظ توهم التجسيم موجود مثله في التوراة التي يدين بها النصارى -والنصارى يختلفون في معناه كما يختلف المسلمون في معناه- وإذا كان الأمر كذلك فقد شاركوا المسلمين في هذه النصوص، وزادوا ما لم يأت به كتاب، ولم يقله أحد من أهل الملل من القول بالثلاث. يقول ابن تيمية: (ما في القرآن والحديث عن النبي ﷺ من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيمًا هو مثل ما جاء في التوراة وسائر الأنبياء، فقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن حبرًا من أحبار اليهود جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يوم القيامة يحمل السموات على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: «أنا الملك» قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجره تعجبًا وتصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]^(٢). وفي التوراة: (أن الله كتب التوراة بإصبعه)^(٣).

ثم يقول: (فإذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة

(١) تراجع: الجواب الصحيح: (٣/ ١١١-١١٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري: ك: التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ حديث رقم (٤٥٣٣)، صحيح البخاري (٤/ ١٨١٢). وأخرجه الإمام مسلم: ك: صفة القيامة، ولم يذكره النووي تحت باب. حديث رقم (٢٧٨٦)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٧) عن ابن مسعود.

ووجه الدلالة من الحديث: أن الرجل سأل رسول الله ﷺ عن شيء لا يعلم إلا من كتاب سماوي ورسول الله صدقه، مما يدل على أن هذا وارد في توراة اليهود.

(٣) سفر الخروج: الإصحاح (٣١)، الفقرة (١٨).

وغيرها كما جاءت في القرآن، لم يكن للمسلمين اختصاص بذلك، ولم يجوز للنصارى أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصاصوا به من التثليث والاتحاد، فإن ذلك مختص بهم، وهذه الصفات قد اشترك فيها أهل الملل الثلاث، فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟^(١)

٣- يَبِّنُ فساد تشبيه النصارى بالمسلمين في هذا القياس فقال: [غاية مقصودكم: أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها كفر عندهم؛ لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها، كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر؛ لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقد مدلولها. فيقال لكم: إن ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات أنتم أطلقتموه، كما وردت به التوراة، فهو مشترك بينكم وبينهم، وما اختصاصكم به من التثليث والاتحاد لم يشركوكم فيه.

ثم يقال ثانياً: إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظاً لم يرد بها نص، والمسلمون قرنوا تلك الألفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل، وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتتموه من التثليث والاتحاد. والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلاً، وأنتم اعتقدتم من التثليث في الأقاليم والاتحاد ما هو معنى باطل.

والمسلمون لم يسموا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحملوا كلام الرسل عليها، وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء سميتكموه أنتم بها، لم تسمه بها الرسل، وحملتكم كلام الرسل عليها، والمسلمون لم يضعوها لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل، وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل،

(١) يراجع: الجواب الصحيح: (١/١١٧، ١١٩).

والمسلمون لم يقولوا قولاً لا يعقل، وأنتم قلتم قولاً لا يعقل، والمسلمون لم يتناقضوا، فيجعلوا الإله واحداً، ويجعلونه اثنين، بل ثلاثة، وأنتم تناقضتم، فهذه الفروق وغيرها مما يبين فساد تشبيهكم أنفسكم بالمسلمين^(١).

ونجد الإمام الألوسي يقول: (إن المتشابه الوارد عندنا وارد في جميع الكتب السماوية، وكافة الكتابيين يؤولون ذلك بما يليق بجلال الله سبحانه وذاته العلية، أو يؤمنون به من غير بحث عن الكيفية، ولا يعتقدون التجسيم والتشبيه بمخلوقاته سبحانه وتعالى، والمسلمون يقرأون الآيات كما وردت، ولا يشبهون ولا يعطلون، أو يؤولون تأويلاً حسناً، كما أن اليهود والنصارى يؤولون الآيات المتشابهة عندهم، فإن كانوا هم أولوه فنحن أولناه على معنى حسن، أو لا نؤوله، فنحن وسائر أصحاب الكتب السماوية على ذلك) ثم يبين أن النصارى، كتبهم غير موثوق بها، ومع عدم الوثوق بما فيها من الدلالة على التثليث من قول عيسى: (عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس) فليتهم رويوا ذلك وسكتوا، بل أخذوا بظاهره وحكموا أن عيسى عليه السلام إله تام ابن جوهر أبيه، فأين هذا من صنيع المسلمين بالمتشابه، إما أن يحملوه على معنى حسن صحيح، أو يسكتوا عنه، ويكلوا علمه إلى الله تعالى بدون تشبيه ولا تعطيل؟ فأين هذا من ذاك حتى يشبهوا أنفسهم بالمسلمين؟^(٢)

والإمام الألوسي في رده هذا لخص ما ذكره ابن تيمية في الوجه الثاني^(٣)، وقرع على رده هذا هذه المفارقة بيننا وبين النصارى في التأويل.

(١) ينظر: الجواب الصحيح: (٣/١٢٨، ١٢٩).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/١٦٧، ١٦٩).

(٣) يقارن ما ذكره الألوسي بما جاء في الجواب الصحيح: (٣/١١٧، ١١٩).

تعقيب:

من خلال ما سبق يتبين أن:

الإمام القرافي في رده على قياس النصارى بين لهم أن القياس هنا متعذر؛ لأنه قياس لما هو غير ثابت على ما هو ثابت، فمستند النصارى في عقيدة التثليث، إنما هو الأناجيل، والأناجيل لا تثبت بها عقيدة لفقد الرواية لها، فضلاً عن كون نقلها ليس متواتراً، بخلاف الآيات الموهمة للتشبيه، فإنها واردة في القرآن الكريم المنقول نقلاً متواتراً، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يصح قياس ما هو غير ثابت على ما هو ثابت.

كما أنه يبين للنصارى زيادة -على ما سبق- أن في التثليث إطلاق الأقانيم والجوهر على الله تعالى، وهذه الأقانيم، ولفظ الجوهر، لم يأت بها كتاب من الكتب السماوية، فكيف أطلقوه على الله تعالى؟

وقد شارك ابن تيمية الإمام القرافي في أن عقيدة التثليث ما فيها من الأقانيم والجوهر لم يأت به كتاب سماوي، إذاً فهي ابتداع من النصارى، وكذا شاركه في هذا الأمر الإمام الألوسي.

لكن ابن تيمية زاد أن النصوص الموهمة للتشبيه موجودة في كتب أهل الكتاب، فهم قد شاركوا المسلمين في هذا الأمر، وزادوا ما لم يأت به شرع من القول بالتثليث، وسار وراءه الألوسي في هذا الأمر.

ثم يبين ابن تيمية فساد المشابهة بين المسلمين وأهل الكتاب، وإذا لم تصح المشابهة فإن القياس فاسد.

وأما الألوسي فزاد أن النصارى مع عدم صحة كتبهم متكلفون في عقيدتهم فهم يحملون النصوص على ما لم يذكر في كتاب، ولا جاء به رسول مما لا يليق

بالباري سبحانه وتعالى، فأين هم من المسلمين السالكين في الآيات الموهمة للتشبيه مسلك التأويل الصحيح، أو التفويض الصريح حتى يصح القياس؟

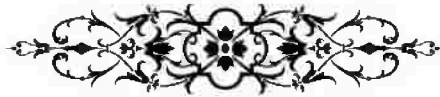
ومن خلال هذا يتبين:

أن للإمام القرافي -رحمه الله تعالى- قصب السبق في الرد على هذه الشبهة، كما أنه انفرد ببيان فساد القياس من جهة أنه لا يقاس ما هو مقطوع سنده، وغير مجزوم به، على ما هو مقطوع ومجزوم بثبوتيه.

وأما ابن تيمية فله فضيلة معالجة القضية من جميع جوانبها، فهو يبين أنها مبتدعة، وأنها موجودة في كتبهم، فما يقال علينا يقال عليهم، كما أنه يبين فساد المشابهة بيننا وبينهم، وبالتالي لا يصح القياس.

وأما الألويسي، فقد لخص بعض ما ذكره ابن تيمية، وفرع عليه المفارقة بيننا وبينهم في التأويل.

والله أعلم



obeikandi.com

المسلك الرابع عقيدة الحلول والاتحاد، وموقف القرافي منها

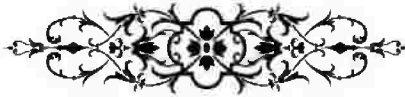
وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى.

الفرع الثاني: مناقشة القرافي لفرق النصارى الثلاثة في عقيدة الحلول والاتحاد.

الفرع الثالث: المحالات العقلية التي ألزم القرافي النصارى بها على قولهم بالحلول والاتحاد.

الفرع الرابع: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على جواز الاتحاد ورد القرافي عليهم.



obeikandi.com

الفرع الأول عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى

الحلول، والاتحاد، والتجسد، والتأنس، ألفاظ تصادف الباحث في عقائد النصارى عند حديثهم عن عقيدة الحلول والاتحاد، فلا بد من بيان معاني هذه الألفاظ قبل بيان مفهوم هذه العقيدة عند النصارى.

الاتحاد:

هو تصوير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من اثنين فصاعداً، وقيل: هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً، لاتصال نهايات الاتحاد^(١).

والاتحاد عند النصارى يدل على ارتباط بين ذاتين، أما ماهية هذا الارتباط فغير معروفة^(٢).

الحلول:

عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز، وقيل: هو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد^(٣).

ومن خلال ما ذكر يتضح أن معنى الاتحاد قريب من معنى الحلول، وخصوصاً عند مقارنة تعريف الحلول الثاني بتعريف الاتحاد، ولعل لهذا السبب اكتفى بعض من ناقش النصارى في هذه العقيدة بالترجمة بالحلول وحده، أو

(١) التعريفات: (ص ٢٢)، التوقيف على مهمات التعاريف: (ص ٣١).

(٢) ينظر: مقالات لاهوتية: (ص ١٣٦).

(٣) التعريفات: (ص ١٢٥).

الاتحاد والحلول، وجعل الحديث منصباً على الاتحاد مما يبين تقارب المعنى^(١).
ويؤكد تقارب المعنى بينهما ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من تعريف
الحلول بأنه عبارة عن الاتحاد الجوهرى بين اللاهوت والناسوت^(٢).
والذي يظهر صوابه: أن الحلول غير الاتحاد، فالحلول: جعل أحد الجسمين
طرفاً للآخر، وقد يكون ذلك بدون اختلاط، أما الاتحاد: ففيه معنى الممازجة
والمخالطة بحيث يصيران شيئاً واحداً، ويدل على هذا اختلاف اللفظين، وأن
العرب لا تجعل للمعنى الواحد لفظين إلا إذا أفاد أحدهما معنى جديداً،
فالترادف التام غير موجود في لغة العرب.

التجسد Incarnation:

يعني النصارى به أن الأَقْنوم الثاني من الثالوث اتخذ جسداً بشرياً من
العذراء مريم، بحلول الروح القدس في أحشائها.
والتأنس:

يعنون به: أن الإله الابن -الأَقْنوم الثاني- صار كالشئ في كل شئ ما عدا
الخطيئة وحدها. ويعبر النصارى عن التجسد بالتأنس، وعن التأنس
بالتجسد^(٣).

-
- (١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ٨٣)، الإعلام (ص ٩١) وما بعدها.
(٢) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية -أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد وغيرهما:
٨/ ٥٥ تحت مادة الحلول.
(٣) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص ١٣٦)، موسوعة علوم الدين (ص ٧)، موسوعة طقوس
الكنيسة القبطية (٤/ ٥٧).

مفهوم الاتحاد والحلول عند النصارى:

يتفق النصارى على أن الإله الابن هبط من السماء، وحل في مريم العذراء، واتحد لاهوت الابن بجسد عيسى أو ناسوته، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك هل للابن طبيعة واحدة أو طبيعتان:

فقالَت اليعاقبة: إن الإله الابن اتخذ من جسد مريم جسداً بشرياً له نفس ناطقة وعاقلة، دون تحول في الطبيعة اللاهوتية، فالطبيعتان قد اتحدتا بدون تحويل، ولا تغيير، فلا الطبيعة الإلهية ترحلت عن بساطتها وعدم تركيبها، ولا الطبيعة البشرية تحولت إلى الطبيعة اللاهوتية، ولاهوت المسيح وناسوته عندهم وحدة تصدر عنها كل أعماله، طبيعة واحدة من طبيعتين: ومشئة واحدة من مشيئتين. وما دام لاهوت المسيح متحدًا بناسوته، فالأعمال التي تصدر عنه تكون صادرة عن هذه الوحدة^{(١)(٢)}.

وقالت النساطرة: إن الاتحاد تم بين القديم والمحدث، وإن تسمية المسيح ابن الله بطريق الإكرام البشري، وفي المسيح جوهران وأقنومان أحدهما جوهر الكلمة، والآخر جوهر الإنسان، والاتحاد عندهم مجازي لا حقيقي^(٣).

(١) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٢٥)، مقالات لاهوتية: (ص ١٨)، مصباح الظلمة (ص ١١٩)، التوحيد والتثليث: (ص ١٠٩، ١١٠).

(٢) الكنائس التي تقول بالطبيعة الواحدة الآن هي:

١- الكنيسة المصرية في مصر والحبشة.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية التي يرأسها بطريرك السريان، وتتبعها كثير من مسيحي آسيا.

٣- الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية، يراجع حقيقة النصارية من الكتب المقدسة: أحمد حجازي السقا: (ص ١٣٥، ١٣٦)، دار الفضيلة - القاهرة.

(٣) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٤٢)، مصباح الظلمة: (ص ١٣، ١٤).

وقالت الملكانية: إن المسيح جوهراً، وطبيعتان، وله فعلاً ومشيتان، أحدهما الإلهية عملت المعجزات، والأخرى الإنسانية نالها الألم والموت والصلب، ويقولون: الكلمة مازجت جسد عيسى عليه السلام تماذج الخمر أو اللبن والماء^(١).

فالخلاف بين النساطرة والملكانية إنما هو في كيفية الاتحاد، فالنسطورية يقولون: إنه مجازي على سبيل التكريم، والملكانية يقولون: إنه حقيقي كما يمازج الماء اللبن.

سبب الاتحاد عند النصارى:

١- أن الاتحاد إنما هو لخلاص البشر من شرك الخطيئة، وقد سبق ذلك مفصلاً في عقيدة الصلب والفداء.

(١) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٢٠)، مصباح الظلمة: (ص ١٤). والكنائس التي تقول: إن للمسيح طبيعتين هي جميع الكنائس الأخرى غير الكنائس الثلاث التي تقول بالطبيعة الواحدة.

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة في آرائها إلى أن دب بينها في منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذي انبثق منه روح القدس، فذهب بعض هذه الطوائف إلى أن انبثاق روح القدس كان من الأب وحده، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الأب والابن وحده، وكان ذلك سبباً في انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين إلى كنيستين رئيسيتين:

أحدهما: الكنيسة الشرقية اليونانية، وهي التي يذهب أصحابها إلى أن روح القدس منبثق من الأب وحده. والمشايعون لها أكثرهم في الشرق في بلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها.

وثانيتهما: الكنيسة الغربية اللاتينية أو كنيسة روما، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب والابن معاً، والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية، يراجع: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة: (ص ١٣٩، ١٤٠).

٢- يذهب بعض النصارى إلى أن الله عز وجل لما كلم العالم على السنة أنبيائه، ولم يمتثلوا لهم، نزل هو سبحانه، واتحد بجسد عيسى عليه السلام؛ ليكلم الناس بذاته؛ لئلا يكون لهم حجة عليه، فتقطع حجتهم حينئذ، من أجل أنه كلمهم بذاته، لا بواسطة بينهم وبينه^(١).

تعقيب:

إن عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى بهذه الصورة التي صورت بها تثير في النفس أسئلة كثيرة منها:

١- كيف فارق الإله الابن أباه، وهو كلامه؟ ولا سيما أن النصارى يقولون -فراراً من هذا السؤال-: إن الاتحاد بدون انفصال^(٢) وإذا كان بدون انفصال، فكيف حصل الاتحاد والامتزاج؟

٢- كيف يكون اتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج -على رأي اليعاقبة أو الأرثوذكس-؟ فالقول بعدم الاختلاط والامتزاج ينافي القول بالاتحاد، والقول بالاتحاد ينافي القول بعدم الاختلاط والامتزاج، ولا يصح قبول هذا الكلام إلا عند جعل العقول وراء الظهور، والذي يؤيد هذا أنهم لكي يجعلوا عقيدة الاتحاد مقبولة يقولون: هي فوق طور العقول^(٣).

٣- كيف تصدر المخلوقات عن مشيئتين على قول الملكانية والنساطرة؟ ومن منهما الغالبة؟ هل الإلهية أو الإنسية؟ فإن كانت الإلهية، فلا حاجة إلى الإنسية، وإن كانت الإنسية فلا حاجة إلى الإلهية، وكفى بذلك كفرًا أن يغلب

(١) ينظر: بين الإسلام والمسيحية: (ص ٨٢، ٨٣).

(٢) التثليث والتوحيد: (ص ١٠٥).

(٣) يراجع: مصباح الظلمة: (ص ١٠)، خلاصة الأصول الإيانية في الكنيسة: (ص ١١).

البشر ربه.

وإن استغنت إحداهما عن الأخرى، فلا داعي للقول بالاتحاد، وإن تعاونتا،
فالإله عاجزاً لاحتياجه إلى غيره، فلا يكون إلهاً.

والله أعلم



الفرع الثاني مناقشة القراني لفرق النصارى الثلاثة في عقيدة الحلول والاتحاد

مناقشة اليعاقبة (الأرثوذكس):

يبين الإمام القرافي رأى اليعاقبة في قوله: (اليعاقبة ادعت أن المسيح عليه السلام صيره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا)^(١) ثم ناقشهم بأنه لا يخلو الحال من أن تبقى حقيقة اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد كل على حالها، أو أن تتغيرا فإن بقيتا على حالهما، فلا معنى للقول بالطبيعة الواحدة، بل ولا للقول بالاتحاد؛ لأنهما حقيقتان وإن تغيرتا، فهذه حقيقة ثالثة لا لاهوت، ولا ناسوت، وعليه فلا يوصف المسيح بأنه إله، ولا بشر، بل اطلبوا له وصفًا آخر لم يقله أحد قبلكم.

كما أنه يلزم في حال تغير الطبعيتين بالاتحاد أن يصير الإله محدثًا، والمحدث قديمًا، وأن يصير المخلوق خالقًا، والخالق مخلوقًا، ضرورة اتحاد الحقيقتين، وهذا لازم باطل بالضرورة، يقول القرافي في رده على اليعاقبة مبينًا ما ذكرت: (والسؤال عليهم: أن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم: صارتا طبيعة واحدة، وإن تغيرتا عن حالهما، فهذه حقيقة أخرى لا لاهوتًا ولا ناسوتًا، فلا تصفوا المسيح عليه السلام بأنه إله، ولا إنسان، ويلزمهم: أن القديم صار محدثًا، والمحدث صار قديمًا؛ لضرورة اتحاد الحقيقة، وأن يصير الخالق مخلوقًا والمخلوق خالقًا؛ لضرورة اتحاد الحقيقة)^(٢).

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٩).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٠٩).

مناقشة الملكانية^(١):

يبين الإمام القرافي رأي الملكانية أولاً، فيقول: (يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران في أقنوم واحد، ومشيتان، فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود عليهما السلام. وهو شخص واحد، فأوجبوا الاتحاد في الشخص فقط: لاعتقادهم استحالة في الحقائق)^(٢).

ثم يناقشهم مبيناً لهم أن الاتحاد في شخص كلام غير معقول؛ إذ كيف يكون اتحاد جوهر اللاهوت والناسوت في شخص واحد بدون اختلاط كل بالآخر؟

ثم بين أن الاتحاد إما أن يقصدوا به الامتزاج، فإن قصدوا ذلك، فقد لزمهم ما لزم اليعاقبة، وإما أن يقصدوا أن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد وإن قصدوا ذلك فإن الإمام القرافي يبين لهم أن خلطاً في المفهوم حصل لهم، فهذا حلول وليس اتحاداً^(٣).

ثم بيّن ما في الحلول من استحالة، ذلك لأنه لو حل الإله الابن في جسد عيسى عليه السلام، يلزم أن يكون الإله أصغر من آحاد اليهود؛ لأنه إن حل الإله في عيسى، وهو كان سيحاً قليل الغذاء، كثير الأسفار، ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحال أبداً يكون أصغر من المحل، فيكون بذلك اليهودي البدن أعظم من عيسى الذي هو إله عندهم، وهذا لا يقوله عاقل، ثم يقول

(١) الملكانية والنسبورية موزعون الآن بين الكاثوليك، والبروتستانت.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٠).

(٣) يلاحظ أن الإمام القرافي يقول بالفرق بين الحلول والاتحاد، بأن الاتحاد فيه امتزاج، وأن الحلول فيه معنى جعل الحال مظهراً للمحل وهذا يجعلنا نطمئن شيئاً ما إلى ما ذكرناه من الفرق بين الحلول والاتحاد.

الإمام القرافي: وإن أرادوا بالاتحاد معنى ثالثاً فهذا غير معقول^(١)؛ لأنه لا يوجد للاتحاد غير هذين المعنيين.

مناقشة النساطرة:

يبين الإمام القرافي مذهب النساطرة في قوله: (يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران، أقنومان باقيان على طبعهما) ثم يناقشهم الإمام القرافي مبيناً لهم، أن الطبيعتين إن كانتا في شخص واحد فهذا باطل، لأن الطبيعتين لا تقومان في محل واحد.

وإن كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحس؛ لأن عيسى عليه السلام كان شخصاً واحداً، وعليه يكون مذهبهم من قبيل السفسطة، ومخالفاً للضروريات وكفى بذلك بطلاً^(٢).

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإننا نجد ابن حزم رد على الفرق الثلاثة إجمالاً، مبيناً أنه ليس في أناجيلهم ما يدل على الطبيعة الواحدة، ولا الطبيعتين، فمن أين أتوا بهذا؟ ثم ناقش كل فرقة على حدة، فبين أن قول اليعاقبة بالطبيعة الواحدة كاتحاد الماء يلقي في الخمر، فيصيران شيئاً واحداً فيه: أنه إذا كان الإله استحال إنساناً، فالمسيح إنسان وليس إلهاً، وإن كان الإنسان استحال إلهاً فالمسيح إله، وليس بإنسان، وإن كان كلاهما لم يستحل واحد منهما إلى الآخر، فهذا قول النساطرة لا قولهم.

وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنساناً لا إلهاً، وصار الإنسان إلهاً لا إنساناً، وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله، فالمسيح

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٠).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٠).

لا إله، ولا إنسان، وكل هذا خلاف قولهم.

وناقش النساطرة فبيّن أن قولهم ليس فيه زيادة على أن الإنسان إنسان والإله إله، وكذلك كل فاضل وفاسق في هذا العالم هو إنسان، والإله إله فالمسيح وغيره من الناس سواء.

وناقش الملكانية بأن قولهم: إن للمسيح طبيعتين: اتحد فيه اللاهوت بالناسوت كاتحاد النار في الصفيحة المحماة، فيه أن الإله عرض حل في الإنسان الجوهر، وهذا في غاية الفساد^(١).

كما أننا نجد المهتدي نصر بن يحيى يناقش فرق النصارى، فيرد على اليعاقبة بما هو قريب مما ذكره القرافي، إذ بين لهم: أنه بعد الاتحاد، لا يخلو من أن تبقى حقيقة كل، وهذا يدفع القول بالطبيعة الواحدة، كما أنه قول النساطرة أو أن يبطل أحدهما الآخر، ويخرجه عما كان عليه قبل الاتحاد، وهذا يخرج المسيح عن أن يكون قديماً، أو محدثاً، وعن كونه إلهاً، وعن كونه بشراً مع أن العيان يبطل هذا الكلام؛ لأنه شاهد بأن ناسوت المسيح كان على ما كان عليه ناسوت غيره من الناس.

ثم ناقش النساطرة في قولهم: إن المسيح جوهران وأقنومان، بأنه لا يخلو أن يقولوا: إن الجوهرين قديمان أو محدثان، أو أحدهما قديم والآخر محدث، فإن كانا قديمين، فقد أثبتوا قديماً رابعاً هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين فقد قالوا بحدوث الابن الأزلي، وعبدوا ما ليس بإله؛ لأنهم يعبدون المسيح، وإن قالوا: أحدهما قديم، والآخر محدث، كانوا قد عبدوا القديم والمحدث؛ لأنهم يعبدون المسيح، وهو عندهم مجموع الجوهرين القديم والمحدث.

(١) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/٥٣، ٥٤).

ولم أجد له ردًا على الملكانية، ولعله اكتفى في الرد عليهم بما رد به على النساطرة لتقارب المذهبين؛ إذ كلاهما يقول بالطبيعتين^(١) والله أعلم.

ونجد أبا البقاء الجعفري يناقش اليعاقبة بما ناقشهم به القرافي، إلا أن عبارة الجعفري أوضح في المناقشة، كما أنه ذكر أوجهًا عدة لم يذكرها القرافي في مناقشة اليعاقبة نذكر منها:

١- هذا الرأي من اليعقوبية مردود بأقوال المسيح في الإنجيل حيث يقول: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)^(٢) ففرق بين الذهاب، والذي يذهب إليه، فبطل أن يكون قد صارًا واحدًا، وإلا لاتحد الذهاب ومن يذهب إليه، والداعي والمدعو، ودعاء المسيح نفسه محال.

٢- قال يحيى بن زكريا حين رأي المسيح: (هذا خروف الله وحمل الله الذي يحمل خطايا العالم)^(٣)، ففرق بينه وبين الباري تعالى فبطل أن يكونا واحدًا.

٣- سئل المسيح عن يوم القيامة فقال: (لا يعرف ذلك إلا الأب وحده، فأما الابن فلا يعرفها)^(٤)، يقول أبو البقاء: وقول المسيح أولى بالتصديق، وقد أخبر أنه لا يعلم بالمغيبات، ولو قد صار مع الله شيئًا واحدًا لعلم ما يعلمه الله؛ لأن الشيء الواحد لا يمكن أن تثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض الآخر، فبطل أن يكونا شيئًا واحدًا.

وناقش الملكانية بقوله: إذا قلت: إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته

(١) يراجع: النصيحة الإيبانية: (ص ٦٦، ٦٧).

(٢) يوحنا: الإصحاح: [٢٠] الفقرة: [١٧].

(٣) يوحنا: الإصحاح: [١] الفقرتان: [٢٩، ٣٦].

(٤) مرقس: الإصحاح: [١٣] الفقرة: [٣٢].

ومشيئته كما كان قبل الاتحاد، فقد أبطلتم الاتحاد، إذ افتراق أحد الجوهرين بالطبيعة والمشيئة هو غاية الافتراق، وإذا كان كذلك فلا معنى للاتحاد؛ إذا الاتحاد عبارة عن صيرورة أكثر من الواحد واحداً، وإذا كان جوهر الأزلي باقياً بحاله، وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية عن الفائدة.

وأيضاً: إذا كان الأقنومان قد صار أقنوماً واحداً مع تنافي طباعهما فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط، فيلزم أن يتغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان، وذلك متعذر على ذات الباري تعالى، وذكر أوجهاً أخرى، اكتفى بها ذكرت حتى لا يكون ملال من الإطالة.

وناقش النساطرة بما ناقشهم به القرافي، وزاد أوجهاً عدة من أهمها: انه قال: إن كان المسيح شخصين فلا يخلو الأمر فيه من أن يكونا متجاورين، أو متداخلين، فإن كانا متجاورين فيلزم منه أن يكون أقنوم الإله مذكوراً ممسوحاً، له قدر وكمية، إذ كل شيئين تمازجاً، فلا بد أن يكونا متساويين أو متفاوتين، فإن كانا متساويين فقد ساوى الأقنوم الإلهي الأقنوم الإنساني وذلك محال، وإن كانا متفاوتين، فإن كان أقنوم اللاهوت أصغر لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر فقد أخذ الأقنوم الثاني بعضه بالمسامطة والمحاذاة، والقدر الزائد منه على الأقنوم الإنساني يعود إليه التقسيم -التساوي والتفاوت بصورتيه- وذلك يقضي بالكمية على الأقنوم الإلهي وهو محال.

وإن كانا متداخلين، فلا يخلو أن يتداخلتا داخل امتزاج، أو تداخل إدراع كلبس الدرع، فإن كانا تداخلتا داخل امتزاج حتى صار طبيعة واحدة، فهذا مذهب اليعقوبية، وقد ثبت بطلانه.

وإن تداخلتا داخل ادراع، فيلزم منه أن يكون الأقنوم الأزلي الذي لا

يوصف بالجسم قد تشكل بشكل الأجسام، وصار له لحية وفرج مسامت لما تشكل به من أقنوم الإنسان، وكل ذلك محال، فالقول به محال^(١).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي فإننا نجد ابن تيمية يناقش اليعاقبة بأن قولهم: تجسد ابن الله الكلمة يقتضي أن الكلمة صارت جسداً وجسماً، وذلك يقتضي استحالتها وتغييرها، فكيف يقولون: إنه اتحاد من غير استحالة ولا تغيير؟

وأيضاً: قولهم: اتحدت الكلمة بدون اختلاط ولا تغيير، كلام متناقض؛ لأن الاتحاد معناه أن يصير الاثنان واحداً، ثم إنه بعد الاتحاد، إما أن يكون الاثنان كما كانا من قبل، وعليه فلا اتحاد حينئذ، أو يكونا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاد، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحدهما، فلا بد من تغييرهما واستحالتها، وهذا باطل.

وناقش من قال بالطبعيتين بأنهم إن قالوا: الناسوت واللاهوت جوهر واحد صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، فيلزمهم ما لزمهم.

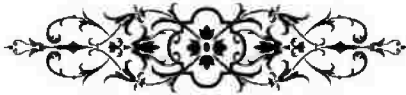
وإن قالوا: فيه جوهران ومشيتان، قيل: لا بد مع ذلك أن تتغير قوة كل عما كانت عليه، فتكسر الأخرى كما يعرف في سائر صور الاتحاد كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة البرد وقوة الحر، وعلى هذا فيجب إذا اتحد أن تتغير قوة اللاهوت ومشيتته وطبيعته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيتة عما كانت، ويبقى هذا المتحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كما له، كما أنه يوجب من كمال

(١) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٤٧٦-٤٩٢).

الناسوت ما لم يكن.

كما أنه لو كانت مشيئتان لزم اجتماع الضدين في محل واحد بأن نريد المشيئة اللاهوتية أمراً، والناسوتية أمراً آخر، وهذا باطل^(١).

والله أعلم



(١) يراجع: الجوب الصحيح: (٢/ ٢٢٢) وما بعدها، (٣/ ١٠١) وما بعدها، (٢/ ٢٦٤).

الفرع الثالث المحالات العقلية التي ألزم القرافي النصارى بها على قولهم بالحلول والاتحاد

بعد أن ناقش الإمام القرافي فرق النصارى الثلاث في قولهم بالحلول والاتحاد، بيّن أن في قول النصارى بالحلول والاتحاد محالات عقلية، تؤكد بطلان تلك العقيدة، نذكرها فيما يلي:

المحال الأول:

أن القول بالاتحاد فيه قلب للحقائق، وبيان ذلك: أن الروح القدس عند النصارى هو حياة الله تعالى، والحياة معنى من المعاني، كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسداً قلب للحقائق كصيرورة اللون رائحة، والطعم حركة، والأعراض أجساماً، وذلك كل محال، فالقول بتجسيد الروح القدس محال.

المحال الثاني:

القول بالاتحاد فيه موت الباري سبحانه وتعالى وهو محال، وبيان ذلك: أنه إذا تجسد المسيح عليه السلام من الروح القدس، والروح حياة الله تعالى فيلزم أن يبقى الله تعالى ميتاً؛ لعدم الحياة وانتقالها إلى المسيح عليه السلام وذلك محال.

المحال الثالث:

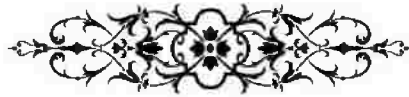
وهو من قلب الحقائق أيضاً وهو أن القول بحلول الكلمة التي هي الكلام في مريم، وتجسد المسيح من الروح القدس يقتضي انتقال المعاني من محالها إلى محال أخرى، وانتقالها محال؛ لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات، فيلزم أن تكون المعاني أجساماً، والصفات موصوفات، وذلك قلب للحقائق وهو محال.

عند جميع العقلاء^(١).

فالإمام القرافي في كلامه السابق يبين للنصارى أنهم يلزمهم في الحلول والاتحاد ما لم يقله عاقل، فيلزمهم أن تصير المعاني أجسامًا - كما في المحال الأول - وأن تتحرك وتنتقل - كما في المحال الثالث - وأن يكون الباري سبحانه وتعالى ناله الموت فترة اتحاد الكلمة بعبسى عليه السلام، وهذا لم يقله عاقل، ولكنه لازم للنصارى مما يدل على بطلان عقيدتهم.

ولم أجد أحدًا من السابقين ذكر هذه المحالات، ولم يذكرها أحد من اللاحقين.

والله أعلم



(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٦).

الفرع الرابع استدلال النصارى بالقرآن الكريم على جواز الاتحاد ورد القرا في عليهم

يستدل النصارى من القرآن الكريم بدليلين على عقيدة الاتحاد التي يدينون بها نذكرهما ورد القرافي عليهما.

الدليل الأول: يقول النصارى: إن القرآن الكريم دل على اتحاد الباري سبحانه وتعالى بغير عيسى، وإذا صح ذلك، صح قولنا بالاتحاد وبطل إنكار المسلمين علينا، وبيان ذلك:

أن القرآن الكريم ناطق بأن الله تعالى كلم موسى تكليماً^(١). وأجمعت الملل على أنه تعالى كلمه بصوت -يقول النصارى-: وهذا الصوت يستحيل أن يقوم بالله تعالى؛ لأنه تعالى ليس بجسم، فيكون قائماً بشجرة العليق بالوادي المقدس، وتكون الشجرة هي المتكلمة، وهي التي قالت: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وقالت: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، وخاطبها موسى بأنها الله تعالى فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥].

يقول النصارى: ولولا الاتحاد بين ذات الله وذات الشجرة لما صح الكلام لموسى، ولا جواب موسى عليه، ولا صح القول بأن الله كلم موسى عليه السلام كما في القرآن الكريم، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى عليه السلام، وصح لنا بأن نخاطبه بأنه الرب، وبأنه الله تعالى، اقتداءً بموسى عليه

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

السلام فنحن على الحق حيثنذ، والمسلمون غالطون في تكفيرنا^(١).

يلاحظ في هذا الدليل:

١- محاولة النصارى تفريع ما هو باطل على أصل صحيح، فهم يفرعون على ما هو صريح صحيح في كتابنا من كلام الله موسى -عليه السلام- أن الله تعالى اتحد بشجرة العليق، وكلم موسى منها، ليصلوا من ذلك إلى أنه إذا اتحد بشجرة العليق، فبعيسى عليه السلام من باب أولى، وإذا خاطبه موسى عليه السلام متحدًا بالشجرة فنحن -النصارى- لنا في موسى أسوة.

٢- كما يلاحظ محاولة توهيم المستمع لهم أنهم على شيء، وذلك بادعاء الإجماع فإذا سمع، من يناظرهم، أو يسمع لكلامهم دعوى الإجماع -ولم يكن على علم وقع في الوهم بأنهم صادقون فيما زعموا وقد ينقطع من بداية الطريق.

٣- كما أنه لا يخفى في الدليل تحميل نصوص القرآن الكريم ما لا تحتمله من المعاني، كما لا يخفى أيضًا أنهم يستدلون بما يدين به المسلمون من كون الباري سبحانه وتعالى ليس جسمًا.

وهذا الملاحظات تؤكد ما ذكرنا قبلاً في طريقة أهل الكتاب في الطعن والمحاورة ضد الإسلام والمسلمين، من أنهم يعتمدون على مسلمات المسلمين، وتحميل النصوص الشرعية ما لا تحتمل.

رد الإمام القرافي على هذا الدليل:

بنى النصارى دليلهم على أن الإجماع قد قام على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت، ثم رتبوا على ذلك اتحاده سبحانه وتعالى بشجرة العليق،

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٠).

وإذا اتحد بشجرة العليق صح قولهم باتحاده بعيسى عليه السلام.

والإمام القرافي في رده هذا الدليل أبطل ما قام عليه الدليل من دعوى الإجماع، وإذا بطل معتمد الدليل، بطلت النتائج المترتبة عليه، فيقول في رد هذا الدليل (أما قوله: إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت فكذب، إذ لم يقع في ذلك اتفاق، بل جمهور المسلمين على أن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام بصوت، بل اسمعه كلامه النفسي القائم بذاته، من غير حرف، ولا صوت، وإذا لم يكلمه تعالى بصوت بطل السؤال من أصله فإنه بناء على هذه المقدمة^(١)).

فالإمام القرافي بيّن في كلامه السابق أن المسلمين -وهم من أهل الملل الثلاث غير داخلين في هذا الإجماع، وإذا لم يدخلوا سقطت دعوى الإجماع بالكلية ثم يذكر الإمام القرافي الدليل على أن موسى عليه السلام إنما سمع الكلام النفساني، ولم يسمع صوتاً فيقول: (والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى عليه السلام للكلام الصوتي إلى أنه سمع الكلام النفسي، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

يقول القرافي: جعل بعض النبيين كلمه دون البعض، -مع اشتراك الجميع، بل هم المؤمنون والمشركون- في سماع الكلام الصوتي من التوراة وغيرها، فلولا اختصاص البعض بسماع الكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه: «من» المقتضية للتبعض، وموسى عليه السلام من أجلهم، فهو أولى بأن يخص بسماع الكلام النفسي لاسيما وقد أكد الله تعالى كلامه بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور فيتعين أن يكون المراد

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩١).

الكلام النفسي لا الصوتي^(١).

فالإمام القرافي يريد أن يقول: إن السبب في القول بالكلام النفسي مع موسى عليه السلام دون الصوتي: أن الله تعالى ذكر في كلامه عن تكليم الأنبياء لفظه «من» التي هي للتبويض، وهذا يعني: أن بعض الأنبياء كلمه الله تعالى، وبعضهم لم يحصل له التكليم، ولو كان المراد بالكلام هو سماع الكلام الصوتي، لما صح التبويض المفهوم من الآية، لاشتراك عدد كثير من الأنبياء وغيرهم من المسلمين والمشركون في سماع التوراة، وغيرها من الكتب بالصوت، وهي كلام الله تعالى.

فلولا أن الله اختص موسى بالكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه من التي تقتضي التبويض، ولما صح التأكيد الوارد في سورة النساء.

ولكن: كيف يسمع موسى عليه السلام الكلام النفسي وهو غير ملفوظ؟ وهذا ما أجاب عنه الإمام القرافي بأن الله تعالى بقدرته أوجد في نفس موسى عليه السلام -وقت تكليمه إياه- قوة سمعية سمع به كلام الله النفساني وذلك قوله: (والقدرة الربانية يمكن إيجادها لكل ممكن، فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص، الذي هو السمع في نفس موسى عليه السلام، متعلقاً بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى، فهذا هو سماع موسى عليه السلام وكلام الله تعالى النفسي)^(٢).

ولم يخف عن الإمام القرافي أن هناك من المسلمين من يقول بالكلام الصوتي مما جعله يتعرض لهذا الرأي مبيناً للنصارى أنهم قد يكونون متمسكين في دعوى

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٢، ٩٣).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٢).

الإجماع بهذا القول، ومع ذلك فهذا القول لا ينفع النصارى؛ لأن أصحاب هذا القول: لا يقولون بالاتحاد كما يقول النصارى بل يقولون^(١): إن موسى عليه السلام سمع الكلام الصوتي من شجرة العليق بدون أن يتحد الباري بها، بل الله تعالى خلق الأصوات والكلام في الشجرة، ليدل على ما قام بذات الله تعالى، فالشجرة الأصوات فيها مبلغة عن الله والمتكلم في الحقيقة هو الله تعالى.

فكما تبلغ الملائكة عن الله سبحانه وتعالى من غير حلول ولا اتحاد، فالشجرة ما هي إلا واسطة، وكما يحسن أن يقال: إن الله خاطب موسى على لسان الملك، يحسن أن يقال: إن الله كلم موسى بصوت سمعه من الشجرة، ووجود الوسائط من الملائكة وغيرها لا يمنع كون الكلام كلام الله، ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التي بلغت الملائكة كال�توراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها، كلام الله تعالى.

ثم ذكر الإمام القرافي سبب ذكره هذا الرأي مع أنه غير صحيح فقال: (وهو ليس بصحيح - أي الرأي الثاني- وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين)^(٢).

ولم أجد أحداً من السابقين واللاحقين تناول هذا الدليل بالرد عليه غير الإمام القرطبي المحدث، فإنه قال في معرض الرد على احتجاج النصارى بتكليم

(١) القائل بأن موسى عليه السلام كلمه الله تعالى بكلام صوتي صادر من الشجرة، هم المعتزلة، وذهب أبو منصور الماتريدي وأبو إسحاق الإسفرايني من أهل السنة إلى أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بصوت غير مكتسب للعباد، بمعنى: أن الله تعالى أكرم موسى عليه الصلاة والسلام فأفهمه كلامه بصوت كوني خلقه له من غير أن يخلقه لأحد من خلقه. يراجع: شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٩)، شرح المقاصد: (١١٥/٣)، حاشية الدسوقي على أم البراهين: (ص ١١٤).

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩١).

الله لموسى عليه السلام على جواز الاتحاد: كيف يستدل النصارى بالقرآن الكريم مع أنهم منكرون له، ولا يعترفون بأنه كلام الله تعالى؟ فلا يحل لهم أن يحتجوا لأنفسهم ولا لغيرهم بما يعتقدون أنه كذب، وحتى لا يعود السؤال علينا في احتجاجنا بالتوراة والإنجيل على النصارى واليهود، يقول: (وأما نحن فيمكننا أن نحتج عليكم وعلى اليهود بالتوراة والإنجيل، لأننا نعتقد أن الله أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وهما هدى قبل أن يغيرا ويبدلا، وينسخا غيرها، ثم يبين أن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام أنها هو الكلام النفسي بإدراك خلقه الله لموسى عليه السلام.

ويرى الإمام القرطبي أنه لا يجوز أن يسأل عن كيفية سماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى؛ لأن السؤال بكيف إنما هو سؤال عن حال موجود يناسب حال السائل بكيف، فإذا قيل: كيف زبد؟ يكون المعنى على أي حال هو من الأحوال التي تناسب أحوالنا؟ وإذا قيل: كيف سمع موسى كلام الله؟ فكأنه قيل: على أي حالة سمع موسى عليه السلام كلام الله من الأحوال التي نحن عليها، حين يسمع بعضاً من بعض؟ وجميع العقلاء يعلمون أنه يستحيل أن يسمع موسى كلام الله على شيء من الأحوال التي يسمع عليها بعضاً من بعض فالسائل عن كيفية سماع موسى عليه السلام كالعين يسأل عن لذة الجماع فكما أن كالعينين يصعب تفهيمه هذا السؤال؛ لعدم ذوقه لذة الجماع، فكذلك السائل هنا يصعب تفهيمه لعدم سماعه كلام الله القديم، ولا اتصف بالإدراك الذي اتصف به موسى عليه السلام^(١).

(١) يراجع: الإعلام: (ص ١٠٦، ١٠٨، ١٤٨).

تعقيب:

عند مقارنة ما ذكره الإمام القرطبي، وما قاله الإمام القرافي نجد أن القرافي أبطل ما قام عليه دليل النصارى من دعوى الإجماع على أن كلام الله لموسى عليه السلام كان بصوت، ثم بيّن كيفية سماع موسى كلام الله تعالى من أنه سمع الكلام النفساني، وعضد ذلك بالدليل من القرآن الكريم، ثم ذكر المذهب الضعيف الذي يقول بالكلام الصوتي، وبيّن فساد دليل النصارى حتى على هذا المذهب.

والإمام القرطبي سأل النصارى: كيف يستدلون بشيء ينكرونه؟ وحتى لا يعود السؤال علينا بين أننا غيرهم، إذ إننا نؤمن بالتوراة والإنجيل قبل التبديل والنسخ، فيصح لنا أن نحتج بهما عليهم.

ثم شارك الإمام القرافي في بيان المراد من سماع موسى كلام الله تعالى وشاركه أيضًا في إبطال دعوى الإجماع ولكنه أشار إلى أنه لا يصح أن يسأل عن كيفية سماع موسى كلام الله تعالى، وهذا لم يذكره القرافي، ومن هنا نقول: إن للإمام القرطبي فضيلة سبق، وأنه وإن شارك القرافي في بيان المراد بسماع موسى عليه السلام، وإن سأل النصارى كيف يستدلون بما لا يصدقون، إلا أن القرافي رحمه الله ذكر كيفية سماع موسى عليه السلام مشفوعة بالدليل الذي لا يجعل في النفس شكًا ولا ريبًا، كما أنه زاد أيضًا، بيان فسار رأي النصارى إن حمل على الرأي الضعيف القائل بالسماع الصوتي.

الدليل الثاني للنصارى:

يستدل النصارى بهذا الدليل على أن الاتحاد حصل فعلاً بنص القرآن

الكريم فيقولون: لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام في القرآن الكريم قال في حقه: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] ولما ذكر عيسى عليه السلام قال في حقه: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

يقول النصارى: اتحد المسلم والمسلم عليه في حق عيسى لأجل ما اختص به من الاتحاد، ولما لم يحصل الاتحاد ليحيى عليه السلام سلم عليه بصيغة التعدد فقال: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ﴾ وهذا نص جلي في الاتحاد في حق عيسى عليه السلام دون غيره، والمسلمون ينكرونه وهو في كتابهم.

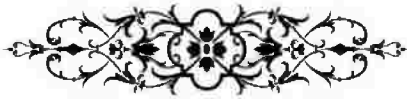
رد الإمام القرافي:

يَبْنِي الإمام القرافي أن ما قاله النصارى اغترار بما لا طائل تحته، لأن ما صدر على لسان عيسى عليه السلام لا يخلو من أن يقصد به الدعاء لنفسه بالسلامة في المواضع الثلاثة، أو يخبر بذلك عنها إن علم ذلك وقطع به، ولا اتحاد في الصورتين؛ لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول في حق نفسه، دعاء أو خبراً: السلام عليّ، ولا يفهم من كلامه أن شيئاً اتحد به.

ثم يَبْنِي أن ما جاء في حق يحيى عليه السلام أفضل مما جاء في حق عيسى عليه السلام، فيحیی أولى بالتشريف في هذا الموضع من عيسى عليه السلام؛ لأن تسليم الله على يحيى عليه السلام أفضل من قول عيسى في حق نفسه: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾، إذ خبر الله تعالى عن يحيى عليه السلام، وحصول السلامة له واقع قطعاً، وخبر الله تعالى صدق، وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع، وإخبار الله عن

العبد، أفضل من إخبار العبد عن العبد؛ لمزيد شرف الربوبية على العبودية^(١).
ولم أجد أحدًا من السابقين، ولا اللاحقين للإمام القرافي ذكر هذا الدليل
وأجاب عنه.

والله أعلم



(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٤).

obeikandi.com

المطلب الخامس شعائر دين النصارى وموقف القرا في منها

وفيه مسالك:

- المسلك الأول: المعمودية عند النصارى وموقف القرا في منها.
- المسلك الثاني: رفض النصارى للختان وموقف القرا في من ذلك.
- المسلك الثالث: الاعتراف بالذنوب للقسيس ليغفرها وموقف القرا في من ذلك.
- المسلك الرابع: العشاء الرباني عند النصارى وموقف القرا في منه.

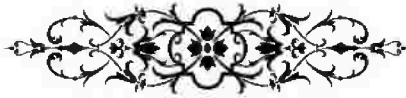


المسلك الأول المعمودية عند النصارى وموقف القرايى منها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المعمودية عند النصارى

الفرع الثاني: موقف القرايى من معمودية النصارى



الفرع الأول المعمودية عند النصارى

للنصارى أسرار كنسية سبعة^(١) يتفقون في الإيمان ببعضها، ويتنازعون في البعض الآخر، من هذه الأسرار التي يؤمن بها جميع النصارى سر المعمودية. وسر المعمودية يحتل الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة المقدسة - عند النصارى -؛ لأنه بمثابة باب يدخل منه النصراني إلى النصرانية، ولذلك يمنح هذا السر قبل أي سر آخر، ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في باقي الأسرار^(٢).

والمعمودية هي السبيل الوحيد الذي بسببه يستحق النصراني أن يخلصه يسوع المسيح، فمجرد الإيمان بالمسيح لا يكفي للخلاص عند النصارى، وهي شرط أساس؛ لنيل عضوية الكنيسة، وحصول بركات العهد الجديد عندهم^(٣).

والمعمودية تعني الصبغ بالماء، وهي كلمة معربة عن الأصل اليوناني [فابتزم] والذي هو صيغة مبالغة من كلمة [فابتين] اليونانية، والتي معناها الصبغ بالماء.

ويسمى النصارى المعمودية تسميات عدة باعتبارات مختلفة، فباعتبار طقسه المنظور يسمونه ينبوعاً مقدساً، وباعتبار نتائجه غير المنظورة يسمونه: ولادة جديدة، وختم الإيمان، وختم الدين المسيحي، والولادة الثانية، وماء

(١) هي: سر المعمودية، وسر المسحة المقدسة، وسر الشكر، وسر التوبة، وسر مسحة المرضى، وسر الزيجة، وسر الكهنوت، أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس: (ص ٣٦)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص ٤٣).

(٣) يراجع: مصباح الظلمة: (ص ٤٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص ٢٣٢، ٢٣٣).

الحياة الدائمة^(١).

كيفية المعمودية:

لا يقوم بالتعميد إلا الأسقف، أو القسيس، والشهاسة يخدمون معهم، ولا يصح أن يتقدم للتعميد من القسوس، والشهاسة الخدام إلا من تكون قراءته جيدة، وعنده معرفة بأحكام التعميد والدَّهن^(٢) وقبل العماد يشترط أن يلقب طالب العماد بعض مبادئ الديانة المسيحية خاصة النواحي الأدبية، وبعض العقائد الإيمانية الأساسية، كما أنه على المعمد أن يصوم يومًا أو يومين قبل العماد، ويصوم معه الكاهن الذي سيعمده^(٣).

وفي كل كنيسة حوض رخام يوقد حوله الشمع والمصابيح، ويملؤه القسيس بالماء، ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل، ويرمي فيه ملحًا كثيرًا وشيئًا من الدهن، فإذا جاء أحد وطلب أن يتغطس، يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس، ليشهدوا عليه -بزعمهم بين يدي الله بالتغطيس ويقول له القسيس: يا هذا اعلم: أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن يسوع ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار إنسانًا وإلهًا، فهو إله من جوهر أبيه، وإنسان من جوهر أمه، وأنه صلب ومات وعاش، وصار حيًا بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق، وأنت آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله؟ فيقول المنتصر: نعم، فحينئذ يغطس المعمد

(١) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص ٦٥، ٤٣)، الأمور المتيقنة عندنا: (ص ١٣٨) وما بعدها.

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص ٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص ٢٣٣).

ثلاثاً في الماء، ويقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس^(١).

ثم بعد ذلك يدهن القسيس، أو من يقوم بالعماد الشخص المتعمد بزيت الميرون^(٢)، ولا يسكب من يقوم بالتعميد الميرون في كفه، بل يأخذه من وعائه بطرف إصبعه، ويرشم به المتعمدين مهما كثروا^(٣) وإذا كان المعمد من النساء، فلا يكون التعميد بالحلي، ولا بشعور مصفورة ويتم عمادهن بملابسهن الداخلية، بعدما يخرج الكاهن من حجر المعمودية، وتقوم الشماسة بتغطيسهن في الماء ثلاثة مرات، ثم يرتدين ملابسهن^(٤)، وإذا كان من الأطفال فإنه يؤتى به في اليوم الثامن من ولادته مع أبيه، أو أمه، أو وصيه، ويوضع الولد بين يدي القسيس، ويخاطبه القسيس بالكلام - السابق - ويجاوب عنه أبوه أو أمه، بقول: نعم، فيقوم بتغطيسه ثلاثاً - كما سبق - ثم يدهن، ويلبس الزنار^(٥) ويستمر الزنار مربوطاً على المعمد ثلاثة أيام، أو ثمانية، ولا يحله إلا قس، أو شماس بعد صلاة تسمى صلاة الطشت، وصلاة أخرى تسمى صلاة الشكر^(٦).

ويزعم النصارى أن المعمودية تغفر الخطايا جميعاً، سواء أكانت موروثة، أو

(١) يراجع: تحفة الأريب: (ص ٨٠)، مصباح الظلمة: (ص ٢٣٥) أسرار الكنيسة السبعة: (ص ٦١).

(٢) الميرون: كلمة يونانية معناها: (طيب) تطلق في الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو ثلاثين صنفاً من أصناف الطيب، أسرار الكنيسة السبعة: (ص ١٠٤).

(٣) يراجع: مقالات لاهوتية (ص ١٥١)، مصباح الظلمة: (ص ٢٣٤، ٢٣٥).

(٤) مصباح الظلمة: (ص ٢٣٤).

(٥) الزنار: بضم الزاي المشددة: خيط غليظ بقدر الأصبع يصنع من الحرير، يربطه الذمي والمجوسي على وسطه وهو خاص بهما، يراجع: لسان العرب: (٤/ ٣٣٠)، القاموس المحيط: (٥١٤) مادة (زنر)، التعريفات (ص ١٥٣).

(٦) يراجع: تحفة الأريب: (ص ٨٠)، مصباح الظلمة: (ص ٢٣٦)، وينظر أيضاً أسرار الكنيسة: (ص ٥٤) وما بعدها.

سبق عملها للكبار^(١).

أنواع المعمودية:

المعمودية عند النصارى ثلاثة أنواع:

- ١ - معمودية الدخول في النصرانية: وهي التي ذكرناها.
 - ٢ - معمودية التوبة والدموع: وهي الندم على ما فعله الخاطئ وبكائه بشدة على خطاياه، طالباً رحمة الله.
 - ٣ - معمودية الدم أو الشهادة: ويقصدون بها: الذين يقدمون أنفسهم للشهادة على اسم المسيح، قبل وجود فرصة لعمادهم بالماء^(٢).
- تعقيب:

لا نترك المعمودية عند النصارى حتى نقول: ما هذا التناقض الذي يقول به النصارى فهم يقولون: إن العماد شرط للخلاص والفداء بدم المسيح من شرك الخطيئة، ثم يقولون: العماد يمحو الخطايا جميعاً بنفسه، فإذا كان المسيح فدى النصارى من شرك الخطيئة، فما هي فائدة العماد؟ وإذا كان العماد مكفراً عن الخطايا فما هي الحاجة إلى صلب الإله وتعذيبه؟!

ولنترك الرد للإمام القرافي وذلك في المسلك التالي.

والله أعلم

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (١٤٨)، موسوعة علوم الدين (ص ٣١١)، مصباح الظلمة: (ص ٢٣٤)، أسرار الكنيسة: (ص ٥١).

(٢) ينظر: مقالات لاهوتية: (ص ١٥٠)، أسرار الكنيسة: (ص ٧٧).

الفرع الثاني موقف القرافي من معمودية النصارى

بيّن الإمام القرافي -بعد أن ذكر كيفية التعميد- أن التعميد غير مذكور في التوراة، ثم ذكر مستند النصارى من الأناجيل فقال: (ولم يذكر التعميد في التوراة بل كتبوا في الإنجيل: أن يوحنا عمّد المسيح عليهما السلام بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء^(١)) وزعمت النصارى أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم بالآب والابن والروح القدس^(٢).

وبعد أن ذكر القرافي ما يتمسك به النصارى من نصوص كتبهم الدالة على المعمودية، كان المتوقع أن يضرب بتلك النصوص في وجوههم؛ بحجة أنه بيّن لهم من قبل بطلان الأناجيل، وتناقضها، ولكن الإمام القرافي سلك مسلكاً آخر وهو طريق التسليم الجدلي بصحة هذه النصوص، إلا أنه وإن سلم بصحة النصوص تسليماً جدلياً، فإنه لا يسلم بعموم تلك النصوص حتى يجرى النصارى الحكم عليهم، فقد تكون النصوص خاصة بعيسى عليه السلام والحواريين، وإن لم تكن خاصة فأين الدليل على عمومها؟ وإذا لم يأت النصارى بالدليل ثبت أنهم متحكمون في دينهم، بعكس المسلمين فإنهم إذا عمموا حكماً لم يثبت تخصيصه إنما يعمموه بنص شرعي صحيح عن الله ورسوله، كل ذلك ذكره الإمام القرافي في قوله: (سلمنا جدلاً صحة ما ذكرتموه من النقل، فلم قلت: إنه إذا عمد يحيى عليه السلام والحواريون، نعمد نحن؟ فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعاً عاماً، والمسلمون لم يعتمدوا على مثل

(١) متى: الإصحاح: [٣] الفقرات: [١٣-١٧].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٨] الفقرة: [١٩].

ذلك حتى ورد عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] وقوله عليه الصلاة والسلام «خذوا عني مناسككم»^(١) ونحو ذلك فأين لكم مثله؟ ولن تجدوه أبداً^(٢).

ولكن قد ينازع النصارى في عموم تلك النصوص، وهذا ما يجعل الإمام القرافي يسلم بعمومها، إلا أنه يلزمهم التحكم في الدين حتى مع التسليم بعموم النصوص فهم متحكمون على كل حال، وذلك قوله: (سلمنا عموم شرعيتها، فلم زدتم العدد ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه، ولم ينقل ذلك عنم تقدم؟ ولم تكفرون مخالفها من غير دليل على تكفيره؟).

ثم يسألهم عن الماء الذي يكون به العمد، هل هو مقدس أو لا؟ فإن لم يكن مقدساً فلا يصح به التعميد، وإن كان مقدساً، فمن قدسه؟ ولا يخلو أن يقولوا: إن الله الذي قدسه، وهنا يجيب عن ذلك الإمام القرافي بقوله: (فإن قلتم الله قدسه، فما الدليل عليه؟ فلعله نجسه).

أو يقولوا: إنهم هم الذين قدسوه، وهذا يدفعه الإمام القرافي بقوله: (ومن أنتم حتى تقدسوا المياه؟ وما الدليل على أهليتكُم لذلك؟).

ثم يسلك الإمام القرافي طريقاً آخر ينازع النصارى من خلال مضمونه في صحة ما ذكروه وذلك قوله: (ثم إن قولكم إن يحيى عليه السلام عمد المسيح عليه السلام، فهل كان عيسى عليه السلام قبل ذلك مقدساً أم لا؟ فإن قالوا:

(١) أخرجه الإمام مسلم كالحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، حديث رقم (١٢٩٧)، صحيح مسلم: (٩٤٣/٢). وأخرجه أبو داود، كالمناك، باب في رمي الجمار حديث رقم (١٩٧٠) (١/٦٠٤)، وأخرجه الإمام أحمد حديث رقم (١٤٤٥٩) عن جابر بن عبد الله.

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٤، ١٥٥).

كان مقدسًا فلا أثر لتعمده، وإن قالوا: لا، فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله، أو ابن إله؟^(١)

فالإمام القرافي سلم لهم بداية صحة النصوص ثم نازعهم في عمومها ثم سلم ثانية بعموم النصوص، ولكن ألزمهم القول في الدين بغير مستند من كتاب صحيح، ثم عاود وسلك طريقًا مضمونه أن القول بمعمودية عيسى عليه السلام الذي تتمسكون به، لا فائدة من ورائه، وإذا لم تكن فائدة فقد اشتمل كتاب سماوي على ما لا فائدة من ذكره وهذا دليل على عدم صحة النص المذكور.

وبيّن الإمام القرافي -أيضًا- في رد المعمودية: أن قولهم: نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، مناقض لقولهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته، ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح عليه السلام.

ثم يقول الإمام القرافي: (وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح عليه السلام)^(٢).

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإننا نجد الإمام القرطبي رحمه الله تعالى تناول معمودية النصارى، وأبطلها بنفس ما أبطلها به القرافي^(٣)، إلا أنه لم يذكر أن المعمودية مناقضة لعقيدة الخلاص بدم المسيح عليه السلام، بل هذه الجزئية ذكرها أبو البقاء الجعفري، واكتفى بها فقط في إبطال المعمودية عند

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٥).

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٧).

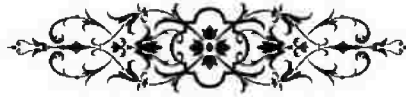
(٣) يراجع: الإعلام: (ص ٤٠٣) وما بعدها.

النصارى^(١).

وإذا ما جئنا إلى المتأخرين، فإننا نجد عبد الله الترجمان، أبطل المعمودية بقوله: (يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس، فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء؟ هل هم في الجنة أم لا؟ ولا بد أن يقولوا: هم في الجنة، فيقال لهم: كيف دخلوها وهم لم يتغطسوا؟) ثم ذكر جواب النصارى عن هذا السؤال بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس، وأجاب عن جوابهم بقوله: (وما تقولون في آدم ونوح -عليهما السلام- وذريته لصلبه فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بالإجماع؟)^(٢)

ونجد الألوسي يذكر ما ذكره الإمام القرافي من تناقض المعمودية مع عقيدة الخلاص بدم المسيح عليه السلام^(٣).

والله أعلم



(١) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥١٥).

(٢) ينظر: تحفة الأريب: (ص ٧٩، ٨٠).

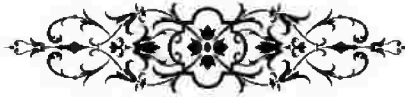
(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٩٦).

المسلك الثاني
رفض النصارى للختان وموقف القراي من ذلك

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الختان عند النصارى

الفرع الثاني: موقف الإمام القراني من رفض النصارى للختان



obeikandi.com

الفرع الأول الختان عند النصارى

يرفض النصارى الختان قائلين: لا حاجة إليه؛ إذ هو أمر يتعلق بظاهر الجسد، والأولى أن يترك الجسد كما خلقه الله تعالى. وإذا كان لا بد من تأصيل مسألة الختان عند النصارى، فلا بد من تأصيل المسألة في التوراة، والأنجيل الأربعة، وأعمال الرسل ورسائلهم، لنرى هل اتفقت كلمة هذه الكتب، أو اختلفت فيضعف متمسك النصارى، ويظهر تحكمهم في دينهم.

الختان في التوراة:

الذي ينظر في التوراة يجد أن الختان شريعة إبراهيم عليه السلام، وعهد جعله الله تعالى بين إبراهيم ونسله ومواليه وبين الله تعالى إلى الأبد، ومن لم يفعله يستحق القتل، وذلك تغليظاً في فرضية الختان، ففي سفر التكوين: «قال الله لإبراهيم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختاناً، وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبداً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي»^(١).

ولذلك ختن إبراهيم عليه السلام بعدما جاوز التسعين، وختن معه ولده إسماعيل بعدما جاوز الثانية عشرة^(٢).

(١) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [٩-١٥].

(٢) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرتان: [٢٤، ٢٥]، والصواب: أن سيدنا إبراهيم عليه

كما يجد أن الختان كان شريعة موسى عليه السلام، فقد جاء في سفر اللاويين: (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام .. وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته)^(١).

فالختان في التوراة -كتاب النصارى الأول- شريعة كل من إبراهيم وموسى عليهما السلام، وعهد أبدي بين الله تعالى وإبراهيم ونسله من بعده.

الختان في الأناجيل الأربعة:

والذي ينظر في أناجيل النصارى، يجد الختان ذكر غير مرة، فمرة: جاء فيها ختان عيسى عليه السلام، ختنه قومه وهو ابن ثمان، تأسيساً بناموس موسى عليه السلام فقد جاء في إنجيل لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع)^(٢).

ومرة: لما اعترض اليهود على عيسى عليه السلام: كيف يشفي مريضاً يوم السبت؟ فأجابهم: بأن الختان شريعة موسى تأسى فيها بمن قبله من الآباء، ثم دفع اعتراضهم: بأنه يصح الختان يوم السبت لئلا ينقض ناموس موسى عليه السلام، وإذا كانوا يختنون يوم السبت، فكيف يعترضون عليه في شفائه مريضاً

=

السلام اختتن وهو ابن ثمانين كما جاء عن النبي ﷺ مرويّاً عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين بالقدم» أخرجه البخاري، ك: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم (٣١٧٨) صحيح البخاري (٣/١٢٢٤)، ومسلم ك: الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام حديث رقم (٣٧٠)، صحيح مسلم (٤/١٨٣٩).

(١) لاويين: الإصحاح: [١٢] الفقرات: [١-٤].

(٢) لوقا: الإصحاح: [٢] الفقرة: [١].

يوم السبت؟^(١)

ولا ريب أن في جواب عيسى عليه السلام إقراراً لهم على حكم الختان إذ لا يليق برب العباد - كما يقول النصارى - ورسول مرسل من رب العالمين كما هي عقيدة المسلمين أن يترك الناس على أمر قد جاء لإبطاله إن كان رسولاً أو شرع غيره إن كان رباً كما يقولون.

فالختان في الأناجيل فعله عيسى عليه السلام، وأقر الناس على فعله إذاً هو شريعة عيسى عليه السلام، ولا سيما وأنه لم يأت لينقض الناموس بل جاء ليكمّله، ولكن: هل بقي الأمر كما كان عليه في عهد سيدنا عيسى عليه السلام أو تغير؟

الختان في سفر أعمال الرسل ورسائلهم:

بعد المسيح عليه السلام التزم التلاميذ فترة بدعوة اليهود إلى النصرانية كما هي شريعة عيسى عليه السلام، ولكن الظروف اضطرت بعضهم إلى الخروج بالدعوة إلى الأمم الأخرى، فخرج بطرس يدعو الأمم الأخرى إلى النصرانية؛ فاعترض عليه الرسل في بادئ الأمم قائلين: (إنك دخلت إلى رجال ذوي غلقه) ولكن بطرس أقنعهم بضرورة دعوة الأمم فاقنعوا^(٢).

فهذا يبين أن الختان كان لا زال شريعة أتباع عيسى عليه السلام، وأن الذي جعلهم يعترضون هو كونه دعى من لا يختتن، وشريعة عيسى إنما هي لأصحاب الختان.

(١) يراجع: يوحنا: الإصحاح: [٧] الفقرات: [٢٠-٢٤].

(٢) أعمال الرسل: الإصحاح: [١٠] الفقرات: [٤٤-٤٨]، الإصحاح: [١١] الفقرات: [١-١٩].

لكن التلاميذ إذا أرادوا دخول النصرانية إلى تلك الأمم، فعليهم أن يلاحظوا أنهم درجوا على عدم الختان، ولما كان المرسل إلى الأمم هو بولس وبرنابا أراد بولس عدم نفرة الأمم من النصرانية، فرأى أنه إذا أمرهم بالختان، فلن يدخلوا النصرانية فجعل يبشر بالنصرانية بين الأمم التي لم يكن الختان شريعة لها، ويأمرهم بعدم الختان.

ولكن ما فعله بولس أثار اليهود المتدينين، والذين كانوا يدعون إلى النصرانية مؤكدين على ضرورة الختان، مما جعل النزاع يشتد بين هؤلاء اليهود من جهة وبين بولس وبرنابا من جهة أخرى ولهذا اضطر التلاميذ إلى عقد مجمع في أورشليم قرروا فيه أنه إذا أراد أن يدخل الأمم غير اليهود في النصرانية فليس عليهم أن لا يختتنوا وأرسلوا رسالة من هذا القرار إلى الأمم وهذا نص القرار: (الرسل والمشايع والأخوة يهدون سلامًا إلى الأخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكليكية إذ قد سمعنا أن أناسًا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا... قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم تقلا أكثر من هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا)^(١).

فيلاحظ:

١- أن الرسل تركوا الختان؛ لأجل الأمم الداخلة في النصرانية، ولم تكن تختتن، ولكن لم يكن الختان مباح الترك للجميع، بل كان مفروضًا على أتباع عيسى الذين كانوا يختتنون، ولذلك جعلوا بطرسًا كبير الحواريين ومعه غيره من التلاميذ يدعون إلى الختان، وجعلوا بولس يدعو الذين لا يختتنون، يقول بولس:

(١) يراجع: أعمال الرسل: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [١-٣٦].

(إذا رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل في أيضًا للأمم، فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب، ووصفا، ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة؛ لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان)^(١).

٢- كما يلاحظ أن أول من دعى إلى عدم الختان هو بولس وكان من المفترض أن يبقى الأمر على ما تفق عليه الرسل، أن الختان لليهود، وتركه لغيرهم ولكن ما لبث بولس أن نهى عن الختان، وبين أنه من اختتن فلا ينفعه المسيح شيئاً، وأنه أمر جسدي لا فائدة فيه، وأن الإيمان بالمسيح يكفي^(٢).

ولكن لما كان من الصعب على اتباع عيسى الذين هم أهل الختان تركه، لجأ بولس إلى وجود بديل لهم عن الختان، فعلمهم أن المعمودية إنما هي بدل الختان، وذلك قوله: (وبه أيضًا ختتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية)^(٣).

ومما سبق يتضح: أن الختان موجود في التوراة والأنجيل، وظل عليه أتباع المسيح، حتى جاء بولس وتدرج في القضاء على شريعة الختان، فهو الذي أبطلها والنصارى اتبعوه في هذا الضلال.

والله أعلم

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية: الإصحاح: [٢] الفقرات: [٧-١٠].

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية: الإصحاح: [٥]، الفقرة: [٢]، والإصحاح: [٦] الفقرات: [١١-١٦].

(٣) رسالة بولس إلى أهل كولوسي: الإصحاح: [٢] الفقرتان: [١١، ١٢].

الفرع الثاني

موقف الإمام القرافي من رفض النصارى للختان

ناقش الإمام القرافي النصارى في تركهم الختان، فبين أنهم لم يستندوا في ذلك إلى نص عن الله تعالى، ولا عن عيسى عليه السلام، بل تركوه تحكما وهوى وذلك قوله: (ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم، لا بأمر مولاهم، ورأوا إطالة الغرلة دينًا، لا يسع أحدهم خلافة)^(١).

ثم بيّن أنهم بذلك خالفوا شريعة التوراة وشريعة عيسى عليه السلام، ونهج التلاميذ من بعده^(٢)، وذلك قوله: (وتركوا التوراة والإنجيل وسار النبوات)^(٣) ففي التوراة: أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بالختان فقال له: (هذا عهدي بيني وبينك وبين نسلك بعد أن يختن غرلته كل ذكر منكم، ومن عبدانكم، ليكون عهدًا مسيّمًا في أجسادكم عهدًا دائمًا إلى الأبد، وكل ذكر لا يختن غرلته، فلتهلك تلك النفس من شعبها؟ لأنها أبطلت عهدي)^(٤).

يقول الإمام القرافي: مستدلًا بهذا النص على كفر النصارى: (فنصت التوراة على الختان للأبد، وأن تاركه يقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فإن القتل من شعائر الكفر عندهم، فهم الكفرة حينئذ). وقال في مخالفة ما كان عليه المسيح

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٩).

(٢) وذلك قبل أن يندس بينهم بولس، ويحض على ترك الختان كما ذكر.

(٣) ذكر الإمام القرافي أن النصارى مخالفون للنبوات، ولم يذكر نصًا على ذلك من النبوات غير أسفار موسى الخمسة، مما يجعلنا نضطر إلى ذكر شيء من ذلك، فقد جاء في سفر يشوع: (أن الله تعالى أمره أن يختن جميع بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ففعل يشوع كما أمر الله تعالى، وختن بني إسرائيل) الإصحاح: [٥] الفقرات: [٢-٩].

(٤) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [٩-١٥].

وتلاميذه من الاختتان: (وقد اختتن المسيح وتلاميذه)^(١).

ثم ذكر ما يدل على إمامه بدين النصارى، وتاريخهم من أنهم لم يزالوا على الختان حتى جاءهم بولس، وذلك قوله: (ولم تزل النصارى كلها تختتن إلى زمان بولس فنهاهم بولس)^(٢).

ثم ذكر ما يحتج به النصارى في ترك الختان وأجاب عنه:

الحجة الأولى:

يقولون: المراد بالختان الوارد في التوراة: هو نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب؛ لأن اليهود كانت قلوبهم غلفة، فغلوفة القلب هي المضرة، أما غلوفة اللحم فلا مضرة فيها^(٣).

جواب الإمام القرافي:

يرد الإمام القرافي ما قاله النصارى من أن المراد بالختان إنما هو طهارة القلب بأن هذا كذب، ولو كان صحيحاً ما قالوه، فكيف خفيت هذه النكتة على موسى عليه السلام وسائر الأنبياء؟ ولم فعل الختان يحيى وعيسى عليهما السلام. هل هؤلاء الأنبياء لم يفهموا المراد من الختان حتى جاء هؤلاء وفهموه هم؟

(١) ختان المسيح جاء في إنجيل لوقا: الإصحاح: [٣] الفقرة: [٢١]، وما ذكر في المسلك الأول من اعتراض الرسل على بطرس أنه كيف يدعو ذوي الغلغة، يدل على أن الرسل كانوا مختونين.

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٢٠).

(٣) يقول بولس: (لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح هو الختان) رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح: [٢] الفقرتان [٢٨، ٢٩].

أوهم فهموه، وأخفوا المراد منه على أقوامهم؟ حاش للرسل أن يفعلوا ذلك^(١).

الحجة الثانية للنصارى:

يقولون: لا منفعة في الختان، ولا حاجة إليه^(٢).

جواب الإمام القرافي:

يتعجب الإمام القرافي من أمر حكم الله به، وبلغته رسله عليهم السلام، وعملوا به، كيف يعترضون عليه بأنه لا منفعة فيه؟ فقد كان يكفي أن الله تعالى أمر به، ثم بين أن النصارى بذلك ينسبون الله تعالى إلى السفه والعبث؛ لأنه يشرع ما لا منفعة فيه.

وبعد أن أجاب الإمام القرافي بالجواب السابق، أكد به بيان المنافع في الختان حتى لا تبقى لهم حجة، ويظهر كذبهم فيما قالوا. وهذه هي منافع الختان التي ذكرها الإمام القرافي:

- ١- ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى في الآخرة، وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة.
- ٢- أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة في النظافة، ومع زوالها يتأتى ذلك.
- ٣- أنه ألد في الجماع، وأسرع لمجيء الشهوة، وقد تكسل الغرلة عن الإنزال.
- ٤- أنه أسرع في تدفق الإنزال، وانزعاج الماء لعدم الغلوف، والغرلة تثبطه وتفتره، وإذا خرج فاتراً قلت اللذة، وبعد عن محل التخليق فيبعد حصول الولد الذي هو أسمى المقاصد في النكاح استبقاء للنوع الإنساني الشريف، وتسبباً لإيجاد من يوحد الله تعالى ويعبده.

(١) يراجع الأجوبة الفاخرة: (ص ٢٤، ٢٥).

(٢) ينظر: موسوعة علوم الدين: (ص ٢٣٧).

٥- أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان وأياد امتنان، وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها، ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدًا في الجسد إلى الممات، وهذه خصيصة عظيمة، دالة ما بقى الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه، وأنه حاز شرف الإنابة، والطاعة لديه، وكفى بهذه المنة للإنسان على مر الزمان، وإليه الإشارة في التوراة: (ليكون عهدي مسيماً في أجسامكم عهداً دائماً إلى الأبد)^(١).

يقول الإمام القرافي: (فهذه خمس فوائد جليلة جهلها الأغبياء، وشقى بتركها السفهاء)^(٢).

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإننا نجد الإمام أبا العباس القرطبي يذكر تحكم النصارى في دينهم، ومخالفتهم أحكام التوراة، ويذكر الحجتين اللتين ذكرهما الإمام القرافي عن النصارى، ويحجب عنهما بمثل ما أجاب به الإمام القرافي، إلا أن عبارة القرطبي أوسع وأشمل من عبارة القرافي، وأيضاً نجد أن القرطبي ذكر للختان الفوائد الأربعة الأولى التي ذكرها الإمام القرافي، وأما الفائدة الخامسة فهي من نتاج الإمام القرافي، وهذا يبين شخصية القرافي العلمية، وهي أنه وإن تأثر بالقرطبي إلا أن أضاف فائدة جليلة نفت عنه أن يكون كحاطب ليل.

ومما يذكر أن الإمام القرطبي زاد ما يبين تناقض النصارى وكذبهم وذلك قوله: (ثم العجب من كذبهم وتناقضهم حيث حكوا عن عيسى أنه قال: «لم آت لأنقض شريعة من قبلي، وإنما أتيت لأتممها»^(٣) فإن كان هذا القول حقاً عندهم،

(١) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرتان: [١٠، ١١].

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٢٥).

(٣) متى: الإصحاح: [٥] الفقرة: [١٧].

فلأي شيء نقضوا شريعة من قبله حرفاً حرفاً؟ وإن كان كذباً فكفاك بذلك فساداً وخلفاً»^(١).

ونجد أيضاً أبا البقاء الجعفري يذكر مخالفة النصارى لنصوص التوراة والإنجيل، بنص قريب من نص الإمام القرافي، ويذكر أن النصارى لم يزلوا يختنون إلى أن جاء بولس كما ذكر الإمام القرافي^(٢).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإننا نجد الإمام الألويسي يذكر أن ترك النصارى للختان مخالف لما جاء عن عيسى عليه السلام من كونه لم يأت ليبطل شريعة موسى عليه السلام، ثم يذكر حكم الختان في الإسلام ويؤيد ذلك بالأحاديث ثم يذكر كل ما ذكره الإمام القرافي في رده على النصارى في ترك الختان، مصرحاً بالنقل عن القرافي^(٣).

تعقيب:

من خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى تأثر بالإمام القرطبي وأبي البقاء الجعفري، إلا أنه أضاف ما لم يذكره من كون الختان سمة ثابتة في المرء تدل على كون الإنسان امتثل طاعة مولاه وأذعن لشرعة، ولا ريب أن تلك الإضافة أبرزت شخصية القرافي وأنه وإن تأثر بغيره إلا أنه احتفظ بمعالم شخصيته.

كما يظهر تأثير القرافي في الإمام الألويسي رحمه الله.

والله أعلم

(١) يراجع: الإعلام: (ص ٤٢٠-٤٢٢).

(٢) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥٨٨، ٥٨٩).

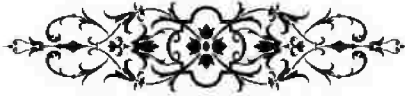
(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (٢/ ٣٢٧-٣٣٦)، وينظر: تحفة الأريب (ص ١١٢)، الجواب الصحيح: (١/ ١١٧)، هداية الحيارى: (ص ١٨٤)، إظهار الحق: (١/ ٣٥٥).

المسلك الثالث
الاعتراف بالذنوب للقسيس ليغفرها
وموقف القرا في من ذلك

وفيه فرعان:

الفرع الأول: سر الاعتراف عند النصارى (سر التوبة)

الفرع الثاني: موقف القرا في من الاعتراف بالذنوب للقسيس



obeikandi.com

الفرع الأول سر الاعتراف عند النصارى (سر التوبة)

الاعتراف بالذنوب أمام الكاهن، أو القسيس لنيل الغفران منه، سر مقدس من أسرار الكنيسة السبعة، يقدسه النصارى الكاثوليك، والأرثوذكس، ويرفضه النصارى البروتستانت.

ويسمى: حلاً للخطايا، واعترافاً، ومصالحة، ومعمودية ثانية^(١)، ويعتقد النصارى: أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفى منه ذنباً فلا ينفعه إقراره بعد ذلك^(٢).

ويقصد النصارى بسر الاعتراف: أن يعترف الخاطئ بخطياه أما كاهن الله، إقراراً مصحوباً بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطيئة، وعدم الرجوع إليها؛ لينال الغفران بفعل الروح القدس الذي يستدعيه الكاهن في صلاة التحليل^(٣) ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام هو الذي منح تلاميذه وخلفاءهم سلطاناً أن يجلو الخطايا ويربطوها، وأن يتركوها ويمسكوها بقوة روح الله القدس، وأن يعلنوا غفران الخطايا للبشر.

والكاهن أو القسيس عندهم أفضل من الملائكة؛ لأن ساكني الأرض - الكاهن أو القسيس - قد سمح لهم أن يسوسوا ما في السموات، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة؛ لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تخلونه على الأرض يكون محلولاً

(١) أسرار الكنيسة السبعة: (ص ٩٧).

(٢) ينظر: الأريب (ص ٩١).

(٣) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة (ص ١٩٧، ٢١٠)، الأمور المتيقنة عندنا، (ص ٧١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص ٢٤).

في السماء^(١) والمسيح قال لهم ذلك، فقد جاء في إنجيل متى أنه قال للتلاميذ: (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلون على الأرض يكون محلولاً في السماء)^(٢).

والكاهن أو القسيس لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقط، بل يمسخ وينظف ذنوب النصارى المتوفين أيضاً، بل إنه ليملك القدرة على إصدار قرار يمنع من دخول الجنة، لأي فرد شاء، وهو ما يعرف بالحرمان عندهم^(٣).

والكاهن عندهم وكيل أسرار الله، وهو طبيب وأخصائي اجتماعي ونفسي ومرشد روحي يعرف أمراض الخطيئة، ويقدم العلاج بها له من خبرة^(٤).

ويستدلون على الاعتراف إضافة لما ذكر من قول عيسى عليه السلام للتلاميذ بأن الإنسان في كل أدوار حياته يحتاج على من يواسيه في أموره، فتراه يشكو همومه وأتعبه وما يضايق نفسه إلى صديق أو حبيب له؛ طلباً لمشورة، أو تنفيساً لكرب، أو تخفيفاً للألم، أو مشاطرة له فيما يشعر به، أضف إلى ذلك: أن الإنسان إذا أخطأ ضد إنسان آخر، واعترف له بخطأه وطلب سحاحه استراح ضميره وتصلح مع خصمه^(٥).

ولكن: هذا الكلام يكون مقبولاً، لو أن صاحب الذنب يعترف؛ ليجد مخرجاً من ذنبه؛ أو تخفيفاً عما وقع فيه، وأين مشاورة الصاحب أو الصديق،

(١) أسرار الكنيسة السبعة: (ص ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١).

(٢) متى: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [١٨].

(٣) ينظر: المدخل إلى علم مقارنة الأديان بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ بكر زكي عوض: (١/ ٢١٤، ٢١٥)، طبعة وزارة الأوقاف، ط: الثانية ١٤٢٦ هـ.

(٤) مصباح الظلمة: (ص ٢٧٧) هامش (١).

(٥) ينظر: أسرار الكنيسة: (ص ٢١٠، ٢١١).

والتي هي بمحض اختيار الإنسان من الاعتراف جبرًا - وإلا لا دخول للجنة - لواحد من البشر يصيب ويخطئ؟ وأين طلب المسامحة من المساء إليه من طلب المسامحة من شخص لم يسيء إليه؟ فالأولى أن تطلب المسامحة من الله تعالى بدلاً من القسيس وإن قالوا: إن القسيس وسيط بيننا وبين الله، قلنا فمن هو الوسيط بن القسيس وبين الله تعالى؟

ونظرًا لأن سر التوبة لا يمنح إلا مرة واحدة في الحياة، ولأن التأديبات الكنسية التي تفرض على التائب قد تكون شاقة، فعليه أن يرتدي ثياب الفقراء، ويهمل الاهتمام بالنظافة ويصوم ويمتنع عن أكل اللحم ويتصدق، وعليه أن يمتنع من العلاقات الزوجية، وربما امتد الحرمان من العلاقات الزوجية بعد المصالحة حتى الموت، نظرًا لكل هذا، فإن الخاطئين يؤجلون توبتهم إلى أطول وقت ممكن وغالبًا إلى دنو الموت^(١).

والاعتراف بالذنوب ماحي لجميع ذنوب العاصي مهما عظمت أو كثرت عند النصارى^(٢) هذا على العكس مما ذكره الإمام القرافي عنهم من أنهم يحصون ذنوبًا تغفر وذنوبًا بعدم المغفرة^(٣) ولعل الأمر قد تغير في أيامنا عما كان عليه النصارى زمن القرافي وهذه هي طبيعتهم إذا استحسنوا أمرًا جعلوه دينًا حتى ولو لم يكن له ذكر في كتبهم.

والله أعلم

(١) ينظر: موسوعة الأديان في العالم (المسيحية) إعداد البروفسور: جان ماري كريزاس ود. جمال مدكور بالتعاون مع دار كرييس انترناشيونال (ص ٥٦، ٥٧)، الناشر: دار كرييس، ط / الأولى، ٢٠٠٠م، وينظر أسرار الكنيسة: (ص ٢٢٤) وما بعدها.

(٢) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة، (ص ٢٣٤).

(٣) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٥) وما بعدها.

الفرع الثاني

موقف الإمام القرافي من الاعتراف بالذنوب للقسيس

قبل أن يناقش الإمام القرافي النصارى في مسألة الاعتراف، صوّر مذهبهم مبيناً كيفية الاعتراف وما يلحقه من تأديبات. ثم ذكر تقسيم النصارى الذنوب إلى قسمين:

ذنوب يغفرونها، وذنوب ليست كذلك^(١): ثم ألزمهم على مسألة الغفران إلزامين هما:

الإلزام الأول:

يلزم الإمام القرافي النصارى على ما يذهبون إليه من وجوب الاعتراف للقسيس أنهم بذلك يساعدون على المجاهرة بالمعاصي^(٢)، ونشر الفضيحة والعار، وهذا خلاف ما جاءت به الأديان السماوية من كتمان المعصية، والأمر يستر الذنوب على الناس، وذلك قوله: (يبحثون العصاة على المجاهرة بالمعاصي، وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار في الذراري والأعقاب، ويبقى أهل ذلك

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٢٧، ١٥٥) وما بعدها، ولا داعي لذكر تصوير الإمام القرافي لمذهب النصارى: لأننا قد صورناه في المسلك السابق، وأما ما ذكره من ذنوب تغفر، وذنوب لا تغفر، فهذا هو مذهب النصارى زمن الإمام القرافي أما اليوم، فلا يقوم ذنب مهما عظم أمام غفران الراهب أو القسيس كما ذكر في المسلك السابق، ولذلك لا داعي لذكر ما ذكره الإمام القرافي هنا.

وقد شارك الإمام القرافي في تقسيمات النصارى الذنوب إلى ما يغفر، وما لا يغفر الإمام القرطبي وهو معاصر للإمام القرافي: الإعلام (ص ٤٠٥) وما بعدها، مما يؤكد ما ذكره الإمام القرافي عن القوم.

(٢) لأن العاصي إذا علم أنه متى اعترف غفرت ذنوبه، فما يمنعه من اقتراف المعاصي، والمجاهرة بها، ما دام لم يكن هناك حد رادع عن اقترافها سوى أنه لا بد أن يعترف بذنوبه يوماً ما.

البيت مسبة على وجه الدهر، وهذه مفسد كبيرة، لم تأمر بها شريعة، لكنها من بدعهم الفظيعة^(١).

الإلزام الثاني:

ويلزمهم أيضًا أن يكون قسيسوهم، وأساقفتهم أفضل من الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإنه لم يكن لنبي ولا رسول أن يغفر ذنوب أحد من الناس، أما قساوسة النصارى، والأساقفة، فلهم أن يغفروا الذنوب مهما عظمت، وأن يجرموا من أرادوا حرمانه، وذلك قوله: (بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا غفران الله، وحرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان يقبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله، وليس للأنبياء عليهم السلام شيء من ذلك، بل الحكم كله عند كل نبي من الأنبياء لله تعالى)^(٢).

وبعد أن ذكر الإمام القرافي ما يلزم النصارى على اعترافهم يستدل عليهم بما جاء في القرآن الكريم من أن ملك السموات والأرض لله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولا يقدر على ذلك سواه سبحانه، وذلك قوله: (بل الحق ما قاله رب العالمين في كتابه المبين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبِّ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]^(٣).

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإننا نجد الإمام القرطبي

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٢٧).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٧).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٧).

صنع مثل صنيع الإمام القرافي بأن صور مذهب النصارى، وذكر تقسم الذنوب عندهم إلى ما يغفرونه، وما لا يغفرونه، وذكر أنه يلزم النصارى أن يكون قساوستهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام، إلا أنه لم يذكر الإلزام الأول الذي ذكره القرافي، ولكنه زاد مخاطباً القسيسين: (فإن غرکم الشيطان وقد فعل بأن تقولوا: إن لنا لأجل القسيسية منزلة وحظوة فاتركوا العمل بشريعتكم؛ لأجل ما لكم عند الله من الفضل، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً من الفواحش)^(١).

ونجد أبا البقاء الجعفري يشرح مذهب النصارى ويكتفي بأن ما يقوله النصارى فضيحة من فضائح النصارى، يعير بها أولاد صاحب الذنب جيلاً بعد جيل^(٢).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فإننا نجد عبد الله الترجمان يسأل النصارى لأي شيء تفعلون ذلك، ولم يأمر به عيسى عليه السلام، ولا أقر له تلاميذه يوماً ما بذنب مع أنه أقدر في زعمكم على غفران الذنوب من جميع القسيسين، إذ هو عندكم هو الله وابنه؟ كما أنه يسألهم: إذا كان القسيس هو الذي يغفر الذنوب لكم فمن الذي يغفر له ذنوبه؟ ثم يؤكد لهم أنهم بكفرهم وإشراكهم لا يغفر الله لهم ذنوبهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وإذا كانت مغفرة الله لهم محالاً - بخبر الصادق - فمغفرة القسيس لهم أشد في المحال^(٣).

ونجد الإمام الألويسي يذكر نقداً لبعض علماء النصارى البروتستانت الذي يرفضون الاعتراف بشدة، من هذا النقد:

(١) ينظر: الإعلام: (٤٠٥) وما بعدها.

(٢) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٥٩٥/٢).

(٣) يراجع: تحفة الأريب (ص ٩٢).

١- أن جميع الكهنة ولا سيما الغير متزوجين لا يقدرّون على ضبط شهواتهم، فاستماعهم الاعترافات مما ينهض شهواتهم، ويحركها للوقوع في فخ الشيطان ويسهل عليهم طريق الوصول إلى مرغوبهم؛ لأنهم بواسطته يعرفون من هي أهل لذلك، ولولا هذه المعرفة ربما كان برقع الوظيفة يجعلهم يستحيون من الطلب خوفاً من أن الباب الذي يقرعونه لا يفتح لهم.

١- أن بعض النساء والرجال إذا عملوا خطيئة، وكانوا من أرباب الحياء أو يخشون إظهارها، يتركون التوبة، وربما يكون ذلك باعثاً على فتح باب الخطايا، وارتكاب المحرمات.

ثم يقول الإمام الألوسي بعد أن أطال النقل عن علماء البروتستانت: (هذه العقيدة -الاعتراف- هل يقول بها ذو عقل، ويُجَوِّزها غيور على البنات والأهل؟ وهل هذه نظافة القلوب والصدور أم آلة الفسق والفجور، ودنس لا يزيله الماء، ووسخ لا تطهره وإن أمطرت عليه السماء؟^(١))

ومن خلال ما سبق يتضح: أن الإمام القرافي متأثر بالإمام القرطبي إلا أنه وإن تأثر به لا يفقد شخصيته العلمية، ولذا أضاف ما لم يذكره الإمام القرطبي، من أن الاعتراف يعين على إشاعة الفاحشة ويفضح أسرار الناس، وهذا مخالف لما أمرت به الشرائع كلها، من وجوب الستر، والأمر بكتّم الفواحش.

وإذا قورن ما ذكره القرافي بما ذكره غير الإمام القرطبي نجد أن رد الإمام القرافي أقوى من رد أبي البقاء الجعفري والألوسي؛ لأن الأول لم يزد عن كون الاعتراف فضيحة من فضائح النصارى، يلزم منها مذمة أبناء صاحب الذنب على مر الأجيال، والألوسي لم يزد عما ذكره عن علماء البروتستانت إلا أن هذا

(١) الجواب الفسيح: (٣٢١/٢) وما بعدها، وينظر: هداية الحيارى (ص ١٨٥).

الاعتراف لا يقوله عاقل أو غيور، ولا ريب أن رد القرافي أقوى من هذين الردين فضلاً عن كونها غير كافيين لرد مسألة كهذه، إذ مجرد الإعلان عن كون الأمر فضيحة بدون بيان ما يؤكد ذلك لا يكفي ومجرد الإعلام بأن الأمر لا يقبله عاقل لا يكفي؛ لأنه يمكن رد الجواب عليه فيقال مثلاً: إن نفي الاعتراف لا يقول به عاقل، وهذا سهل.

ولكن إذا قورن رد الإمام القرافي بما ذكره أبو عبد الله الترجمان، كان رد الترجمان أقوى من رد الإمام القرافي؛ لأنه نفى وجود مستند وقوعي للنصارى على ما يقولون به، وإذا انتفى المستند مع وجود من هو أحق بأن يغفر الذنوب وهو عيسى عليه السلام؛ لأن النصارى يقولون بربوبيته، بطلت العقيدة من أصلها.

والله أعلم

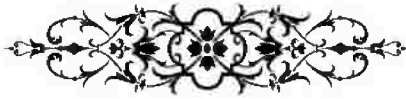


المسلك الرابع
العشاء الرباني عند النصارى وموقف القراي منه

وفيه فرعان:

الفرع الأول: العشاء الرباني عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف القراي من العشاء الرباني



obeikandi.com

الفرع الأول العشاء الرباني عند النصارى

العشاء الرباني عند النصارى الكاثوليك والأرثوذكس سر مقدس، به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي.

وبيان ذلك عندهم:

أنهم يجتمعون في كنائسهم يوم الأحد من كل أسبوع، ويوم عيد الفصح^(١) على قسيس يأتي بخبز وخر، ويدعو عليهما بأدعية خاصة، يزعم أنها تحول هذا الخبز والخمر إلى دم المسيح ولحمه، ويأمرهم بأن يأكلوا من جسد المسيح، ويشربوا من دمه، وذلك ليتحد جسدهم بجسد المسيح، ولينالوا حياة أبدية، لأن المسيح قال لهم: (من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية)^(٢).

ويتناول كل من حضر من الخبز والخمر، واضعاً كفه اليسرى على اليمنى، ويقول الأسقف، أو القسيس لكل متناول: خبز السماء في المسيح يسوع، ويجب المتناول، آمين، ويقول الأسقف: خمر السماء في المسيح يسوع ويجب المتناول: آمين^(٣).

ويسمى النصارى هذا السر تسميات عدة فيسمونه: العشاء السري،

(١) عيد الفصح من أعياد اليهود أصلاً، يقيمونه في الرابع عشر من شهر نيسان (إبريل) وهو يسمى عند النصارى بعيد القيامة المجيد، ويحددونه يوم الأحد التالي ليومي الرابع عشر والسادس عشر من شهر (نيسان). يراجع تاريخ الكنيسة القبطية (ص ٥٦)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص ٢٥٨)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: (ص ٦٧).

(٢) يوحنا: الإصحاح: [٦] الفقرة [٥٤].

(٣) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة: (ص ١١٥، ١٧٤، ١٧٥) الأمور المتيقنة عندنا: (ص ١٤٤) وما بعدها، الكنيسة المسيحية: (ص ٢٣٩)، موسوعة الأديان في العالم (المسيحية) (ص ٣٦، ٣٧).

والعشاء الإلهي ومائدة الرب، وجسد المسيح، وسر الشكر، والخبز السماوي وغير ذلك.

ويزعم النصارى أن كل جزء من الخمر ومن الخبز في العشاء الرباني، حتى أصغر الأجزاء ليس هو جزء من جسد المسيح ودمه، بل ينال به المؤمن جسد المسيح كله ودمه كله، وأنه إذا كان العشاء الرباني يقام في كنائس كثيرة في وقت واحد فجسد المسيح هو واحد ودمه واحد في جميع الأمكنة والأزمنة.

ولئن قيل لهم: كيف يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح عليه السلام ودمه؟ فإنهم يقولون: إنها يتحولان تحولاً سريعاً لا يدخل تحت الحواس، ولا ينبغي لأحد أن يسأل عن أعمال الله بكيف^(١).

ويحتاج هذا السر عند النصارى إلى تطهير النفس من الخطيئة بالتوبة، والاعتراف، والتصميم الشديد على هجر الشر، وتهذيب النفس بالأخلاق الحميدة، كما أنه إذا كان الخبز والخمر هما جسد المسيح ودمه حقيقة -عندهم- فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود يقول يوحنا ذهبي الفم: (هذا الجسد كما كان بعد في المزود خجل منه المجوس ورجال كفره وبرابرة، تركوا أوطانهم وبيوتهم، وقطعوا طريقاً طويلة، وأتوا وسجدوا له، فلنقتدي إذن بالبرابرة على الأقل) ويقول أغسطينيوس^(٢): (ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم

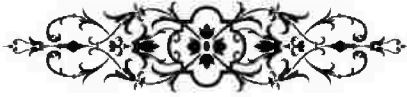
(١) ينظر أسرار الكنيسة: (ص ١١٦، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢).

(٢) ولد في بلاد أفريقيا بمدينة تاغا في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في السنة الرابعة والخمسين من القرن الرابع لميلاد المسيح، أنشأ مدرسة في قرطاجنة؛ لتعليم الفلسفة وعلم البيان، توفي في اليوم الثامن والعشرين من شهر آب (أغسطس) عام ٤٣٠ للميلاد وله من العمر ٧٦ سنة قضى منها أربعين عاماً في خدمة المسيحية، مروج الأخبار في تراجم الأبرار (٢/ ٤٨٦، ٤٩٠).

يقدم له عبادة إلهية^(١).

هذا: وإذا كان النصارى الكاثوليك والأرثوذكس يتفقون على العشاء الرباني ويرفضه بشدة البروتستانت فإنهم يختلفون في تفاصيله، فبينما تقدم الكنائس الأرثوذكسية الخبز والخمر؛ ليتحولوا إلى جسد المسيح ودمه، ترفض الكنائس الكاثوليكية تقديم الخمر، وترى أن الذي يتحول هو الخبز فقط دون الخمر وبينما يشترط الأرثوذكس الخبز والخمر في العشاء الرباني، يرى الكاثوليك أنه لا يتم العشاء الرباني إلا بالفطير^(٢).

والله أعلم



(١) ينظر: مقالات لاهوتية (ص ١٦١)، مصباح الظلمة (ص ٢٧)، أسرار الكنيسة السبعة (١٤١، ١٤٢).

(٢) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة: (ص ١٦٧، ١٦٨، ١٧٦).

الفرع الثاني

موقف الإمام القرافي من العشاء الرباني

لا يكتفي النصارى بمجرد اعتقاد أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسم ودم المسيح عليه السلام وأنهم يأكلون الجسد، ويشربون الدم، بل يتخذون ذلك قرباناً يتقربون به إلى الله تعالى، بل هو القربان الوحيد عندهم^(١).

والإمام القرافي في مناقشته النصارى فيما يتصل بالعشاء الرباني (القربان) بين لهم أن التوراة تخبر أن القربان إنما يكون عن طريق الذبائح لله تعالى، وكون النصارى يجعلونها بالخبز والخمر دليل على أنهم خالفوا أحكام التوراة التي لم يكن لعيسى عليه السلام أن ينقضها، وذلك قوله: (إن الأنبياء وبني إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما في التوراة: العجول والجزر والخرفان)^(٢) فانظر إلى هؤلاء، كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع في القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر، لأنهم متبعون لهواهم؟^(٣).

ثم بين لهم أن عيسى عليه السلام كان يؤمن بقربان موسى، ويعتبره القربان إلى الله، ويقر الناس عليه، فإذا جاء النصارى وابتدعوا قرباناً من عند أنفسهم، فقد خالفوا شريعة عيسى عليه السلام بمجرد الرأي والهوى، وذلك قوله: (ومن العجيب أن في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال للمبروص الذي شفاه أمض وأعرض نفسك على القسيسين وأنفذ قربانك الذي أمر به موسى عليه

(١) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة (ص ١٥٧).

(٢) جاء في سفر اللاويين: (إذ قرب إنسان منكم قرباناً للرب فمن البقر والغنم تقربون قرايبكم) الإصحاح: (١) الفقرة: (٢)، وينظر الإصحاح: [٣] والإصحاح: [٤] والإصحاح: [٥] الفقرة: [٦].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٩).

السلام^(١).

يقول القرافي: (وهو نص على أن القربان عند عيسى عليه السلام، هو ما شرع على لسان موسى عليه السلام، لا ما شرعتموه من الهذيان، فظهر أنهم تركوا التوراة لغير شيء بل للهوى، والتحكم في الشرع)^(٢).

رد استدلال النصارى:

النصارى يستدلون على صحة القربان بقول عيسى عليه السلام في الإنجيل: (من أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء، فمن أكلني يحيى بي)^(٣).

والإمام القرافي يرد ما تمسك به النصارى، بأنهم ينبغي عليهم أن يتحققوا صحة نقل ذلك عن عيسى عليه السلام، فإن لم يصح فلا معنى للاستدلال به، وإن صح فالأولى ألا يحمل على ظاهره، بل يحمل على ما يليق بمنصب عيسى عليه السلام من أنه عليه السلام شبه ما جاء به من الهدايات وهي أمور معقولة، بما هو محسوس من غذاء الأجساد، كأن عيسى عليه السلام يريد أن يقول من اتبعني وصدق ما جئت به، تحققت له الحياة الحقيقية التي هي حياة الأرواح وسعادتها، ومن لم يتبعني شقيت روحه وتعست وعاش حياة بائسة، وذلك قوله: (وأما قول عيسى عليه السلام: «من أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء» فقد حملوه على ظاهره، وإنما ينبغي لهم أن يسعوا في صحة النقل أولاً، فإذا صح حمل على ما يليق بمنصبه، وهو أنه عليه

(1) متى: الإصحاح: [٨] الفقرات: [٤-١] مرقس: الإصحاح: [١] الفقرات: [٤٥-٤٠]

لوقا: الإصحاح: [٥] الفقرات: [١٢-١٥].

(2) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٦٠).

(3) يوحنا: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٥٦-٥٩].

السلام عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهو أنه عليه السلام أتى بأنواع الهدايا، وتفاصيل الأحكام وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك فمن اتبعه اغتذت روحه، وتوفرت قواها، وحصلت لها مسرتها ونعمائها، وأمنت شقاها وخيبة مسعاها، وليس المراد الخبز المحسوس ولا الدم المشاهد^(١).

وأخيراً يعجب القرافي من إنكار النصارى على اليهود قتل عيسى وصلبه كما يعتقدون مع أنهم بما يفعلونه إن كان صحيحاً فهم أشد نكايه من اليهود بالمسيح، فاليهود قتلوه وصلبوه، وهذا أهون من تمزيق لحمه وشرب دمه، وذلك قوله (رووا عن المسيح عليه السلام أنه أعطاهم خبزاً وقال: هذا جسدي فكلوه، وأعطاهم خمرًا وقال: هذا دمي فاشربوه)^(٢) يقول القرافي: (وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد، وشربوا دمه في المواسم والأعياد، وإنما يفعل ذلك أرباب الضغائن والأحقاد!)^(٣).

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإننا نجد الإمام القرطبي يذكر ما ذكره الإمام القرافي^(٤)، ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر المقارنة التي قارنها القرافي بين النصارى واليهود، والتي لزم عنها أن يكون النصارى أشد

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ١٥٩، ١٦٠) وقد جاء في إنجيل يوحنا ما يؤيد ما ذكره الإمام القرافي فقد قال عيسى: (أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً) الإصحاح: [٦] الفقرة: [٣٥].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرتان [٢٧، ٢٨]، مرقس: الإصحاح: [٤]، الفقرات [٢٢-٢٤] لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [١٩-٢١].

(٣) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ١١٩).

(٤) ينظر: الإعلام: (ص ٤٢٩) وما بعدها.

نكاية بعيسى من اليهود^(١).

وإذا نظرنا في كلام المتأخرين عن الإمام القرافي فإننا نجد عبد الله الترجمان يذكر أن أمر المسيح عليه السلام تلاميذه بأن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ذكره متى، ولم يذكره يوحنا^(٢) مع أن يوحنا عاشر المسيح حتى رفع، ويجعل ذلك من الاختلاف الدال على الكذب ثم يناقش النصارى في قولهم: إن كل جزء من أجزاء الخبز هو عيسى عليه السلام بجميع جسده، حتى ولو بلغت أجزاء الخبز مائة ألف جزء لكان كل جزء منها هو عيسى.

بقوله: (إن كان جسد عيسى طوله عشرة أشبار وعرضه شبرين وعمقه شبرًا، والخبز الذي يقرأ عليه القسيس لا يمكن أن يكون ثلاثة أشبار، فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار، وعرضه شبران، وعمقه شبر في شيء طوله ثلاثة أشبار؟ هذا محال في كل عقل سليم، ثم إن النصارى قد يعترضون بأن المرأة تكون قدر الدرهم، والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية، فكذلك جسد عيسى يظهر في الخبز وإن كان أكبر منه، وهذا ما يدفعه الترجمان بقوله: (إن الذي يرى في المرأة عرض لا جوهر وأنتم تعتقدون أن جوهر، عيسى وعرضه جميعًا في رغيف الخبز).

ثم يقول: (ثم إن عيسى رجل واحد، وأنتم تعتقدون أن في كل جزء من أجزاء الخبز جميع جسد عيسى، فلو أنقسم الخبز على مائة ألف جزء، لزمكم أن يكون في كل خبز يقرأ عليه القسيس مائة ألف عيسى، ثم يتضاعف ذلك

(١) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [٢٦-٢٩] وذكر يوحنا عند تناول عيسى الفصح مع التلاميذ أنه أتى بهاء وغسل أرجل تلاميذه ليعلمهم التواضع ولم يذكر قول عيسى الذي فيه الأمر بأكل لحمه وشرب دمه، يوحنا: الإصحاح: [١٣] الفقرات: [١-١٧].

بمضاعفة عدد الكنائس فيصير عيسى أعدادًا لا تتناهى، وكل من قال هذا أو اعتقده فقد جعله الله أضحوكة للعالمين، ومسخرة للشياطين^(١).

ونجد رحمة الله الهندي يذكر: أنه إذا استحال الخبز مسيحًا كاملاً حيًا بلاهوته وناسوته، فكيف لا تظهر فيه عوارض الأجسام من الجلد والدم والعظام وغير ذلك؟ ولا يستطيع النصارى أن يقولوا بظهور ذلك، بل عوارض الخبز، باقية كما كانت، فإذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئًا غير الخبز وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز، لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني.

ويتعجب الهندي قائلاً: كيف يمكن تعدد عيسى عليه السلام بجسمه في أماكن غير محصورة في آن واحد حقيقة، مع أنه ما وجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار في مكانين فضلاً عن الأمكنة الغير متناهية^(٢).

ونجد الإمام الألوسي يذكر قربان النصارى، ويطيل النفس في مناقشتهم ذاكراً واحداً وعشرين وجهاً لإبطال هذه العقيدة، نذكر منها بعضها؛ خوف الإطالة:

١- إن كان الذي أكله التلاميذ هو المسيح حقيقة، فاليهود حينئذ لم يصلبوه، بل صلبوا خيالاً أو غيره، وإن كان هو الذي صلب كما يزعمون، فالتلاميذ أكلوا خبزاً فقط لا مسيحاً، فلا استحالة لا أصل لها.

٢- أن الخبز بزعمهم إذا استحال وصار إلهًا يسجد له، فإن كان هذا حقاً يلزم دوامه ما دام الله موجوداً بلا زوال ولا فساد، مع أنه ليس بدائم، لأنهم كل

(١) ينظر: تحفة الأريب: (ص ٨٩، ٩٠).

(٢) يراجع: إظهار الحق: (١/ ٣٨٦، ١٨٧)، وينظر أيضاً: (ص ١٢٤) من نفس الجزء.

يوم يحتاجون أن يقدسوا غيره؛ لأن ما قبله قد فسد وتلاشى.

٣- أنهم يزعمون أن عيسى هو الله سبحانه، وأنه يكون الخبز عينه، فينبغي أن من أكله يكون الإله حالاً فيه، وأن تحل فيه صفاته أيضاً، فصارت النصارى كلها آلهة، فلماذا بعد ذلك يغفر لهم القس ذنوبهم أيضاً؟ وكيف جاز على من حل به الإله أن يموت، أو يعذب، أو يدخل النار؟ فالاستحالة باطلة.

٤- إذا حل عيسى في جسد الأكل الذي ارتكب الخطايا، فهل هو يدخل جهنم معه أم لا؟ فإن دخل معه فقد دخل المسيح أيضاً، وإن لم يدخل لم يكن متحداً^(١).

ونجد الإمام الباجي زاده يطيل في عرض مسألة القربان عند النصارى وفي مناقشتها، ومن مناقشته لهم، أن من تفحص الأنجيل الأربعة لم يجد فيها أن التلاميذ اقتدوا بالمسيح في (إجراء مراسم هذا الفرض الديني ثم يقول: تصور هداك الله نتيجة ما يستحيل إليه بعد تناول جسد هذا الإله ودمه المتحول من صفة الخبز والخمر، فيا عجباً أيرضى هذه الإله بذلك، أو يرضى المسيحي الحقيقي بما هنالك؟)، ثم بين أن صنيع النصارى ذلك فيه مشابة بمشركي العرب الذين كانوا يصنعون آلهتهم من طعام، وإذا جاعوا أكلوها، كما فيه ما لا تقبله الطبائع من أكل لحم الآدمي وشرب دمه، إلا الطبائع المتوحشة الخارجة عن طور الإنسانية، ثم أجاب عما تمسك به النصارى من قول عيسى (هذا جسدي، وهذا دمي) بنحو ما أجاب به القرافي^(٢).

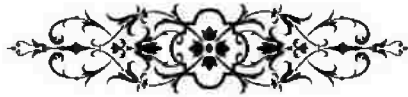
ومن خلال ما سبق يظهر: أن الإمام القرافي متأثر في رده تلك المسألة

(١) ينظر: الجواب الفسيح: (٢/ ٤٤١، ٤٤٥).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص ٢١١، ٢١٧).

بالإمامين القرطبي، وأبي البقاء الجعفري، كما أنه أثر في الباجي زاده من المتأخرين، وإن كان الباجي زاده رحمه الله ذكر ما لم يذكره القرافي من أنه لا يوجد في الأناجيل ما يدل على أن التلاميذ باثروا القربان بالصورة التي يقول بها النصارى، وأن النصارى بذلك يشبهون مشركي العرب.

والله أعلم



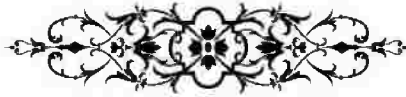
المطلب السادس شبهات النصارى على الإسلام ورد القرافي عليها

وفيه مسالك:

المسلك الأول: انتشار الإسلام بالسيف ودحض القرافي ذلك.

المسلك الثاني: ادعاء النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وأن شريعة الإسلام شريعة النقص ورد القرافي عليهم.

المسلك الثالث: ادعاء النصارى أن المسلمين على ضلال في دينهم ورد القرافي عليهم.



obeikandi.com

المسلك الأول انتشار الإسلام بالسيف ودحض القرائف ذلك

تمهيد:

يثير النصارى منذ زمن بعيد، أن الإسلام دين العنف، ولولا ذلك لما انتشر، ولما قبله الناس.

جاء في رسالة القسيس القوطي إلى أبي عبيدة الخزرجي ما نصه: (ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض، وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلّبهم، وكان سبباً في تغيير أمرنا وتكفيرنا، وإنما جاء المسيح ابن مريم مهيناً ضعيفاً، ولم يقاتل أحداً)^(١).

ويقول الإمام القرافي مصوراً شبهتهم: (يقولون: إن دين المسلمين في غاية الضعف، وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة، والإخافة، وسلب الذراري، والأموال، ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر في دينهم حق)^(٢).

ويتساءل النصارى اليوم قائلين: (إن المسيح لم يقاتل أحداً في حياته وكان يقابل الإساءة بالصفح حتى من أشد خصومة وأعدائه، فأَي الأسلوبين أعدل وأكمل: الدعوة بالجهاد والحرب، أم الدعوة بالتسامح والحب؟)^(٣).

(١) بين الإسلام والمسيحية: (ص ١٤١، ١٤٥).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٨٨).

(٣) ينظر: الإسلام وخرافة السيف: د/ عبد الودود شلبي: (ص ١٤٣)، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة: ط / الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ويراجع هذه الشبهة عند النصارى المحدثين في كتاب: بيان الحق، ليس منصور: (ص ١١) وما بعدها، طبعة المؤلف، سنة ١٩٦٦ م.

وخير ما يدفع به تلك الشبهة شهادات علماء النصارى ومؤرخيهم: يقول رينو في كتابه (تاريخ غزوات العرب): (إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون

رد القرافي هذا الافتراء:

يدفع الإمام القرافي تلك الشبهة بالآتي:

١- بين أن أناجيل النصارى تأمر بالمسألة وعدم الاعتداء، وبرغم ذلك فهم يعيشون في الأرض فسادًا ونهبًا، فهم بذلك كفروا؛ لأنهم يستحلون محارم الله، أما نحن وإن جاهدنا غيرنا، فلأن ديننا يأمرنا بمجاهدة الأعداء، ورد العدوان علينا، فنحن مقتدون، وهم مخالفون لأوامر دينهم، وذلك قوله: (الإنجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسألة، والتزام التواضع والمذلة وأن يبتعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة، وهذا نص الإنجيل: قال المسيح عليه السلام: (سمعت ما قيل: العين بالعين، والسن بالسن، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلاً، فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه،

النصارى بالحسنى) اهـ، ويقول أرنولد وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: (ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرمت الأعمال التي تنطوي على الظلم، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا: أنهم لم يألوا جهداً في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس) اهـ.

ويقول الكونت دي كاستري: لقد درست تاريخ النصارى في بلاد المسلمين، فخرجت منه بحقيقة مشرقة: هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف المعاشرة وترفع عن الغلظة، وعلى حسن مسامرة ورقة مجاملة، وهذا إحساس لم يؤثر عن غير المسلمين) اهـ. ويقول الأسقف دوشين الفرنسي في دراساته حول التاريخ القديم للكنيسة: (إن إله الثأر حين رأى شراسة الرومان الذين يسلبون كنائسنا.. قد قاد أولاد إسماعيل من الجنوب ليطلق سراحنا بواسطتهم وليس بالمكسب البسيط. أن نجد أنفسنا بسلام). يراجع: الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي (ص ٤٢) ترجمة عبد المجيد بارودي، نشر دار الإيمان، بيروت، بدون تاريخ، والإسلام وخرافة السيف: (ص ١١٦) دفع شبهات ورد مفتريات: محمد عبد الله الخطيب (ص ٢٣) دار الأنصار - القاهرة، بدون تاريخ.

وسمعتهم ما قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك، وأنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردكم ويخزيكم؛ لكي تكونوا بني أبيكم، كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل^(١).

يقول القرافي: (ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبًا على القتال، والقتل، وبسط الأيدي بالأذى في أقطار الأرض، بسلب النفوس، والأموال، مستيحيين لذلك^(٢)) يعتقدونه من أعظم القربات، وأوثق أسباب السعادات، مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك، ومن استحل حرمات الله فهو أشد الناس كفرًا بالله تعالى وكتبه وأحكامه، وأما نحن وكتابتنا، فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره.. وكتابتنا أوجب علينا القتال، ونص أنه من أعظم القربات، وأتم أسباب السعادات^(٣).

٢- أعاد الإمام القرافي الشبهة على النصارى؛ لأن التاريخ يشهد أنهم ما انتشر دينهم إلا بالقتال، وأما المسلمون فدعوتهم بالحسنى قامت، عن طريق إقامة البراهين على الحق، وإبطال الباطل، فمن قبل حاز السعادة، ومن رفض كان أولى بالذل والصغار، وذلك قوله: (إن ابتداء دينهم إنما كان بسبب القتال مع اليهود، وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران، ويغرقونهم في السفن في البحار، وعملوا في اليهود كل نوع من أنواع الأذى، ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثرًا، فإن الدولة كانت لهم، وقد قتلوا إلههم على زعمهم، ولم يترك بعده أكثر من اثني

(١) متى: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٣٨-٤٦].

(٢) لعل الإمام القرافي يشير إلى ما كان في زمانه من الحروب الصليبية التي قام النصارى بها ضد العالم الإسلامي وقد ضرب النصارى خلالها كثيرًا من الأمثلة للتعصب، وأتوا من الفظائع والمذابح والكبائر ما تقشعر منه الأبدان، وقد اعترف بذلك المؤرخون الأوروبيون، يراجع: الإسلام وخرافة السيف من (ص ١٦٤-١٦٦).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ٨٨-٨٩).

عشر حوارياً وسبعين مبشراً هاربين خائفين، ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتلة، فلو التزموا شريعتهم من المسألة لم تقم لهم قائمة^(١) لكنهم التزموا القتل والعسف.. فسؤالهم ينعكس عليهم بل هو خاص بهم؛ لأنهم على خلاف كتبهم، وأما نحن فممثّلون لأمر الله تعالى ناصرون لدينه، قائمون بحقه في أرضه على خلقه.. ننظر بالمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة فندعو إلى مكارم الأخلاق، وننهي عن لئامها، فمن اهتدى إليها ظفر بالسعادة، وحاز أسباب السيادة، ومن

(١) ذكر المقرئ ما أوقعه اليهود بالنصارى -متعاونين مع الفرس- من قتل لهم، وتخريب لكنائسهم، ثم بيّن أن الأمر استمر كذلك حتى ملك هرقل على النصارى وغلب الفرس، وصار من القسطنطينية؛ ليمهد ممالك الشام، ويجدد ما خربه الفرس منها، فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم، ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأنجيل والصلبان والبخور والشموع فوجد المدينة وكنائسها خراباً، فساء ذلك، وأعلمه النصارى بما كان من اليهود، وحرصوا على الوقيعة بهم، وضمنوا له التكفير عن يمينه بأن يصوموا لأجله أسبوعاً من كل عام، ويأمر الرهبان والقساوسة النصارى بذلك على مر الدهور والأزمان، فمال إلى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء، أبادهم جميعهم فيها، حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى، ينظر المواعظ والاعتبار: (٢٧١/٣، ٢٧٢) وقد جاء في كتاب: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: (منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية في عهد قسطنطين دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب في الأغلال وعاني من قسوته اليهود والوثنيون كثيراً، وقد أصدر قسطنطين قانوناً يقضي بإحراق كل يهودي يلقي على من اعتنق المسيحية حجراً، وعقاب كل مسيحي تهود، ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودي بمسيحية أعدم، وقد أبان نستوروريوس بطريق القسطنطينية عن مبدئه في الاضطهاد حين قال للامبراطور: أعطني الدنيا وقد تظهرت من الملحدن أمنحك نعيم الجنة المقيم.. إلخ. ينظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، للشيخ محمد الغزالي: (ص ٨٣) وما بعدها، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.

أعرض عنها كان جديرًا بالصغار، والذل والعار^(١).

٣- بين الإمام القرافي أنه إن وجد القتال في ديننا، فقد شهدت الكتب السابقة التي يدين بها النصارى أن القتال سنة الأنبياء والمرسلين، وإذا سلم النصارى بذلك ولا يمكن إنكاره: نتج أمران:

١- أن النصارى لا يطعنون في أديان الأنبياء السابقين؛ لوجود القتال فيها فذلك لا يطعن في دين الإسلام لوجود القتال فيه.

٢- أن المسلمين بامثال شريعة الجهاد متبعون لسنة الأنبياء السابقين مصدقون لما جاء عنهم، بخلاف النصارى فهم مخالفون لما جاء عن الأنبياء السابقين في دعواهم هذه، وهذا هو قول القرافي: (إن الكتب التي بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام، مع طوائف من الطغاة، كداود عليه السلام مع جالوت^(٢)، وسليمان عليه السلام مع طوائف من أهل الكفر^(٣)).

ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم؛ وإذا كان القتال سنة الله تعالى، وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون، وبها عاملون، فتكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا^(٤).

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر في جوابه عن انتشار الإسلام بالسيف ما ذكره الإمام القرافي، بعبارة أوسع

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٨٩).

(٢) صموئيل الأول: الإصحاح: السابع عشر كله.

(٣) جاء في سفر الملوك الأول: (وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر) الإصحاح: [٤]، الفقرة: [٢١].

(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٠).

مما ذكره الإمام القرافي^(١).

ونجد الإمام القرطبي يذكر ما ذكره القرافي من أن القتال سنة الأنبياء والمرسلين قبل محمد ﷺ، وأن حال النصارى شاهد بمخالفة ما جاء في إنجيلهم من الأمر بالمسألة، ثم بيّن أن النصارى باعتراضهم هذا منكرون لكتبهم التي يؤمنون بها؛ إذ فيها أن محمداً ﷺ يبعث بالقتل والسيف لمن اعتدى عليه، أو ظهر له الحق، ولم يؤمن به، وذلك قوله: (وذلك أنهم يجدون في كتبهم أوصاف النبي ﷺ ويجدون فيها أنه يبعث بالقتل والسيف، ثم ينكرون ذلك ويباهتون فيه ... ومن ذلك ما جاء في نبوة إشعياء أنه أخبر عن هزيمة العرب، وقتل أشرافهم فقال لما ذكر النبي ﷺ: «يدوسون الأمم دوس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موتورة من شدة الملحمة»^(٢).

ثم ذكر أن ما ينكرونه علينا موجود في الإنجيل، فعيسى عليه السلام ذكر انه لم يأت ليلقي سلاماً بل سيفاً^(٣) يقول القرطبي: (وهذا عين ما ينكرونه علينا).

ثم يقول للنصارى: (قتالكم من خالفكم لا يخلوا إما أن يكون مشروعاً لكم، أو غير مشروع لكم، فإن كان مشروعاً لكم، فلاي معنى تخالفونا في ذلك وتذموا شرعنا لأجله؟ وإن لم يكن مشروعاً لكم فلاي معنى تركتم شرعكم، وفعلتم خلافه؟^(٤).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإننا نجد رحمة الله الهندي يذكر

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ٣٤٨) وما بعدها.

(٢) سفر إشعياء: الإصحاح: [٢١] الفقرتان: [١٥-١٦].

(٣) متى: الإصحاح: [١٠] الفقرة: [٣٤].

(٤) يراجع: الإعلام: (ص ٤٤٩) وما بعدها.

في رد دعوى انتشار الإسلام بالسيف مع ذكره نصوصاً كثيرة تدل على مشروعية القتال من الكتب السابقة، وإطالة نفسه في ذكر تاريخ اضطهادات النصارى لليهود، واضطهادات مذاهب النصارى لبعضهم البعض، نجده يذكر أن الله تعالى يبغض الكفر، ويجازي عليه في الدنيا بعقوبات كثيرة من هذه العقوبات: الجهاد في سبيل الله تعالى، ولا سبيل إلى إنكار ذلك، فكما لا ينكر النصارى إغراق قوم فرعون، وإهلاك قري قوم لوط، رغم أن هذا أشد من الجهاد في سبيل الله، فعليهم ألا ينكروا أمر الإسلام بالجهاد بعد وضوح الحق وظهوره، ثم ذكر أنه إذا لم يكن جهاد في شريعة عيسى عليه السلام على فرض جعلها شريعة، وكان في شريعة محمد ﷺ فهذا لا يقدر في شريعة محمد ﷺ لاحتمال النسخ، ولا يمكن النصارى أن يدفعوا ذلك، لأنهم إن قالوا: لا نسخ قيل لهم: الجهاد نفسه لم يكن مفروضاً على قوم موسى إلا بعد خروجهم من مصر، ففرض الجهاد بعد عدمه هذا نسخ فلا مانع من جعل الجهاد فرضاً في شريعة محمد ﷺ بعد عدمه في شريعة موسى كما كان الحال في شريعة موسى عليه السلام.

ثم بين أنه لا شناعة في الجهاد الإسلامي من ناحية العقل؛ لأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن إصلاح القوة النظرية مقدم على إصلاح القوة العملية، وإصلاح العقائد مقدم على إصلاح الأعمال وهذا أمر لا ينكره كافة الملمين، وكذلك ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان قد يتنبه على خطأه وقبحه بتنبهه الغير وكذلك قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان لا يطيع الحق غالباً لأجل وجهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي إلى قول رجل من صنف آخر، بل يأنف من سماع كلامه سيما إذا كان هذا القول مخالفاً لطباع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية، بخلاف ما إذا انكسرت

وجاهة قومه وشوكتهم، فلا يأنف من الإصغاء^(١).

ونجد الألوسي رحمه الله تعالى يذكر ما ذكره رحمة الله الهندي، كما أنه يذكر ثلاثة أجوبة أخرى قالها الإمام الماوردي في الرد على تلك الشبهة، وهي:

- أن الجهاد فرضيته تابعة لمصالح الأزمنة والأمكنة، وهذا ما يسمى بالنسخ.

- أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيرًا، واللفظ إذا كان مع إقرار الباطل كان شرًا.

- أن الجهاد سنة الأنبياء والمرسلين^(٢).

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي في جوابه عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف متأثر بأبي عبيدة الخزرجي، ولم يزد عما ذكره الخزرجي شيئًا، كما أنه لم يتأثر أحد ممن ذكرت من اللاحقين بالإمام القرافي.

كما أنه يظهر أن الإمام القرطبي شارك القرافي في أن الجهاد سنة الأنبياء والمرسلين قبل محمد ﷺ وأن النصارى مخالفون لأوامر دينهم، كما شاركه رحمة الله الهندي أيضًا في أن الجهاد سنة الأنبياء السابقين، وفي أن تاريخ النصارى يشهد بأن التهمة أولى بهم منا نحن المسلمين.

إلا أن القرطبي ذكر: أن النصارى بإنكارهم عن الإسلام أمره بالجهاد والقتال، ينكرون ما جاء في وصف محمد ﷺ فيما يعتقدونه من كتبهم من أنه ﷺ سيجيء بالسيف، كما أنه ألزم النصارى أن دينهم يخبر أن عيسى عليه السلام إنما

(١) يراجع: إظهار الحق: (٢/ ٢٨٧-٣١٨).

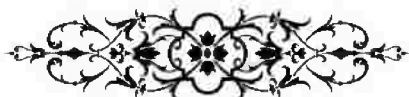
(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٤٦٦-٤٩٠)، وينظر: النصيحة الإيمانية (ص ١٤١) وما بعدها، هداية الحيارى (ص ٢٠).

جاء بالسيف فلم الإنكار إذا؟

وذكر الهندي احتمال النسخ، والاستدلال العقلي وغير ذلك مما لم يذكره القرافي، مما يجعلنا نقول:

إن رد الإمام القرطبي والهندي أقوى من رد القرافي؛ لأنها شاركا فيما ذكره، وزاد ما لم يذكره مما هو ملزم للنصارى، وفي الزيادة إفادة كما يقولون.

والله أعلم



المسلك الثاني ادعاء النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وأن شريعة الإسلام شريعة النقص ورد القرافي عليهم

شبهة النصارى:

يزعم النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وإذا أكملت شريعتهم، فلا حاجة لشريعة جاءت بعدها؛ لكونها نقصاً وقد ذكر الإمام القرافي شبهتهم في ذلك فقال: (يقولون: الله له عدل وفضل، وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما، فأرسل موسى عليه السلام بشريعة العدل؛ لما فيها من التشديد، فلما استقرت نفوسهم وقد بقي الكمال الذي لا يصنعه إلا أكمل الكملاء، وهو الله تعالى، ولما كان جواداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات، وليس في الموجودات أجود من كلمته -أي نطقه فجاد بها، واتحدت بأفضل المحسوسات، وهو الإنسان لتظهر قدرته فحصل غاية الكمال، ولم يبق بعد الكمال إلا النقص)^(١).

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي على هذه الشبهة بالآتي:

١ - يبين أن ادعاء أن شريعة موسى عليه السلام كانت عدلاً فقط، إنما هو ادعاء خاطئ؛ لأنه ليس عدل تام إلا لأهل النار، وليس فضل تام إلا لأهل الجنة، بل شريعة موسى عليه السلام كانت شريعة الفضل والعدل معاً. وذلك قوله: (أما شريعة موسى عليه السلام فكانت عدلاً وفضلاً، وقل أن

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٤٣)، ويراجع: موسوعة علوم الدين: (ص ١٧١) وما بعدها.

يقع في العالم عدل مجرد، وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة، كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة، وتقرير هذا الباب: أن كل جود وإحسان فهو فضل من الله تعالى، وجود، لا يجب عليه فعله، فما عرى عن الخير والإحسان ألبتة فهو العدل المحض؛ لأن الملك ملكه، والتصرف في المملوك كيف كان عدل ليس بظلم، وإنما يكون الظلم في مملوك الغير، فإن وقع الخير المحض فهو التفصيل المحض، وهذا هو شأن أهل الجنة، وإذا تقرر هذا، فشرعة موسى عليه السلام كان فيها من الإحسان أنواع كثيرة، كتحریم القتل، والزنا^(١) والغصب^(٢)، والقذف^(٣)، والمسكر^(٤) من الخمر.. وكإباحة الفواكه واللحوم الزواج وغير ذلك وهذه كلها أنواع من الفضل^(٥).

٢- يبين الإمام القرافي أن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة حتى يقال: هي شريعة الفضل وما تلاها نقص، وإنما كان عيسى عليه السلام تابعاً لشريعة موسى، فلم يأت عيسى عليه السلام بأحكام جديدة حتى يقال له شريعة هي شريعة الكمال، وذلك قوله: (ثم إن عيسى عليه السلام جاء مقررًا لشريعة موسى، وعاملاً بمقتضاها مستعملاً لأحكامها، ولم يزد شيئاً من الأحكام، وإنما زاد المواعظ، والأمر بالتواضع والرقعة، والرأفة، فلم يأت عيسى بشريعة أخرى

(١) جاء في سفر الخروج: (لا تقتل، ولا تزني، لا تسرق) الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١٣]، [١٤]، [١٥].

(٢) جاء في سفر اللاويين أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أنه إذا أخطأ أحد، وخان خيانه، كأن جحد وديعة، أو اغتصب غصباً، فعليه أن يرد المغصوب، ويكفر عن ذنبه بذبيحة من الغنم تقدم إلى الكاهن، فيذبحها تكفيراً عن ذنبه: الإصحاح: [٦] الفقرات: [١-٨].

(٣) تحريم القذف وعقوبته وردا في سفر التثنية: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [١٣-٢٠].

(٤) سبق بيان ذلك (ص ٣٥٢).

(٥) الأجوبة الفاخرة: (ص ٤٣-٤٤).

حتى يقال: إنها الفضل^(١).

٣- يبين الإمام القرافي أنه لو سلم أن هناك شريعة عدل، وشريعة فضل، كانت شريعتنا هي شريعة الفضل والكمال، وذلك قوله: (بل مقتضى قولهم أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا؛ لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها، ولا مقلدة سواها، وهذا هو اللائق لمنصب الكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً، فهذه الحجة عليهم لا لهم)^(٢).

٤- لم يدع الإمام القرافي مجرد ادعاء أن شريعة الإسلام هي شريعة الفضل وهي شريعة الكمال، بل أكد ذلك بذكر فضائل الإسلام ومزاياه على سائر الشرائع، مما يدحض ادعاء المفترين، ويزيد المؤمنين إيماناً، وهذه الفضائل منها:

١- أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها، فوق الخطب في تلك الشرائع، ودرثت بعد طول المدة، ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم بوصفه ونظمه، وما اشتمل عليه من المغيبات، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلفها الآباد، ولا يستمها الترداد، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة، واحدة منها كافية، فكيف بالجميع؟ وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف، والأبناء بعد الآباء، فلا يزداد الإسلام إلا قوة، ولا الإيمان والتوحيد إلا جدة.

٢- أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث للثقلين جميعاً الإنس والجن على اختلاف أنواعهم.

وبيان ذلك: أن أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة، مع أن موسى عليه السلام لم يبعث إلا لبني إسرائيل، ولما أخذهم من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر،

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٤٤).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ٤٤).

ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم، وإذا كان هذا حال موسى عليه السلام - أنه لم يعظ إلا بني إسرائيل وشريعته من أكمل الشرائع المتقدمة، فغيره أولى، وقد أخبرنا سيدنا محمد ﷺ أنه لم تكن دعوة عامة إلا دعوة محمد ﷺ^(١)، ولا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل.

٣- أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فتكون شريعتها أفضل الشرائع، أما أنها خير أمة، فلقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف في ملة من الملل، حتى أن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب في المجلدات العديدة في العلوم المتباينة، ولعله لا يوجد في شريعة الإسرائيليين كلهم من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد، فيكون العالم منا ألف قدر شريعتهم بأكملها؛ فكم فيما من عالم؟

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم فتكون شريعتها أفضل الشرائع، فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها، واتباع نبيها عليه السلام، ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل.

٤- أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة في شريعتها على نسق عبادة الملائكة، فكل الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلي صفوفاً كما تصلي الملائكة، لقوله تعالى إخباراً عن قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾^(٢) وَإِنَّا

(١) أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة» ك: التيمم، باب التيمم، حديث رقم (٣٢٨) صحيح البخاري (١/١٢٨).

لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ [الصفات: ١٦٥-١٦٦] ^(١). والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها، فشريعتنا أفضل الشرائع.

٥- أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل، وهذه الأمة أمرت بذلك، وزيد لها وحدها تطهير الظاهر بالوضوء والغسل، واجتناب النجاسات والقاذورات.

٦- أن هذه الشريعة أمرت باستقبال أفضل الجهات، وهو البيت الحرام، فتكون أفضل الشرائع، أما كون المسجد الحرام أفضل من المسجد الأقصى فلا أمور:

- أنه أقدم منه بناءً بأربعين سنة ^(٢)، والتقدم دليل الفضل.

- أن آدم عليه السلام إنما تيب عليه عنده بعرفة ^(٣).

- أن جميع الأنبياء آدم فمن دونه حجوه، بخلاف البيت المقدس ^(٤).

(١) أخرج الإمام مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة...» الحديث - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢٢) صحيح مسلم (١/٣٧١).

(٢) أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد في الأرض وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». لك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة: حديث رقم (٥٢٠) صحيح مسلم (١/٣٧٠).

(٣) توبة آدم عند البيت أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة، باب من اسمه محمد، حديث رقم: (٥٩٧٤)، المعجم الأوسط للطبراني (٦/١١٧)، ت/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/ ١٤١٥ هـ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور عن عائشة (١/١٤٣)، دار الفكر، بيروت، ط/ ١٩٩٣ م.

(٤) أخرج البيهقي عن عروة بن الزبير أنه قال: (ما من نبي إلا وقد حج البيت، إلا ما كان من هود وصالح... فلما بوأه الله لإبراهيم حجته، ثم لم يبق نبي بعده إلا حجته)، السنن

٧- أن الله تعالى جَوّز في شريعة موسى عليه السلام أن يتزوج الرجل من شاء من النساء^(١) فراعى مصلحة الرجال دون النساء، فإنهم يتضررون بالغيرة والإهمال إذا كثرن، وحجر في شريعة عيسى عليه السلام على ما زاد على المرأة الواحدة^(٢) فراعى مصلحة النساء دون الرجال؛ لأنهم يتضررون بالاختصار على الواحدة، فقد لا تلائم فتكون في حيز العدم. وفي شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين، فجعل للرجل أربع نسوة، فلا ضرر عليه ولم يكسر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث، فكانت شريعتنا أتم.

٨- أن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم بالصلاة في البيع، وشريعتنا وردت بالصلاة في كل موضع طاهر في جميع أقطار الأرض^(٣)، ومعلوم أن الإنسان قد تتعذر عليه البيعة؛ لكونه في البرية والسفر، أو تتيسر له، لكن قد تفتقر عزمته قبل وصوله إليها، فتكون الصلاة في أهل تلك الشرائع في غاية القلة، وفي شريعتنا في غاية الكثرة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع، لكثرة تعظيم الله فيها بكثرة صلاتها.

الكبرى للبيهقي، ك: الحج، باب: دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة، حديث رقم (٩٦١٨) (١٧٧/٥)، ت/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وذكر ذلك السيوطي -أيضاً- في الدر المنثور (٣١٣/١).

(١) جاء في سفر أخبار الأيام الأول: أن داود عليه السلام كان له سبع نساء حرائر غير السراي، الإصحاح: [٣] الفقرات: [١-١٠] وأخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة: ك: الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، حديث رقم (٢٦٦٤). صحيح البخاري (١٠٣٨/٣).

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: الإصحاح: [٧] الفقرات: [١-٤].

(٣) أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» الحديث، ك: التيمم، باب: التيمم حديث رقم (٣٢٨) صحيح البخاري (١٢٨/١) وأخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٤٣٠٣) (٣٠٤/٣).

٩- أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد، بل تقدم للنيران فتحرقها، وأحلت في هذه الشريعة^(١) ومعلوم أن صون المالية عن الضياع، والاستعانة على الدين والدنيا بها، واقع في نظر الحكمة، وأتم في مراعاة المصلحة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع.

١٠- أن الإعلام للصلوات في سائر الشرائع لا يشتمل على مصلحة غير الإعلام، بخلاف شريعة الإسلام؛ إذ فيها الأذان، وهو فيه مصالح أخرى غير الإعلام، كالثناء على الملك العلام، وتجديد كلمة الإيثار، وتفخيم قدر رسول الملك الديان والحض على الصلاة وسبل النجاة، والإشعار بالتوحيد، وأنواع التمجيد وأين هذا من النفخ في البوقات، وقراقرع الخشبات، والنواقيس؟^(٢)

هذا: ولم أجد أحداً من السابقين تناول هذه الشبهة ورد عليها، على ما تحت يدي من كتب.

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين، فإننا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية ينفي انحصار الشرائع في قسمين: عدل، وفضل، فالشرائع ثلاثة: غلب عليها جانب العدل، وهي شريعة موسى عليه السلام، وغلب عليها جانب الفضل، وهي شريعة

(١) أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما بين بها... فجمع الغنائم، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلواً، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا» صحيح البخاري، ك: فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم» حديث رقم (٢٩٥٦) (٣/١١٣٦)، صحيح مسلم: ك: الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم، حديث رقم (١٧٤٧)، (٣/١٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٤٥-٤٧).

عيسى عليه السلام، لو سلم أنه جاء بشريعة وجمعت بين الفضل والعدل وهي شريعة الكمال شريعة الإسلام، ثم ذكر أدلة تبين أن الإسلام جمع بين الفضل والعدل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا عدل واجب، ثم قال: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا فضل مستحب مندوب إليه، وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢] فهذا عدل، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] فهذا فضل، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فهذا عدل، ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فهذا فضل. إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها ابن تيمية، ثم بين أن الله تعالى أرسل الرسل؛ ليرشدوا الناس لما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه، وأن في إرسال محمد ﷺ من المصالح ما ليس في إرساله موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام.

فدين محمد ﷺ قبله خلق كثير من سائر الأمم، بعكس شريعة موسى، فإنه بعث إلى بني إسرائيل، وكان فيهم الرد والعناد في حياة موسى عليه وبعد موته. وهذا يظهر فضل شريعة محمد ﷺ، إذ كثرة الاتباع تدل على أن الشريعة كاملة فاضلة، ولم تكن شريعة موسى من الكمال كما كانت شريعة محمد ﷺ.

وفي القرآن الكريم ذكر المعاد وإقامة الحجج عليه، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في شريعة موسى، كما أن فيها ذكر أسماء الله تعالى وصفاته وصفات ملائكته وأصنافهم، وخلق الإنسان والجن ما لم يفصل في التوراة.

وفي القرآن الكريم تقرير التوحيد وإقامة الأدلة عليه ما لم يذكر في التوراة، وكل هذا وغيره مما ذكره في مقارنته بين شريعة موسى ومحمد ﷺ يبين أن شريعة محمد ﷺ أكمل وأفضل من شريعة موسى عليه السلام.

وأما شريعة عيسى عليه السلام، فليس له شريعة مستقلة، وليس في الإنجيل كلام على التوحيد، وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، مما يجعل القرآن الكريم كتاب شريعة الإسلام أكمل من الإنجيل وأفضل.

ثم ذكر ابن تيمية: أن شريعة التوراة تغلب عليها الشدة، وأن تعاليم الإنجيل يغلب عليها الرحمة، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال في وصف أمة محمد ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال أيضًا: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]^(١).

ونجد الإمام الألوسي رحمه الله تعالى يذكر أن تقسيم النصارى الشرائع، إلى شريعة عدل وفضل وشريعة نقص، تقسيم باطل؛ لأن القسمة رباعية: شريعة عدل، شريعة فضل، شريعة عدل وفضل، شريعة ليس فيها عدل ولا فضل، وهذه الصورة غير موجودة، فشريعة العدل شريعة موسى عليه السلام وشريعة الفضل شريعة عيسى عليه السلام، وشريعة العدل والفضل شريعة محمد ﷺ.

ثم أكد ما قاله بذكر أمثلة من الشرائع الثلاثة، ففي شريعة موسى: أن النفس بالنفس والعين بالعين^(٢) وهذا عدل.

وفي الإنجيل: أنه من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر^(٣) فقد انفردت كل شريعة من الشريعتين بشر من شطري الكمال، وقد اشتملت الشريعة المحمدية على الشطرين معًا، ففي جانب العدل جاء قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ

(١) يراجع: الجواب الفصيح: (٣/ ١٨٣-٢٠٧).

(٢) سفر اللاويين: الإصحاح: [٢٤] الفقرات: [١٧-٢١].

(٣) متى: الإصحاح: [٥] الفقرة [٤٠].

عَلَيْكُمْ أَلْقِصَاصُ ﴿ [البقرة: ١٧٨] وفي جانب الفضل جاء قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ومن الأمثلة التي تبين أن الإسلام جمع بين الحسنين: أن الله تعالى جعل التوبة من الذنب العظيم في التوراة بقتل النفس^(١) وعند النصارى أن الذنب العظيم يغفره القسيس بعد الاعتراف له^(٢)، وجمع الإسلام بين ذلك فنجى من إهلاك النفس كما في التوراة، ومن الفضيحة عند القسيس وفي الذرية والأعقاب كما عند النصارى، بالتوبة الصادقة إلى الله تعالى^(٣).

تعقيب:

من خلال ما سبق يظهر اشتراك الأئمة الثلاثة في أن شريعة الإسلام هي الشريعة الجامعة بين الفضل والعدل معاً، فهي شريعة الكمال، مؤيدون ذلك بالأدلة، كما يظهر اشتراك القرافي وابن تيمية في كون عيسى عليه السلام، ليست له شريعة، حتى يقال هي شريعة الفضل، كما شارك ابن تيمية القرافي في أن شريعة موسى عليه السلام كان بها عدل وفضل، إلا أن القرافي لم يذكر ذلك مجرداً عن المثال كما فعل ابن تيمية بل ذكر أمثلة فيها الفضل ولا ينكرها النصارى.

كما أنه لا يخفى أن للإمام القرافي في المسألة فضيلة السبق، كما أنه انفرد ببيان فضائل دين الإسلام على ما سواه، تلك الفضائل التي لا ينكرها إلا جاحد، لا ينبغي إلى الحق وصولاً.

والله أعلم

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٣٢] الفقرات: [٣٦-٣٠].

(٢) ما ذكره الألويسي ليس إقراراً بأن هذا شرع شرعه الله تعالى للنصارى، بل مخاطبته لهم بما يعتقدون، والله أعلم.

(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (٢/ ٧١-٨١).

المسلك الثالث

ادعاء النصارى أن المسلمين على ضلال في دينهم ورد القرافي عليهم

ادعاء النصارى:

يقول النصارى: المسلمون على ضلال في دينهم بنص نبينهم، وهم لا يشعرون، فقد جاء في الأحاديث الصحيحة باتفاق المسلمين أن نبينهم قال لهم عند موته: (هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فمنعهم عمر من ذلك، وقال: حسبنا كتاب ربنا)^(١).

وإذا قال النبي الصادق: إن الكتاب الذي يكتبه سبب عدم الضلال، ولم يكتبه فيكون سبب عدم الضلال لم يوجد، فينتفى مسببه، وهو عدم الضلال، فيكون الواقع هو ضلالهم جزماً بشهادة نبينهم التي لا يمكنهم ردها^(٢).

رد الإمام القرافي:

رد الإمام القرافي ادعاء النصارى وجود الضلال، في ديننا، لعدم وجود الكتاب المقتضى عدم الضلال بأمور:

١ - أنه لا يلزم من عدم وجود الكتاب حصول الضلال، لجواز أن يُمنع منه بهداية الله وعنايته بهذه الأمة، وذلك قوله: (ولا يلزم من عدم سبب معين لنفي الضلال أن يقع الضلال، بل جاز أن ينتفي الضلال بالهداية الإلهية والعناية

(١) أخرجه البخاري - ك: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث رقم: (٤١٦٩) - صحيح البخاري: (٤/١٦١٢)، وأخرجه مسلم - ك: الوصية باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، حديث رقم: (١٦٣٧) صحيح مسلم: (٣/١٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٦).

الربانية، كما إذا قلنا للمسافر: إن أخذت هذا الخفير لا تضل، يحتمل انه إذا لم يأخذه أن يهتدي من تلقاء نفسه، بإلهام ربه أو سبب آخر^(١).

٢- يَبَيِّنُ أن المراد بنفي الضلال ليس في أصل من أصول الدين، وإنما هو فيمن يكون خليفة بعده ﷺ وذلك قوله: (... ذلك الكتاب كان المقصود به نفي الضلال فيمن يعين للخلافة بعده عليه السلام، والخلافة ليست من قواعد الأديان، ولا شرطاً في صحة الإيمان) ولكن: هل حصل الضلال في أمر الخلافة لعدم وجود الكتاب؟ هذا ما يجيب عنه القرافي في قوله: (مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ إلا بنصه، وإمائه، وذلك في معنى الكتاب، كقوله عليه الصلاة والسلام (الأئمة من الأئمة من قريش)^(٢) وقد ولينا قرشياً، وكقوله عليه السلام لما وعد المرأة بعده، فقالت له عليه السلام: فإن لم أجذك؟ قال: ائت أبا بكر^(٣) يقول الإمام القرافي: (فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة، وما ولينا غير أبي بكر، فلما ضللنا في الخلافة، ولا في غيرها)^(٤).

٣- يَبَيِّنُ أن كَتَبَ الكتاب لو كان واجباً، لما تركه رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يترك أمراً أمر بتبليغه إلا بلغه، وقد صرح بذلك في حجة الوداع فقال: «ألا قد بلغت؟

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٦، ٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٢٣٢٩) (٣/ ١٢٩)، والنسائي في الكبرى: ك: القضاء - باب الأئمة من قريش، حديث: (٥٩٤٢) (٣/ ٤٩٧)، والبيهقي في الكبرى: ك: جامع أبواب الرعاة، باب: الأئمة من قريش: حديث رقم: (١٦٣١٩) (٨/ ١٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، ك: فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب: من فضائل أبي بكر الصديق، حديث رقم: (٢٣٨٦)، صحيح مسلم: (٤/ ١٨٥٦)، عن جبير بن مطعم عن أبيه.

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٧).

ألا قد بلغت؟»^(١) ولو ترك رسول الله ﷺ أمراً أمر بتبليغه لم يكن الدين كاملاً، وهذا خلاف ما صح عن الله عز وجل من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

٤- أنه قد عرف من حال عمر بن الخطاب أنه من أشفق الناس على هذه الأمة فلولا أنه علم أن في النصوص -الكتاب والسنة- ما ينوب عن الكتاب ما أهمله.

٥- ويستخلص الإمام القرافي من عدم كتابة النبي ﷺ ذلك الكتاب مع أنه أمر به ﷺ، ومع أن التبليغ عليه واجب، ومما عرف من حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أمره ﷺ يكتب الكتاب إنما هو من باب الاحتياط وإذا كان للاحتياط فلا يلزم من عدمه حصول الضلال كما يقول النصارى، وذلك قوله: (وحينئذ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التي لا يضر الإخلال بها، وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة في شيء من الأحوال)^(٢).

هذا: ولم أجد أحداً من السابقين أو اللاحقين ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها على ما تحت يدي من كتب.

والله أعلم

(١) أخرجه البخاري: ك: العلم، باب: ليلبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم: (١٠٥) صحيح البخاري (٥٢/١). وأخرجه مسلم، ك: القسامة والمحاررين، باب: تغليظ تحريم الدماء حديث رقم: (١٦٧٩) صحيح مسلم: (٣/١٣٠٥)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

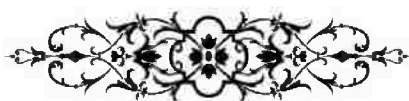
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٧).

المطلب السابع
شبهات النصارى على القرآن الكريم
ورد القرائي عليها

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: دعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه ما ليس بصحيح ورد القرائي عليها.

المسلك الثاني: دعوى النصارى أن القرآن الكريم ليس مقطوعاً به ورد القرائي عليها.



obeikandi.com

المسلك الأول دعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه ما ليس بصحيح ورد القرافي عليها

يدعي النصارى -دائماً- أن القرآن الكريم به أغلاط، وإذا كان به أغلاط فلا يكون كتاباً سماوياً، وقد ذكر الإمام القرافي لهم في هذا الفصل شبهتين ورد عليهما، بما خيب مسعاهم، وجعل كيدهم في نحورهم.

الشبهة الأولى:

يقول النصارى: القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، فلا يكون من عند الله تعالى وبيان ذلك اشتماله على ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: ١٢] يقولون: ومريم ليست ابنة عمران؛ لأن عمران أبو موسى عليه السلام، وبين موسى عليه السلام، ومريم رضي الله عنها نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم رضي الله عنه حتى يكون أباهما؟^(١)

رد القرافي رحمه الله تعالى على هذه الشبهة:

أجاب القرافي على هذه الشبهة بأمرين:

الأمر الأول: لا يسلم الإمام القرافي رحمه الله تعالى للنصارى دعواهم أن اسم والد مريم عليها السلام غير عمران، بل عمران اسمه، ولا يلزم من الاشتراك في الاسم أن يكون المسمى واحداً، ولا يعتقد ذلك إلا جاهل، وذلك قوله: (نقول: إن أباهما رضي الله عنها كان اسمه عمران، ولا يلزم من أن اسم أبي

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٦١، ٦٢)، مفتریات المبشرين على الإسلام، د/ عبد الجليل شليبي: (ص ١٦٣)، المختار الإسلامي، الفجالة، مصر، بدون تاريخ.

موسى عليه السلام عمران، ألا يسمى غيره عمران، واعتقاد وجوب ذلك جهل^(١).

الأمر الثاني: سلم الإمام القرافي أن اسم والد مريم عليها السلام ليس عمران وأن عمران المقصود في الآية هو والد موسى، ولكن لا يعني ذلك اشتغال القرآن الكريم على ما ليس بصحيح؛ لأن مريم نسبت إلى عمران والد موسى، وهو جدها والنسبة إلى الجد بعيداً كان أو قريباً غير منكراً، كما يتسمى بنو إسرائيل بهذا الاسم إلى يوم القيامة، مع أن إسرائيل يعقوب عليه السلام ليس أباهم المباشر، وكما يتسمى بنو آدم بهذا الاسم، مع أن آدم عليه السلام لم يلد لهم جميعهم ولادة مباشرة، وذلك قول الإمام القرافي: (سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران، إلا أن عمران أبو موسى عليه السلام جدها من بني إسرائيل، والإنسان يضاف لجدّه البعيد، كما يضاف لجدّه القريب، ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب عليه السلام ببني إسرائيل^(٢) ويعقوب عليه السلام لم يلد لهم، بل بينه وبينهم المئون من السنين، ومع ذلك فكل من جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل، وهذا لا غرو فيه. وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام، ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه إذا كان أشرف وأشهر، وعمران عليه السلام كان في غاية الشهرة، فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء^(٣)).

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٢).

(٢) ينظر: سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح [١٦] الفقرة [٣، ١٣]، سفر إرميا: الإصحاح: [٣٣] الفقرات: [٣٠-٣٢].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٢).

الشبهة الثانية:

يقول النصارى: مما يستدرك على المسلمين: ما في كتابهم من جعل مريم رضي الله عنها أخت هارون صلوات الله عليه^(١) وبينهما ستمائة سنة، فلا تكون أخته، فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي على هذه الشبهة بالآتي:

١- أن مريم لم تكن أخت هارون عليه السلام، وليس المقصود بهارون أخا موسى عليه السلام، بل هو رجل صالح كان معروفاً بالعبادة، دعوا مريم أخته، لشدة عبادتهما، فلما جاءت بوليد من غير أب ذكروها بحال عبادتها، وبأنها أخت هارون في عبادته فكيف يصدر منها القبيح؟ أو هارون كان رجلاً فاسقاً معروفاً بذلك، فجعلوا مريم أخته لما اعتقدوا زناها، ففي الحالتين ليس المقصود أخوة النسب، بل المقصود بالأخوة: المشاركة في الصفة الحسنة أو القبيحة، وذلك قول الإمام القرافي: (كان في زمانها عابد يسمى هارون وكانت رضي الله عنها في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى عليه السلام من غير زواج وأتهمها - رضي الله عنها - بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، وأصل الأخوة التساوي في الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨] أي مساويتها في الدلالة ... فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله عنها، وبين

(١) جاء في سورة مريم قول قوم مريم لها، لما جاءتهم بعيسى وليداً من غير زوج ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

ذلك العابد، سميت أخته على القاعدة، وقيل: كان في ذلك الزمان فاسق، يسمى هارون، فلما اعتقدوا فيه التهمة جعلوها أخته في ذلك الفعل القبيح^(١).

٢- أن المقصود في الآية هو هارون أخو موسى عليهما السلام، ومريم إنما هي نسل موسى، وليست أختًا لهارون، ولكن جعلت أختًا له، وهي بنت أخيه، كما جعلت التوراة بني إسماعيل إخوة لبني يعقوب مع أنهم ليسوا إخوتهم، بل أبناء أخي أبيهم، فكما لا يصح الطعن في التوراة لوجود ذلك فيها لا يصح الطعن في القرآن لوجود ذلك فيه، وذلك قول الإمام القرافي: (إنها من ذرية موسى عليه السلام، وهو أخو هارون، فقليل لها: أخت هارون كما جاء في التوراة: (إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فيه)^(٢).

يقول الإمام القرافي: وأخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل، فجعل بني أخي أبيهم إخوتهم، فكذلك سميت مريم رضي الله عنها أخت هارون عليه السلام^(٣).

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإننا نجد أبا عبيدة الخزرجي يجيب عن الآية الأولى، بأن مريم هي بنت عمران، ولكن ليس عمران أبا موسى كما يزعم النصارى، بل هو عمران بن متان بن أليود ينتهي نسبه إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، أما عمران والد موسى فهو عمران بن يصهر بن قاهت ينتهي نسبه إلى لاوي بن يعقوب بن إسحاق.

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٢، ٦٣).

(٢) سفر التثنية: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [١٨].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٦٣).

ويحيب عن الآية الثانية: بأنهم دعوها أخت هارون على سبيل السب لها؛ لأن هارون هذا كان رجلاً مشهوراً بالفجور والفسوق^(١).

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإننا نجد نجم الدين الطوفي يحيب عن الاعتراض: بكيف تسمى مريم أخت هارون؟ بقوله: (هذا سؤال قد كفانا جوابه صاحب الشريعة ﷺ فروى عن المغيرة شعبة - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: ألستم تقرأون: يا أخت هارون، وقد كان بين عيسى وموسى ما كان؟ فلم أدر ما أجيبهم، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتكم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٢) قال الطوفي: والمعنى: أن هارون هذا الذي نسبت إليه مريم كان رجلاً صالحاً سمي باسم هارون عليه السلام تبركاً، فشبهوها به في الصلاح أه^(٣)، أي يا شبيهة هارون الرجل الصالح، كيف يصدر منك هذا الفعل؟

ومن خلال ما سبق يظهر: أن الإمام أبا عبيدة الخزرجي شارك القرافي في الجواب عن الآية الأولى بأن الاشتراك في الاسم لا يعني أن المسمى واحد، ولكن ما ذكره الخزرجي من تسمية العمرانين لا شك أنه أقوى مما ذكره القرافي، ولا شك أن ما ذكره القرافي في الجواب عن الآية الأولى من أن مريم نسبت إلى جدها عمران والد موسى، وهي من نسل موسى - والنسبة إلى الجد غير مرفوضة - لا شك أنها زيادة قوية لو صح أن مريم عليها السلام من نسل موسى

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص ٣١٨، ٣١٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، لك: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم (٢١٣٥)، صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥)، عن المغيرة بن شعبة.

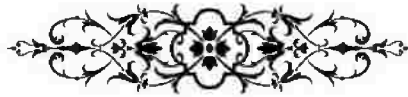
(٣) ينظر: الانتصارات الإسلامية: (ص ٧٤، ٧٦)، وينظر: الجواب الصحيح (١/ ٦٧، ٦٨).

عليه السلام، لكن الصحيح أنها من نسل هارون عليه السلام كما ذكر ذلك ابن حزم^(١) وأثبتته رحمة الله الهندي^(٢).

وأما في الجواب عن الشبهة الثانية: فرد القرافي رحمه الله تعالى أقوى وأشمل من رد أبي عبيدة الخزرجي، لذكره ما ذكره، وزيادة ولأنه أقام الحجة على النصارى من كتبهم بأنه تسمية مريم أختاً لهارون لا شيء فيها، فإن كان ذلك قادحاً في القرآن - كما يقول النصارى - فعندهم مثله إذ سمى أولاد إسماعيل عليه السلام إخوة لأولاد إسحاق مع أنهم ليسوا أخوة لهم بل هم أبناء أخي أبيهم.

ولكن الأولى في الجواب هو ما ذكره الطوفي البغدادي من حديث صح عن رسول الله ﷺ؛ لأن قوله ﷺ مقدم على قول من سواه.

والله أعلم



(١) ينظر: الفصل في الملل والنحل: (٢/٥٦، ٥٧).

(٢) ينظر: الظهار الحق: (١/١٠٣).

المسلك الثاني دعوى النصارى أن القرآن الكريم ليس مقطوعاً به ورد القرائي عليها

شبهة النصارى:

يقول النصارى: المسلمون ليسوا على ثقة بما بأيديهم من القرآن الكريم، مع أنهم يعتقدون أنه لا خلل فيه، والذي يدل على ذلك: أن عبد الله بن مسعود الذي كان من أجل الصحابة حتى قال فيه عليه الصلاة والسلام: «رضيت لأمتي ما رضيها لها ابن أم عبد»^(١) خالف الصحابة في القرآن الكريم، وخالفوه فيه حتى أوجعه عثمان رضي الله عنه ضرباً، ولو كان القرآن مقطوعاً به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة، وهم حديثو العهد بالنبي ﷺ؛ لأن القطع يمنع وقوع الخلاف، كما لا يختلف العقلاء في وجود بغداد، ولا في أن الواحد نصف الاثنين، وإذا لم يحصل للصحابة رضي الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق الأولى؛ لأنهم أصل لغيرهم، والفرع لا يكون أقوى من الأصل.

والذي خالف فيه ابن مسعود الصحابة وخالفوه فيه: أنه كان يثبت القراءات الشاذة، والصحابة نفوها، وكان ينفي المعوذتين، وأثبتهما الصحابة^(٢)،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمرو بن حريف عن أبيه بلفظ: «رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد» لك: معرفة الصحابة، باب من مناقب عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٥٣٦٤) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: (٣/ ٣٦٠) ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، باب العين، حديث رقم: (٨٤٥٨)، المعجم الكبير للطبراني: (٩/ ٨٠)، ت/ حمدي بن عبد الرحمن السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/ الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله الزركشي (١/ ٢٥١) (٢/ ١٢٧)، ت/

يقول النصارى وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفياً وإثباتاً، اختلت الثقة بجملة القرآن الكريم^(١).

رد الإمام القرافي:

أجاب الإمام القرافي عن هذه الشبهة بأن الخلاف بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والصحابة رضي الله عنهم، لم يكن لأجل أن القرآن الكريم غير معلوم عندهم، بل هو مجرد اجتهد رآه ابن مسعود، ورأى الصحابة أن الحق ليس معه فخالفوه.

ففي مسألة القراءات الشاذة كان ابن مسعود رضي الله عنه يرى إضافة القراءات؛ لبيان معاني القرآن الكريم، ورأى الصحابة عدم إضافتها حتى يمتاز القرآن عن غيره، ولا يلتبس على الناس ما ليس من القرآن بما هو من القرآن، وكان الحق والصواب مع الصحابة، يقول الإمام القرافي: (الذي اتفق بين الصحابة، ليس لأن القرآن غير معلوم عندهم، بل هو معلوم متواتر خلفاً وسلفاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. وإنما اختلفوا رضي الله عنهم في أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن، ويضم إليه تفسيره، نحو قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] كان يقرأها متتابعات، وغير ذلك مما كان رضي الله عنه يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التي نازعوه فيها^(٢)، حرصاً منه على بيان معناها، فكانوا هم

=

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط / ١٣٩١ هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٧٥) وما بعدها، (٤٧١-٤٧٣).

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٤-٩٥).

(٢) كقراءته: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] أنثى، وقراءته ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] وكان كافراً، وكقراءته: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] أيانها وغير ذلك. ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢١٥، ٣٣٦) مناهل العرفان: (١/ ١٩٢).

يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره.. فميزوا كلام الله من غيره، ولم يخلطوه بسواه فسلم من الخطأ والزلل^(١).

وفي مسألة المعوذتين: أجاب الإمام القرافي بأنه كان اجتهد من ابن مسعود إذ كان يرى أن تُفرد المعوذتان عن المصحف، حتى يقرأهما الجنب وغيره، ظناً منه أنها جعلتا للتعوذ، فلا يشترط في قراءتهما الطهارة، وخالفه الصحابة في ذلك - وكان الحق معهم - إذ رأوا أن إفرد شيء من القرآن سبيل إلى إسقاط شيء منه، ولذلك منعوا ابن مسعود من تنفيذ مقصوده، وذلك قوله: (وأما المعوذتان، فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن؛ ليقرأهما الجنب وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط، فهذا وجه اجتهداه ﷺ، ورأى الصحابة رضي الله عنهم، أن إفرد شيء عن القرآن ذريعة، ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن، فمنعوا منه، وكان الحزم معهم رضي الله عنهم)^(٢).

ولم أجد أحداً من السابقين واللاحقين ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها على ما وقع بين يدي من كتب إلا ابن حزم ذكر اعتراض النصارى بأن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا، وأجاب عنه بأنه باطل وكذب، لأن مصحف ابن مسعود فيه قراءته بلا شك، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الإسلام^(٣).

والله أعلم

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٥).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٩٦).

(٣) ينظر: الفصل: (٢/ ٧٦، ٧٧).